مفاهيم
يجب أن تصحح

تأليف

محمد علوي المالكي المكي الحسني
خادم العلم بالحرمين الشريفين

دار السلام
للطباعة والنشر
لاهور باكستان

Marfat.com

Marfat.com

مفاهيم

يجب أن تصحح

تأليف

محمد علوي المالكي المكي الحسني
خادم العلم بالحرمين الشريفين

دار السلام
للطباعة والنشر
لاهور باكستان

Marfat.com

الطبعة الأولى

جمادى الآخرة ـــــــ ١٤٠٦ هـ

الموافق فبراير ـــــــ ١٩٨٦ م

دار السلام

للطباعة والنشر

لاهور ـــــ باكستان

Marfat.com

تقـــريظ

علامة المغرب المحدث المحقق الأستاذ السيد عبد الله كنون الحسني
رئيس رابطة علماء المغرب وعضو رابطة العالم الاسلامي
بمكة المكـــرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فقد أطلعنى الأخ في الله العلامة الجليل السيد محمد علوي المالكي على هذا الكتاب الذى سماه (: مفاهيم يجب أن تصحح) وجعله ثلاثة أبواب :

الباب الأول في العقيدة .

والباب الثانى في النبوة .

والباب الثالث في الزيارة .

ولا يعنى بهذه المطالب أصولها وحقائقها المبينة في مظانها ولكنه يريد ما يتعلق بها من مباحث اختلفت الأقوال فيها بين العلماء من السلف والخلف كما اختلفوا في المسائل الفقهية الفرعية والتى لم يرد فيها نص صريح فذهب اجتهاد كل منهم إلى ما اطمأنت إليه نفسه ولكن أحدا منهم لم يعب على غيره ولا أنكر ما أداه إليه اجتهاده وكان الاجتهاد ولا يزال يؤدى إلى نفس النتائج ولن يؤدى حتما إلى نتيجة واحدة ولذا كان المجتهدون كلهم مأجورين والأجر إنما يكون على عمل صالح لا على عمل مذموم .

وكنا نقول إن الخلاف في مثل هذه المطالب قد انتهى كما انتهى الخلاف في الفروع الفقهية بصلاة المسلمين في المؤتمر الإسلامى المنعقد بالقدس سنة ١٩٣١م خلف الإمام الطباطبائى الشيعى على اختلاف مذاهبهم وبعدما أغلقت الخاريب المتعددة التى كانت في المسجد الأموى والأزهر وغيرهما وصار المسلمون يصلون

Marfat.com

وراء إمام المسجد الواحد في المحراب الواحد ولا يسألون عن مذهبه ولا عن عقيدته كما كان الصحابة يصلون خلف الحجاج إبن يوسف في البصرة وغيره في غيرها ولكن أبى الشيطان إلا أن يبعثها جذعة بين المسلمين في الوقت الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى الوفاق ونبذ الخلاف والتصدي لعدو دينهم كما أمرهم الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ فعادت فتنة الأشعرية والسلفية في العقيدة وفرقت المسلمين وجعلت بعضهم يبدع بعضا أو يكفره .

والأشعرية إنما قامت لما طغى التجسيم على الناس أعنى العامة وصاروا لا يُحققون مفهوم التنزيه فجنحوا إلى التأويل إنقاذا للعقيدة .

والتأويل منحى شرعيٌّ لا جدال فيه بنص القرآن ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغا ءفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ .

وقد كان الأشعرية من ا اسبق في العلم وكذا أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين وأبو حامد الغزالى حجه الاسلام وغيرهم من أعلام الأشاعرة — وهي ثلاثة أقوال في المتشابه :

ما يعزى إلى السلف وهو اعتقاد مدلول اللفظ مع التنزيه ونفى التشبيه .

والتأويل بما تحتمله اللغة وطرق المجاز وهو مذهب الخلف ومذهب الأشعرى الذي صار إليه بعد التأويل وهو أن هذه المتشابهات صفات لله عز وجل لا نعرف كنهها ولكننا نؤمن بها كما جاءت ، على أن المؤولين كما قلنا إنما أرادوا بذلك إنقاذ العامة من شبه المتشابهات ولذلك قل منهم من لم يكن يرجع إلى التفويض حتى أن بعضهم كان يقول اللهم إيمانا كإيمان العجائز . .

والمهم أنهم كلهم أهل سنة وجماعة مؤمنون بما جاء به عن الله ورسوله الكريم كما أمر — كيف يصح أن يكفر أو يبدّع هذا ذاك ؟

Marfat.com

ما هو إلاّ التعصب وضيق العطن إن لم يكن للسياسة في ذلك مدخل وقد وقع فعلا في المغرب أن المهدى بن تومرت بعد أن رجع من رحلته لطلب العلم في المشرق ولقى أقطاب المذهب الأشعرى مثل الكيا الهراسى وتلك الطبقة قام بنشر هذا المذهب في المغرب ولما ادعى المهدوية وأسس دولة الموحدين ألزم الناس به وحارب مذهب السلف ونبذ المرابطين أصحاب الدولة قبله بالمجسمين وكانوا على مذهب السلف في العقيدة ، وسمى أصحابه بالموحدين كما حارب المذهب المالكى ورجاله من فقهاء المغرب والأندلس وهكذا نشأت العداوة بين الطرفين وكان السبب سياسيا قبل كل شيء .

وما قيل في هذه المسألة مما اشتمل عليه الباب الأول من الكتاب يقال في مسألة المولد النبوي من مسائل الباب الثاني ومسألة الزيارة من مسائل الباب الثالث .

فالاحتفال بمولده ﷺ إن لم يفعله من سبق فكثير مما لم نفعله لم يفعله وهى حجة لم يقبلها الفاروق من الصديق لما طلب جمع المصحف فكان أن رجع إلى كلامه وجمعه .

ونظيرها أمر عمر بن عبد العزيز علماء الأنصار بكتابة الحديث وكان من قبلهم يتحرجون من ذلك فوافقوه جميعهم ولم يقولوا له أتفعل ما لم يفعله الأولون — وكذا يقال في نقط المصحف وشكله وإحداث المحاريب في المساجد وبناء المآذن بحيث صار الأمر إلى ألاّ يبنى مسجد بدون محراب ولا مأذنة ولم يكن ذلك في عهده عليه الصلاة والسلام .

والقائمة طويلة والمقصود أن من غلبت عليه محبة المصطفى نبى الرحمة وشفيع الأمة ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم فاحتفل بمولده فهو أحرى أن نقول له حسنا لا أن ننكر عليه ونقيم الدنيا ونقعدها لأمر أقل ما يحكم به عليه أنه جائز .

والعجب العجيب أن يعترض مؤمن على زيارة قبر النبي وقد أمرنا بزيارة القبور مطلق القبور لنتعظ بها ونعتبر ، وبزيارة قبور آبائنا وأمهاتنا وقرابتنا صلة للرحم وتعهد لهم بالدعاء الصالح وقد ورد أنه ﷺ استأذن ربه في زيارة قبر أمه

Marfat.com

فأذن له فكيف لا نزور قبر أشرف المرسلين الذى هدانا الله به إلى الصراط المستقيم وهو أمنّ الناس علينا وأحبهم الينا بل وأحب الينا من أبائنا وأبنائنا ومن أنفسنا التى هي بين جنبينا ؟ لا جرم أن ذلك أى ترك زيارة قبره وخصوصا لمن حج وأصبح من المدينة على غلوة أو غلوتين لمن أعظم الجفاء ولو لم يصح حديث من حج ولم يزرنى فقد جفانى فاتركوا الناس وإيمانهم أيها المنكرون وإذا لم تتحرك مشاعركم لهذه المشاهد فعليكم وأنفسكم ولا تحرموا عباد الله من التعرض لنفحاته التى يمن بها على من يشاء فالأمر كما قال الصادق المصدوق « إنما أنا قاسم والله المعطى » وشكراً للسيد السند محمد علوي لتحريره هذه المباحث وتحقيقه لمفاهيمها وأعتقد أنه قد بلغ بها المنتهى فلا يشغل نفسه بعد بالجدال فيها والمراء عليها ففي الحديث « من ترك المراء وهو محق بنى الله له قصرا في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى الله له قصرا في ربض الجنة » .

ذلك لأن مهمة العلماء في عصرنا هذا هي إيقاظ الشعور والغيرة في نفوس المسلمين وحمل رؤسائهم وقادتهم على الوقوف في وجه أعداء الاسلام المستعمرين للمستضعفين من المؤمنين في فلسطين وأرتيريا وأفغانستان والفلبيين ومن يشغل نفسه بهذه المسائل ويفرق بها صفوف المسلمين إنما يغطى على تقصيره وانحرافه عما هو واجب عليه مما لا يعذر فيه ولا يجزيه من الله شيء — فالاسلام لا أرضى له اليوم والمسلمون يسامون الهوان في كل مكان ولن تقوم قائمة ولن ترفع عنهم مقصا الذل حتى يجندوا أنفسهم للدفاع عن كيان الاسلام وحماية بيضته مع من بيده الحل والعقد من أولى الأمر ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

كتبه بفاس في ٢ شعبان ١٤٠٥هـ

عبد الله كنون الحسنى

الأمين العام لرابطة العلماء بالمغرب

وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة

وعضو الجامع العربية

وعضو أكاديمية المملكة المغربية

وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى

وعضو مجلس الوصاية على العرش بالمغرب

Marfat.com

تقـــريظ

العلامة المؤرخ الفقيه الشيخ محمد الخزرجى

وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى المحامد والألآء المنعم على عباده بما شاء وأصلى وأسلم على أفضل الأنبياء وعلى آله وصحبه النجباء .

أما بعد :فقد تصفحت الكتاب الذى جمعه وألفه العالم الجليل المحقق النبيل السيد محمد بن علوي المالكي الحسنى فرع الشجرة النبوية وسليل العترة الهاشمية المسمى (مفاهيم يجب أن تصحح) .

ففي كتابه هذا وضع الأمور في مجاريها وحاد عن الشطط في مراميها وجنبها الافراط والتفريط وصحح الأوهام والتخليط وبذل النصيحة لإخوانه المسلمين بالأدلة القاطعة والبراهين ليسلكوا مسالك السلف ويقلدوا أهل الفضل من الخلف

والكتاب يتعلق بأمور ثلاثة : مباحث في العقيدة ، مباحث نبوية ، مباحث مختلفة تتعلق بالحياة البرزخية ومشروعية الزيارة والمناسبات الدينية .

ومعشر المسلمين اليوم أحوج ما يكون إلى علم هذه الحقائق المشتملة عليها هذه المباحث وقد اختلط عليهم الحابل بالنابل وتصدر للفتوى كل جاهل ممن يقصر إدراكه عن فهم كتاب الله عز وجل ومقاصد السنة النبوية

Marfat.com

فجاء بالإيضاح والتدقيق ليبتعدوا عن مواقع الضلال ويكونوا خير مثال موفقين في الأفعال والأقوال .

والله أسأل النفع أن يمن على مؤلفه بلطفه وعنايته ويشمله بحفظه ورعايته .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

حرره محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن خرجي
قاضي إمارة أبو ظبي سابقا
ورئيس لجنة التراث والتاريخ
في دولة الامارات العربية المتحدة
ووزير الشؤون الاسلامية والأوقاف

Marfat.com

تقـــــريظ

العلامة المحدث المحقق الفقيه الشيخ محمد الشاذلي النيفر
عميد كلية الشريعة بتونس وعضو رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يجتاز العالم الاسلامي في عصرنا الحاضر أزمة الحملات العديدة التى يقوم بها المناوئون للاسلام وأشدها ما يحوكه الصهاينة من وسائل تنخر في جسم المسلمين كما ينخر السوس الخشب فهي غير ظاهرة للعيان مثله علاوة على نكايتهم في فلسطين تلك النكاية التى تحزّ إلى العظم .

وفي جانب آخر الصليبية وحملاتها القاسية في محاربة الاسلام في بقاع الأرض عاملة ليلا ونهارا لحسر الاسلام في أضيق مكان أو القضاء عليه ويعاون كلا من الصهاينة والصليبيين حركات أخرى فالحملات العديدة عنيفة يقاسى منها المسلمون ما يقاسون حتى أنها لبّست على البعض أفكارهم فجاروهم في أفكارهم كمن يتناول السم ويظنه الدواء الشافى فهؤلاء الذين ينعقون باسم الاصلاح والتقدمية لم يكفهم أنهم مسمومون حتى أرغموا المسلمين على تلك السموم إذ ساعدتهم الظروف المعوجة على الحكم ورفعوا عقيرتهم بالدعوة لما يسمونه بالاصلاح والتقدمية كي يغروا العالم الاسلامى ، إنها حرب شعواء تقض المضاجع وتدر المدامع ونحن في أكثريتنا ساهون مشتغلون ببعضنا بعضا كما هو الواقع في الحروب الساخنة بين المسلمين أو الحروب الباردة العامة المنتشرة بين الدول والنابعة من بعض المغرورين المسمومين من تلك الحملات يدعونا الواقع المؤلم أن نلتفت إلى مقاومة تلك الحملات الشعواء حتى ندرأ عن أنفسنا خطرها المحدق عوض أن نحارب أنفسنا بأنفسنا مثل هذه الحملة على الأشعرية التى لا مبرر لها لأننا إذا نظرنا إلى الأشاعرة صح عندنا أنهم على السنة التى تركنا عليها النبي ﷺ والتى ليلها كنهارها ورحم الله تعالى الإمام ابن عساكر (٥٧١) حين تصدى لإيضاح الأشعرية في وجهها الحقيقى في كتابه الشهير « تبيين كذب المفترى فيما

Marfat.com

نسب للامام أبى الحسن الأشعرى » فإنه وضح أنها الوسط وخير الأمور الوسط بين التعطيل والتشبيه وقد ألهم الله الأشعرى إلى نصرة السنة بحجج العقول فانتظم شمل أهلها فأثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ونفى عنه ما لا يليق بجلاله فالأشعرية كما قيل :

الأشعريـــــة قـــــوم قد وفّقوا للصـــــواب
لم يخرجوا في اعتقاد عن سنـــة وكتـــــاب

ويكفى مذهبه صحة أن النبغاء من العلماء يكادون كلهم أن يكونوا أشعرية حتى قبل ظهوره لأنهم على طريقة السنة ثم بعد ظهوره تقلدوا مذهبه وإن لم يكونوا كلهم فأكثريتهم .

وهذا ما أبداه ابن عساكر في (تبيين كذب المفترى) في (باب ذكر جماعة من أعيان مشاهير أصحابه) إذ كان فضل المقتدى يدل على فضل المقتدى به ويكفيه أن من مقلديه القاضي أبابكر بن الطيب بن الباقلانى البصرى صاحب التصانيف المشتهرة في الرد على المخالفين حتى أن أبا الحسن التميمى الحنبلى كان يقول لأصحابه تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنة عنه غنى أبدا .

وكذلك من رجاله الفحول الحاكم النيسابورى صاحب المستدرك على الصحيحين وابن فورك وأبو اسحاق الاسفرايني والحافظ الأصفهانى وأبو محمد القاضى عبد الوهاب البغدادى ٤٢٢ الفقيه المالكى وكتبه أشهر من نار على علم وقد اعتنى باحدها الامام المازرى وهو كتاب التلقين . والمحدث الشهير الحافظ أبو ذر الهروى المالكى والحافظ أبوبكر البيهقي والحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي والإمام أبو المعالى الجوينى وأبو الحسن الطبرى والكيا الهراسى والإمام الشهير حجة الاسلام أبو حامد الغزالى .

ومنهم من أهل المغرب الإمامان الشهيران أبو الحسن القابسى والإمام المازرى .

وتتبع هؤلاء إنما هو استيعاب علماء المسلمين فاذا كان هؤلاء على ضلال فقد اجتمعت الأمة على ضلال ، وفي ذلك تكذيب لحديث رسول الله ﷺ الذى رواه سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال:

Marfat.com

إن أمتي لن تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم .
رواه ابن ماجه أحد أصحاب الكتب الستة .

ومثله الحملة على المولد النبوي الشريف مع أننا إذا حققنا النظر نراه ليس من البدع بل هو أمر مقصود منه تعظيم يوم مولد النبي ﷺ اقتداء به في تعظيم نجاة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء .

ولتحاش زيادة عدد في أعياد المسلمين لم يسم المسلمون ميلاده ﷺ بعيد الميلاد بل سموه يوم المولد. ولله درهم في ذلك .

وقد أزال الشبهة الإمام الجليل السيوطي في كتابه (حسن المقصد في عمل المولد) .

فهذه مفاهيم يجب تصحيحها وكذلك غيرها وهو ما اعتنى به فضيلة العلامة الدكتور محمد علوي المالكي في كتابه الحافل (مفاهيم يجب أن تصحح) .

وقد حقق الكثير من هذه المفاهيم التي أثيرت حولها حملات وأبان فيها الوجه الصحيح فهو حري أن تتوقف عنده الأنظار لتحرير المواقف كالقضيتين المشار إليهما .

ونأمل أن هذه الحملات تنتهي بعد اتضاح ما يجب أن يصحح وأن تتجه الأقلام للطعنات الموجهة إلى الاسلام حتى ننقذ الكثير من الذين أضلتهم تلك الأقوال المزحرفة وبذلك نكون من الذين دافعوا بأقلامهم وأفكارهم عن حوزة الدين .

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

محمد الشاذلي النيفر
عميد كلية الشريعة بتونس
وعضو رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

Marfat.com

تقـــــريظ

العلاّمة الفقيه الشيخ محمد فال البنانى
الأمين العام للرابطة الاسلامية الموريتانية
وعضو رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

بسـم الله الرحمن الرحيـم

الحمد لله رب العالمين القائل فى كتابه المبين :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

والقائل : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ .

والقائل : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين قائد الغر المحجلين من روى عنه :

« المؤمن بأخيه كثير » .

« المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه لمن يظلمه » .

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

« المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا . إلى غير ذلك مما يدعو إلى التآلف والتحابب والتآخى وحسن الظن بالله وبعباد الله .

أما بعد فقد طالعت باهتمام بالغ كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) للعلامة الأديب الحديثي واللغوى الأريب أبى الأعلام النجباء والسادة النقباء الشريف ابن الشرفاء السيد محمد علوى المالكى مولدا ووطنا فوجدته حزّ فى المفصل فى كل

Marfat.com

المسائل التى حرر حيث أنه جلب عليها من النصوص والأدلة مالم تبق معه شبهة فى قلب من له مسكة من العلم والإنصاف ولا غرابة إذ هو عذيقها المرجب وجذيلها المحكك وابن عذيقها وجذيلها .

فعندئذ حدا بى أسلوبه الشيق وترتيبه وبحثه للمواضيع وتحقيقه مناطها إلى أن أدليت بدلوى فى تقريظه مساهمة فى رد المناوئين له إلى صوابهم حيث أننى أرأب بهم عن تكفير مسلم بمسائل غير مجمع عليها وأجمعوا على أن المسلم إذا صدر منه قول أو فعل يحتمل الردة من تسع وتسعين وجها وغيرها من وجه واحد يرجع إلى ذلك القول مخافة إخراج مسلم من الإيمان .

وعندى والله أعلم أنه لم يبق للمعاندين فى هذه المسائل بعد النظر فى كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) إلا التسليم لكل ما جاء فيه إذ أن ما جاء فيه كاد أن يكون مجمعا عليه قديما وحديثا كما بينه الأئمة الأعلام والحفاظ الموثوق بهم فى الملة الإسلامية فجزاهم الله عن الاسلام خير جزاء وجزى المؤلف هو الاخر خيرا وأبقاه ذخرا للمسلمين الذين لا يريدون إلا ظهور الحق وبارك فيه ورحم أسلافه الصالحين العالمين العاملين بعلمهم بما بثوا فى قلوب أبناء المسلمين من قرآن وسنة وعلوم آلة لهما تلك العلوم التى بثوها فى أهل دانى الأرض وقاصيها سارت بها الركبان لتبليغها بدورهم فى جميع أنحاء المعمورة وإنني لأشهد أن من أدركته من عائلة المؤلف وهو والده الشيخ السيد علوى عباس المالكى قد قام بدوره فى ميدان الدعوة والارشاد وتبليغ العلوم الدينية وكثيرا ما حضرت وفى أعوام متتالية دروسه فى المسجد الحرام كالقرآن وتفسيره ، والحديث وفقهه ، والتوحيد وعقائده ، إلى غير ذلك مما أدى إلى تكاثر التلامذة والمستمعين فى حلقاته رحمه الله رحمة واسعة وأطال بقاء وارثه فى العلم وخليفته فى التدريس الشاب الصالح الموحد التقى السيد محمد علوى المالكى ابنه البار المنقذ من الضلالة والمحب لله ولرسوله .

حرر بنواكشوط بتاريخ ٢٠ رجب ١٤٠٥ هـ
الموافق ١١ أبريل ١٩٨٥ م
المتبرئ من الحول والقوة محمد فال البنانى
عضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى
والأمين العام للرابطة المورتانية للدفاع عن الاسلام

Marfat.com

تقـــريظ

العلامة الفقيه الأصولى الشيخ محمد سالم عدود
رئيس المحكمة العليا بموريتانيا وعضو المجمع الفقهى برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

بســـم الله الرحمن الرحيـم

صَحَتْ مَفَاهِيْمُ كَانَ النَّاسُ قَدْ هَامُوْا
فِيْهـــا وَزَايَلهـــا لَبْسٌ وَإبْهَـــامُ

بَحْثٌ دَقِيْقٌ عَمِيقٌ لَا يَقُـوْمُ لَـــهُ
خَبْـطٌ وَخَلْـطٌ وَتَدْلِـــيْسٌ وِإيْهَـــامُ

أبـدَى بِهِ الْعَلـوِىُّ الْمَـالِكِـىُّ . لَنَـا
مَا لَمْ تَنلْهُ مِنَ الْحُـذَّاقِ أفْهَـامُ

فَكَان مِنْهُ وَإنْ مَا رَوْا وَإنْ جَحَدُوْا
حَشْرٌ وَشَرْحٌ وَتَوْضِيْـــحٌ وَإفْهَـــامُ

وَساعَدَتْـهُ عَلَى الْمَطْلُـوبِ أرْبَعَـةٌ
نَصٌّ وَقَـــيْسٌ وَتَفْـــوِيْضٌ وإلهَـــامُ

فَرَدَ سَبَّابَـــةً كَانَتْ تُشِيْـــرُ لَهُ
شَتْماً وَلَيْسَ لَهَا فِى الْكَفِّ إبْهَامُ

فَبَـان أنَّ الَّـذِىْ كَانَتْ تُرَوِّجُـــهُ
وَتَدَّعِيْنَـــهِ خُرَاقَـــاتٌ وَأوْهَـــامُ

Marfat.com

لَوِ اسْتَحقَّ سُجُوْداً غَيْر بَارِئِنَا
خَرَّتْ لِوجْهِ ابْنِ عبَّاسٍ بِنَا الْهَامُ

بِذَاكَ قَرَّظْتُ ذَاكَ الْبَحْثَ آمُل أن
يَكُوْنَ مِنّى لِنَصْرِ الْحَقّ إسْهَامُ

محمد سالم بن محمد على بن عبد الودود « عدود »
رئيس المحكمة العليا لجمهورية موريتانيا الاسلامية
وعضو المجمع الفقهى برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة

Marfat.com

تقـــريظ

لعلامة الشيخ يوسف بن أحمد الصديقى
القاضى الوكيل لمحكمة الاستئناف العليا الشرعية بدولة البحرين
وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

بســم الله الرحمن الرحيــم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد الغرةالمحجلين سيدنا محمد حبيبنا وشفيعنا وطبيب قلوبنا صلاة وسلاما دائمين ما تعاقب الليل والنهار وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار .

امــا بعـد : فقد اطلعت على كتاب عظيم بعنوان : (مفاهيم يجب أن تصحح) لمؤلف كريم سليل العترة الطاهرة النبوية ألا وهو العلامة الفاضل السيد محمد علوى المالكى . فوجدته كتابا حاويا لمعان جليلة وأهداف سامية وأدلة واضحة لا سيما فيما أشار إليه من جواز التبرك بالآثار الشريفة والتوسل بالذات المحمدية وشد الرحل لمسجده العظيم والمثول أمام القبر الشريف الكريم . وقد عضده بالأدلة من الكتاب والسنة ومن أقوال العلماء البارزين فى هذا المضمار سلفا وخلفا .

فجزا الله مؤلفه خير الجزاء وأجزل له المثوبة دنيا وأخرى ورزقنا الله وإياه محبة نبيه الكريم والاقتداء على اثره القويم وأماتنا على سنته وحشرنا تحت لوائه يوم الدين .

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

كتبــه :

يوسف بن أحمد الصديقى فى ١٣ شعبان ١٤٠٥ هـ
القاضى الوكيل لمحكمة الاستئناف العليا الشرعية
بدولة البحرين
وعضو المجلس التأسيسى للرابطة الاسلامية

Marfat.com

تقاريظ نعتذر عن نشرها

هذا وقد تفضل جملة من كبار علماء المسلمين بالكتابة عن هذه المفاهيم وتأييدها وتقريظ كتابنا والثناء عليه فجزاهم الله خير الجزاء ولكن لطولها نعتذر عن نشرها بنصها ونكتفي بذكر أسماء أصحابها وخلاصة رأيهم الكريم ألا وهي الموافقة التامة والتأييد الكامل وهم :

١ ــ سماحة الإمام العلامة الأُصولي اللغوي الشيخ سيدي الفاروقي الرحالي شيخ العلماء ورئيس مجلس العلماء بالمغرب مراكش .

٢ ــ فضيلة العلامة الفقيه محدث المغرب بل محدث الدنيا الشيخ السيد عبد الله ابن محمد بن الصديق الغماري .

٣ ــ فضيلة العلامة المحدث الأُصولي السيد عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري .

٤ ــ فضيلة الأستاذ الداعي إلى الله السيد محمد بن علي الحبشي رئيس المركز الإسلامي بأندونيسيا .

٥ ــ سماحة الإمام العلامة العارف بالله والداعي إليه الحبيب عبد القادر السقاف مفتي حضرموت وشيخ العلماء بها .

٦ ــ فضيلة العلامة الفقيه السيد إبراهيم بن عقيل مفتي الحديدة .

Marfat.com

كتـابك شمـس

كِتَـابُك شَمْسٌ أشْرَقَتْ بِالحَقِيْقَـةِ
وَنُـوْرٌ سَنَـاهُ مِنْ ضِيَـاءِ النُّبُـوَّةِ
طلعْتَ بِهِ صُبْحاً تَفَجَّرَ فِي الوَرىَ
يَشِعُّ بِأنْـوَارِ الهُـدىٰ وَالعَقِيْـدَةِ
وَضَوَّأتَ أفكَـاراً وَنَـارَتْ بِهَدْيِـهِ
عُقُوْلٌ تَمَادَتْ فِي عَمِيْقِ الدُّجُنَّـةِ
فَكَـانَ مَنَـاراً لِلْمَفَاهِيْـمِ مُرْشِداً
يُصَحِّحُ منْها مَنْ نَأى عَنْ شَرِيْعَةِ
بِهِ « السَّيِّدُ » المَعْرُوْفُ بِالعِلْمِ وَالنُّهَى
تَجَلَّى بِعِلْـمٍ مِنْ كِتَـابٍ وَسُنَّـةِ
وَمَـا رَامَ إلَّا اللهَ جَلَّ جَلَالُـهُ
وَجَمْعَ صُفُوْفِ المُسْلِمِيْـنَ بِوِحْـدَةِ
وَقَـال تَعَالَـوْا لِلْأَلْـهِ وَشِرْعَـةٍ.
وَقَـالَ كَفَانَـا مِنْ عدَاءٍ وَفِرْقَـةِ
فَإنَّا بَنِي الْاِسْلَامِ جِسْمٌ إذا اشْتَكَى
مِنَ الجِسْمِ عُضْوٌ فَالْجَمِيْعُ بِحُمَّةِ
أجَلْ بَارَكَ الرَّحْمنُ شَيْخاً مُبَجَّلاً
تسامَىٰ بِفَـرْعِ الدَوْحَـةِ العَلَوِيَّـةِ
وَيَـارَبِّ لِلْاِسْلَامِ فَانْصُرْ حُمَاتَـهُ
وَأيِّدْ حُمَاةَ الحَقِّ فِي كُلِّ بُقْعَةِ

أبو زيد إبراهيم سيد
موجّه اللغة العربية بجمهورية مصر والمنتدب إلى دبي

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق
وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ..

(وبعد) .. فقد اشتمل هذا الكتاب العظيم للعلامة المحقق الجليل فضيلة الأستاذ السيد محمد علوى المالكى ، على مباحث هامة مفيدة وموضوعات جليلة عديدة ، تنفع المسلمين فى هذه الأزمان التى يحتاجون فيها إلى الوقوف على المعلومات الهامة والأحكام العامة لخدمة الإسلام وتحقيق العقائد الدينية والدعوة إلى الأخذ بما جاد به الرسول صلى الله عليه وسلم على الأمة الإسلامية من الخير الجزيل والفوائد العظيمة النادرة والنصح لأمة الإسلام فى هذه الأزمان بالموعظة الحسنة . والتى يحارب فيها الإسلام من كثير من الأعداء ويحرصون فيه على تأييد المبادىء الضالة والدعايات الكاذبة ضد الإسلام وأهله تحقيقاً لأغراضهم ضد الإسلام وأهله وسعياً لتأييد أعدائه والله تعالى متم نوره على عباده المسلمين بما وفق له هذا العالم الجليل لتأييد ونشر دعوته وتحقيق مسائله والإرشاد إلى ما دعى إليه من العلم الجزيل والفوائد الثمينة والموضوعات الهامة التى تحقق الهداية والدراية والدعوة الصالحة حسماً للنزاع والمكابرة والخلاف والمدابرة .

وقد ظهر من مباحث هذا الكتاب أنه حجة وبرهان وقول صادق وبيان ، فيه للمسلمين عزة وكرامة ، وتحقيق واف وأمانة ، وأن نشره فى هذه الأزمان مما يعتز به الإسلام ويقضى به على مكائد الأعداء اللئام .

وقد أفاض المؤلف حفظه الله فى البيان الواضح حيث تحدث بعلم غزير

Marfat.com

وتحقيق واضح عن مسائل هامة فى معرفة المفاهيم الصحيحة السليمة والذود عن كل مفهوم سقيم ولصد الأعداء الكائدين ولإقامة الحق المبين فى بلاد الإسلام والمسلمين .

ذلك أن من مباحث هذا الكتاب ودعوته الحقه ، وأسلوبه الرصين ما يأتى :

التحذير من المجازفة بتكفير المسلمين : ونقل فيه انعقاد الاجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة .

التفرقة بين مقام الخالق والمخلوق : وهو الحد الفاصل بين الكفر والاسلام .

المجاز العقلى : وضرورة ملاحظته فى مقياس الكفر والإيمان . التنظيم بين العبادة والأدب .

الواسطة بين الخالق والمخلوق : وبين فيها الواسطة الشركية .

البدعة وتقسيم العلماء لها : بين فيه لأصحاب الأفهام السقيمة والصدور الضيقة من حاربوا كل جديد وتنكروا لكل مخترع مفيد ، بين لهم المفهوم الصحيح للبدعة وتقسيم العلماء لها .

الاشاعرة : بين فيه مذهبهم وذكر بعض من ينتسب اليهم لكى يتورع كل من ينسب إليهم سهام الضلال والمروق من الدين .

حقيقة التوسل : وبين فيه التوسل المتفق عليه وحديث توسل آدم بالنبى ونقل كلاماً نفيساً ورأياً لطيفا للشيخ ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونقل كلاما جيداً عن الشوكانى فى جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى نهاية البحث ذكر أشهر من يقول بالتوسل من كبار الأئمة وحفاظ السنة .

الشفاعة : حقيقتها وطلب الصحابة من النبى الشفاعة وتفسير ابن تيمية لآيات الشفاعة .

مفهوم الاستعانة :

والتوجه بالطلب للنبى وبعض الدعاوى الباطلة التى تثار حول هذا

Marfat.com

الموضوع فى الباب الثانى من الكتاب فذكر فيه مباحث قيمة عن الخصائص النبوية وحقيقة النبوة والبشرية ومفهوم الحياة البرزخية .

وفى بحث مستفيض تحدث المؤلف عن التبرك ومفهومه الذى يخطىء كثير من الناس فى فهم حقيقته .

وشرع فى الباب الثالث من الكتاب فذكر فيه مباحث مختلفة يتعطش إليها الباحث ، فمن بينها مشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها .

والمفهوم الصحيح لحديث (لا تشد الرحال ..) وكلام أئمة السلف فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر فى هذا الباب بعض المباحث اللطيفة عن الآثار النبوية والإعتناء بها وإعتناء القرآن بآثار الأنبياء السابقين ومحافظة الصحابة على بعض الآثار النبوية ، ومفهوم الإجتماع والمولد النبوى .

وذكر قصة عتق ثويبة وتوجيه العلماء لها .

هذا عرض إجمالى لما تضمنه الكتاب والذى يعتبر مؤلفه أحد علماء الحرمين الشريفين من تضلع من بحر الحوض الإلهى والسنة النبوية صاحب المجالس العلمية والدروس النبوية والتى كان يحضرها الجم الغفير من المستفيدين .

صاحب المساهمات العلمية والندوات الفقهية التى كان يشارك بها فى رابطة العالم الإسلامى وفى حفلات مسابقة تحفيظ القرآن الكريم ومؤتمرات السنة النبوية .

صاحب التأليف الكثيرة والتى بلغت نيفا وثلاثين مؤلفاً ، منها ما هو فى القرآن وعلومه وفى الحديث وفنونه والسيرة النبوية والنصائح الدينية والدعوة الإصلاحية .

وكل ذلك يدعونا إلى تقدير هذا الكتاب ودعوة المسلمين إلى مطالعته والقيام بدعوته وحث العالم الإسلامى إلى وجوب دراسته وتعليم أولادهم

Marfat.com

بما فيه من الحق الصريح والقول الصحيح والدفاع عن حرمات الإسلام ، وبيان ما اجترحه الأعداء من الضلالات والأكاذيب والدعوات الباطلة والله تعالى يؤيد عباده الصالحين بتأييد دينه القويم أتم تأييد ، وفى الختام نسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً لمطالعة هذا الكتاب وتأييد دعوته .

ونسأل الله تعالى لمؤلفه المثوبة والسلامة من المكائد وتحقيقا لما دل عليه القرآن من نصر دعاة الحق والدين وخذلان دعاة الباطل أعداء الدين والله الموفق والهادى إلى الحق المبين .

تحريراً فى آخر جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

حسنين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية السابق
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف
عضو المجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى
الحائز على جائزة الملك فيصل العلمية
لخدمة الدعوة الاسلامية

أصادق على كلمة شيخ الاسلام ومفتى الأنام سماحة الشيخ حسنين محمد مخلوف والله ولي التوفيق .

راجى عفو ربه الغنى
السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشمى الحسنى
مستشار سمو رئيس دولة الامارات العربية المتحدة
ابــو ظبي

إمام موسى ضف الله
إمام مسلمى تشاد
وعضو الرابطة الإسلامية

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الدكتور الحسينى هاشم

وكيل الأزهر الشريف وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ..

وبعد : فأقدم للعالم الإسلامى كتاب مفاهيم يجب أن تصحح لمؤلفه فضيلة الأستاذ الكبير والداعية الإسلامى المحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم السيد محمد علوى المالكى المكى الحسنى خادم العلم وأهله بالحرمين الشريفين ..

وفضيلة السيد محمد علوى المالكى سليل بيت النبوة ، شرفه الله وشرف بيته بالإنتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اتسم بيت المالكى بالعلم والهداية ، وكل من له صلة بالحرمين الشريفين المباركين يعرف أصالة بيت المالكى فى الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وربط الدارسين فى حلقاتهم بأهم وسائل التربية وانجحها بحب الله تبارك وتعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما قامت دولة الدعوة الإسلامية ونجحت هذا النجاح الباهر إلا بالحب الذى غرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلوب المهاجرين والأنصار .

حبٌ لله ورسوله وحبٌ للمسلمين، يتمثل فى المؤاخاة بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار .

أمتن الله بمنهج الحبّ على المسلمين وبين لهم بأنه نعمة من عند الله تعالى فقال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » الآية .

واشاد بمنهج الحب فقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فأتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » الآية .

Marfat.com

وبيت المالكى اتخذ هذا المنهج الإسلامى وركز عليه ، فقد رأيت والد السيد محمد علوى فى دروسه بالمسجد الحرام يدرّس التفسير والحديث والفقه ويربط كل ذلك بحب الله ورسوله .

وسار على منهجه نجله السيد محمد يدرس التفسير والحديث واللغة ويربط ذلك بحب الله ورسوله .

من أجل ذلك التفت القلوب حول بيت المالكى وتوافد عليه طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامى ليتعلموا العلم والعمل وحب الله ورسوله .

ووضع الله القبول لهذا البيت المبارك ..

وإن القارىء لهذا الكتاب الذى نقدمه يجد فيه المنهج العلمى الذى يدل على الأصالة فى الدراسة العلمية والتحقيق الجيد .

كما يدل على الدعوة الصادقة إلى حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فالكتاب يتعرض لعدة قضايا هامة مجملة فيما يلى :

الباب الأول : مباحث فى العقيدة وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

الباب الثانى : وفيه مباحث نبوية منها الخصائص النبوية وحقيقة النبوة والبشرية ومفهوم التبرك بالنبى وآثاره .

الباب الثالث : مباحث مختلفة عن الحياة البرزخية ومشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها .

وإن هذا الكتاب يوفر على المسلمين الخلافات التى تمزق وحدتهم وذلك ببيان المنهج السليم والقول الحق حتى يجتمع المسلمون على الخير والحق ..

وفى الختام نسأل الله العلى القدير أن ينفع الله المسلمين بهذا الكتاب القيم، وأن يكتب الخير والفلاح لمؤلفه ولكل قارىء له ..

والله ولى التوفيق ..

الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم
وكيل الأزهر الشريف
والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية
فى ٣ ـ ٦ ـ ١٤٠٥ هـ

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كثيرة ، أجلها وأعظمها نعمة الإسلام ، أكرم بها من نعمة ، ومنها نعمة الأمن التى تتمتع فيها بالأمان والسكينة والإطمئنان فى ربوع هذه البلاد ، ومنها نعمة تطبيق الشريعة الإسلامية بإقامة الحدود والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بفضل الله ثم بفضل الحكام الذين جعلهم الله حماة لهذه البلاد بلاد الحرمين الشريفين ، والذين وفقهم الله لخدمة هذين البلدين وشرفهم بالقيام بأمانة الحراسة والرعاية والحفظ لها فبذلوا جهدهم فى سبيل ذلك ..

ووجدوا بحمد الله العون فى أبناء هذا الشعب المخلص الوفى الذى أعطى البيعة بصدق ، وحفظ العهد بحق ورعى الذمة فى الحضور والغيبة ، فنحن على ذلك العهد قائمون وبتلك الذمة موفون إنطلاقا من إيماننا الصافى ، وعقيدتنا السلفية ومنهجنا النبوى ، لأن هذه البلاد بفضل الله طاهرة من كل رجس سالمة من كل شرك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال :

« لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب » ..

وقال :

« ان الشيطان قد ايس ان يعبد فى جزيرتكم ـ جزيرة العرب » ..

Marfat.com

وقال :

« اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » ..

(ودعاؤه مستجاب) . . وقال :

« ان اخـوف ما أتخـوف على أمتى الاشراك بالله . اما انى لست اقـول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية » ..

رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد .

خصوصا وقد أخبر أن هذه البلاد معقل الإيمـان ومرجع أهله وملاذ حملته إذ قال : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيـة إلى جحرها . وفى رواية إن الإيمان ليأرز إلى الحجاز .

ولقد عمل أئمة هذه البلاد وحـكامها منذ بداية عهدهم على ترسـيخ هذه المعانى وتثبيت ذلك فى قلوب الناس ابتداء من جـلالة المرحوم الملك عبد العزيز الذى وحد الجزيرة وجمع الكلمة وأزال الفوارق العصـبية وهدم الحواجز العنصرية فعاش النـاس متحابين يجمعهم مبدا واحـد وتلم شعثهم راية واحدة راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . عاشوا على هـذا المبدأ وإن اختلفت أراؤهم أو تنوعت مشاربهم . فالأصـل واحد والولاء واحد ، والعهد صادق ، والوفاء لازم . ولكن بعض المتطفلين من الدخـلاء والعملاء الأجانب يحبون أن يصيدوا فى الماء العكر فيشوهون الصـورة ويشيعون الفتنة ويلبسون البرآء الذين لا يعرفون النفاق ثوب السـوء وارادة الشر وهم بهذا يفتحون بابا آخر نحن فى غنى عنه ويوجهون الأنظار إلى ما هى غافلة عنه ، ولكن لا بأس فإن الثقة فى الله وحسن الظن فى حكامنا أهل العقل والنظر يبعث الطمأنينة فى النفوس بأن لا يأخذوا بأقوال الوشاة ودعاة الفتنة من الذين لا هم لهم إلا تفريق كلمة المسلمين .

خصوصاً واننا فى ظل هذه الدولة السنية التى تحمى العقيدة الصحيحة الصافية وتبذل جهدها لنشرها والدعوة إليهـا فى ظل دولة التوحيـد التى تنصر العلم وحملته والدعاة إليه وتشجع على البحث العلمى النـزيه النظيف فى أى مجال كان وعلى أى ميدان ومن أى جهـة ، وتكرم فى سـبيل ذلك أهله ، وتقدم لهم الجوائز السخية . والأوسـمة الرفيعـة ، سـواء أكانوا

Marfat.com

مسلمين أم غير مسلمين ، سعوديين أم غير سعوديين على حد سواء فى مجال الدعوة الإسلامية أو البحوث العلمية والتطبيقية لأن المقياس هو العلم والعلم وحده . والبحث وحده . وهى بهذا الموقف تعمل على صقل العقول ، وتنوير البصائر ، وتلاقى الأفكار المعبرة عن المفاهيم التى تجيش فى خواطر العلماء والباحثين وتفيض على قلوبهم . وتتواجد فى نفوسهم . فيجدون السبيل ميسرا للتعبير بالكلمة ، ولا شك أن هذا أقوى سبيل لإظهار الحق وإثباته لأن الوضوح والجلاء هو الأساس فى بناء المجتمع ، وتلاحم أبنائه ، ولا يتم هذا إلا بالتعبير عن المفاهيم التى يحس بها الإنسان ويراها بالنسبة لأى قضية إسلامية واجتماعية .

وهذه القاعدة هى من أجل الأصول التى ينبغى أن تتبع فى الدعوة إلى الإسلام ، لقد أعطى الإسلام الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر فقال : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) .

وأعطى الفرصة لابداء أى اعتراض أو مفهوم أو برهان فى نفس المعارض المعاند فقال : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وطلب من المشركين أن ينظروا ويتفكروا فى أمر الدين تارة منفردين وتارة مجتمعين . وذلك بعقد المجالس والندوات للتشاور فى حقيقة الدين وحقيقة الداعى محمد صلى الله عليه وسلم فقال : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة » .

بل وأعظم من هذا وذلك أنه أعطى الثقة للمعاند ليتقدم ويتكلم ويحس بنفسه وبموقعه وبأنه كائن حى له عقله فلابد أن يعقل وله فهمه فلابد أن يفهم ، وبعد هذا التعقل والتفهم لابد أن نسمع منه ثمرة عقله وثمرة فهمه فقال تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » .

هكذا أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين المبطلين الضالين الذين لا دين لهم صحيح ولا عقيدة معتبرة عند الجدال والمناقشة ، إما أن أكون أنا على هدى أو أنتم ، وإما أن أكون أنا على ضلال أو أنتم .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه المفاهيم عن بعض القضايا الإسلامية

Marfat.com

المختلف فيها بين العلماء والتى لا يستطيع أحد أن يقول إنه اتفقت أراء العلماء فيها على كلمة واحدة .

ولابد من إظهارها ووضعها بين يدى العلماء والباحثين للدراسة والنظر ، فإن كانت صوابا فالحمد لله وذلك من توفيق الله وتسديده وإن كانت خطأ فإنه منى وباجتهادى . وذلك لبيان الحقيقة وتصحيح المفاهيم العامة وليس لنا من وراء ذلك إلا الإصلاح وتوخى الصواب لأننا بشر نصيب ونخطىء وكل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا السيد المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وكل كتاب قابل للزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والإصلاح والتهذيب إلا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومن ادعى سوى ذلك فهو مفتر مستر .

ونحن نعوذ بالله من أن نكون ممن يتعلم العلم للسراة أو للمجادلة كما قال صلى الله عليه وسلم : (من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو يكابر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار) .

رواه الترمذى .

وكتابنا هذا كغيره من الكتب ، قابل للإصلاح والمراجعة ، وأنا بفضل الله أعترف فى كل كتاب أؤلفه بذلك . وأقول فى آخر ما أكتب : (إنى أسأل الله التوفيق والسداد فيما كتبته فإن كان صوابا فمن الله . وإن كان خطأ فمن نفسى واجتهادى . وأرجو ممن يطلع عليه أن يرشدنى وأن يدلنى على أخطائى .

والعلماء لا يزالون يراجع بعضهم بعضا فيما يكتبون ، فإذا حصل الإقناع والرضا لا يتوقف عن الأخذ به إلا مستكبر ، إلا إذا كان له فى ذلك تأويل أو وجهة نظر أو دليل أو شبهة دليل ، فإنه إن لم يلتمس له العذر فأقل ما فى الأمر أن يسكت عنه . والحوار بين العلماء بصورة خاصة يتميز بالموضوعية وروح التفاهم والورع وتقوى الله عز وجل لأن رائدهم جميعاً التوعية والتوجيه والذود عن محارم الله عز وجل والأخذ بيد الناس لكل ما فيه الخير . فهم ورثة الأنبياء . وإنى أسأل الله عز وجل أن يجنبنا مصادر الزلل وأن يهدينا سواء السبيل .

إنه سميع مجيب وبالله التوفيق . .

محمد بن علوى المالكى الحسنى

Marfat.com

منهـــج الكتـــاب

هذا وقد جعلنا هذا الكتاب على ثلاثة أبواب كالآتى :

الباب الأول :

مباحث فى العقيدة وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

الباب الثانى :

مباحث نبوية . وفيها خصائص النبى صلى الله عليه وسلم وحقيقة النبوة وحقيقة البشرية ومفهوم التبرك بالنبى صلى الله عليه وسلم وآثاره .

الباب الثالث :

مباحث مختلفة وفيها بيان الحياة البرزخية ومشروعيـــة الزيارة النبوية وما يتعلق بها من الآثار والمشاهد والمناسبات الدينية .

* * *

Marfat.com

Marfat.com

الباب الأول

مباحث فى العقيدة

وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم

Marfat.com

Marfat.com

التحذير من المجازفة بالتكفير

يخطىء كثير من الناس ـ أصلحهم الله ـ فى فهم حقيقة الأسباب التى تخرج صاحبها عن دائرة الإسلام وتوجب عليه الحكم بالكفر فتراهم يسارعون إلى الحكم على المسلم بالكفر لمجرد المخالفة حتى لم يبق من المسلمين على وجه الأرض إلا القليل ، ونحن نتلمس لهؤلاء العذر تحسينا للظن . ونقول لعل نيتهم حسنة من دافع واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكن فاتهم ان واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابد فى أدائه من الحكمة والموعظة الحسنة وإذ اقتضى الأمر المجادلة يجب أن تكون بالتى هى أحسن كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .. وذلك أدعى إلى القبول وأقرب للحصول على المأمول ومخالفته خطأ وحماقة .

فإذا دعوت مسلما يصلى ، ويؤدى فرائض الله ، ويجتنب محارمه وينشر دعوته ، ويشيد مساجده ، ويقيم معاهده ، إلى أمر تراه حقا ويراه هو على خلافك ، والرأى فيه بين العلماء مختلف قديما اقرارا وإنكارا فلم يطاوعك فى رأيك فرميته بالكفر لمجرد مخالفته لرأيك فقد قارفت عظيمة نكراء ، وأتيت أمراً إدّاً نهاك عنه الله ودعاك إلى الأخذ فيه بالحكمة والحسنى .

وقد انعقد الاجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفى الصانع القادر جل وعلا أو شرك جلى لا يحتمل التأويل أو إنكار النبوة أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أو إنكار متواتر أو مجمع عليه ضرورة من الدين .

والمعلوم من الدين ضرورة كالتوحيد والنبوات وختم الرسالة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والبعث فى اليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار يكفر جاحده ، ولا يعذر أحد من المسلمين بالجهل به إلا من كان حديث عهد فى الإسلام فإنه يعذر إلى أن يتعلمه فإنه لا يعذر بعده .

Marfat.com

والمتواتر الخبر الذى يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم اما من حيث الاسناد كحديث :

« من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » ..

واما من حيث الطبقة كتواتر القرآن فإنه تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً درساً وتلاوة وحفظا وتلقاه الكافة عن الكافة طبقة عن طبقة فلا يحتاج إلى إسناد .

وقد يكون تواتر عمل وتوارث كتواتر العمل على شىء من عصر النبوة إلى الآن ، أو تواتر علم كتواتر المعجزات فإن مفرداتها وان كان بعضها آحادا لكن القدر المشترك منها متواتر قطعاً فى علم كل إنسان مسلم .

وان الحكم على المسلم بالكفر فى غير هذه المواطن التى بيناها أمر خطير ، وفى الحديث إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما (رواه البخارى عن أبى هريرة) .

ولا يصح صدوره إلا مسن عرف بنور الشريعة مداخل الكفر ومخارجه والحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان فى حكم الشريعة الغراء .

فلا يجوز لأى إنسان الركض فى هذا الميدان والتكفير بالأوهام والمظان دون تثبت ويقين وعلم متين وإلا اختلط سيلها بالأبطح ونم يبق مسلم على وجه الأرض إلا القليل .

كما لا يجوز التكفير بارتكاب المعاصى مع الإيمان والإقرار بالشهادتين وفى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم :

« ثلاث من أصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الاسلام بالعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالأقدار » ..

(أخرجه أبو داود) ..

وكان إمام الحرمين يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضى التكفير من العبارات مما لا يقتضى لقلنا هذا ورع فى غير مطمع فإن هذا بعيد المدرك

Marfat.com

وعر المسلك يستمد من أصول التوحيد ومـن لم يحظ بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق .

لذلك نحذر كل التحذير من المجازفة بالتكفير فى غير المواطن السـابق بيانها لأنه جد خطير والله الهادى إلى سواء السبيل وإليه المصير .

* * *

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

ولأجل ما بينا كانت كراهة المسلمين ومقاطعتهم ومدابرتهم محرّمة وكان سباب المسلم فسوقا وقتاله كفراً إذا استحل .

وكفى رادعاً فى هذا الباب حديث سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه فى سريته إلى بنى جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ، فلما انتهى إليهم تلقوه فقال لهم أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون ، قال فالقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم وتفرقت بقية القوم ، وفى رواية انتهى خالد إلى القوم فتلقوه فقال لهم ما أنتم أى : امسلمون !! أم كفار قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنينـا المساجد فى ساحتنا وأذنا فيها وفى لفظه لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا قال فما بال السلاح عليكم قالوا إن بيننا وبين قوم من العـرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى أصحابه فلما كان السحر نادى منادى خالد من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهـم وامتنع المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل خالد . قال : اللهم انى أبرأ إليك مما صنع خالد ، قال ذلك مرتين .

وقد يقال أن سيدنا خالداً فهم أنهم قالوا ذلك على سبيل الأنفة وعـدم الانقياد إلى الاسلام وإنما أنكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم العجلة وعدم

Marfat.com

التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا وقد قال عليه الصلاة والسلام نعم عبد الله أخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين .

وكذلك قصة سيدنا أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه فيما رواه عنه البخارى عن أبى ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا إله الا الله فكف الأنصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت ذلك اليوم ، وفى رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : الا شققت على قلبه فتعلم أصادق أم كاذب ، فال أسامة : لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا الله .

وقد سئل على ــ رضى الله عنه ــ عن المخالفين له من الفرق أكفارهم ؟ قال : لا ، إنهم من الكفر فروا ، فقيل : أمنافقون هم ؟ فقال : لا ، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، وهؤلاء يذكرون الله كثيرا ، فقيل : أى شىء هم ؟ قال : قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصمّوا .

* * *

Marfat.com

مقام الخالق ومقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ونعتقد أن من خلط بين المقامين فقد كفر والعياذ بالله .

ولكل مقام حقوقه الخاصة ولكن هناك أموراً ترد فى هذا الباب وخصوصاً فيما يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم وخصائصه التى تميزه عن غيره من البشر وترفعه عليهم هذه الأمور قد تشتبه على بعض الناس لقصر عقولهم وضعف تفكيرهم وضيق نظرهم وسوء فهمهم فيبادرون إلى الحكم بالكفر على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام ظنا منهم أن فى ذلك تخليطا بين مقام الخالق والمخلوق ورفعا لمقام النبى صلى الله عليه وسلم إلى مقام الألوهية وإننا نبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك .

وإننا بفضل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى وما يجب لرسوله صلى الله عليه وسلم ونعرف ما هو محض حق لله تعالى وما هو محض حق لرسوله صلى الله عليه وسلم مِن غير غلو ولا إطراء يصل إلى حد وصفه بخصائص الربوبية والألوهية فى المنع والعطاء والنفع والضر الاستقلالى [دون الله تعالى] والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة والخلق والملك والتدبير والتفرد بالكمال، والجلال والتقديس والتفرد بالعبادة بمختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها .

أما الغلو الذى يعنى التغالى فى محبته وطاعته والتعلق به ، فهذا محبوب ومطلوب كما جاء فى الحديث :

« لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم » ..

والمعنى أن اطراءه والتغالى فيه والثناء عليه بما سوى ذلك هو محمود ولو كان معناه غير ذلك لكان المراد هو النهى عن اطرائه ومدحه أصلا ومعلوم أن هذا لا يقوله أجهل جاهل فى المسلمين فإن الله تعالى عظم النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن بأعلى أنواع التعظيم . فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه .. نعم يجب علينا أن لا نصفه بشىء من صفات الربوبية

ورحم الله القائل حيث قال :

Marfat.com

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك . بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظمهم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وقال تعالى : « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام فإنها أحجار ، وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليمانى وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام ، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ، ونحن فى ذلك كله لم نعبد إلا الله تعالى ولم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى .

* * *

مقام المخلوق

أما هو صلى الله عليه وسلم فإننا نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم بشر يجوز عليه ما يجوز على غيره من البشر من حصول الأعراض والأمراض التى لا توجب النقص والتنفير كما قال صاحب العقيدة :

وجائز فى حقهم من عرض بغير نقص كخفيف المرض

وأنه صلى الله عليه وسلم عبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً إلا ما شاء الله قال تعالى : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » الأعراف : ١٨٨ .

وأنه صلى الله عليه وسلم قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة

Marfat.com

وكشف الغمة وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين فانتقل إلى جوار ربه راضيا مرضياً كما قال تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » .

وقال : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون » .

والعبودية هى أشرف صفاته صلى الله عليه وسلم ولذلك فإنه يفتخر بها ويقول [إنما أنا عبد] ووصفه الله بها فى أعلى مقام « سبحان الذى أسرى بعبده » وقال : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » والبشرية هى عين إعجازه فهو بشر من جنس البشر لكنه متميز عنهم بما لا يلحقه به أحد منهم أو يساويه كما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه فى الحديث الصحيح :

« انى لست كهيئتكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » ..

وبهذا ظهر أن وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشرية يجب أن يقترن بما يميزه عن عامة البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة وهذا ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل هو عام فى حق جميع رسل الله سبحانه وتعالى لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم وذلك لأن ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هى نظرة جاهلية شركية ، وفى القرآن شواهد كثيرة على ذلك فمن ذلك قول قوم نوح فى حقه فيما حكاه الله عنهم إذ قال : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا » سورة هود : ٢٧ .

ومن ذلك قول قوم موسى وهارون فى حقهما فيما حكاه الله عنهم إذ قال : « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون » المؤمنون : ٤٧ .

ومن ذلك قول ثمود لنبيهم صالح فيما حكاه الله عنه بقوله : « ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين » سورة الشعراء : ١٥٤ .

ومن ذلك قول أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله : « قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين » سورة الشعراء : ١٨٦ .

ومن ذلك قول المشركين فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد

Marfat.com

رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقـوله : « وقالوا ما لهـذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق » ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالى به من عظيم الصفات وخوارق العادات التى تميز بها عن سائر أنواع البشر (١) .

فمن ذلك ما جاء فى الحديث الصحيح أنه قال : تنام عيناى ولا ينـام قلبى . وجاء فى الصحيح أنه قال :

« انى اراكم من وراء ظهرى كما اراكم من امامى » ..

وجاء فى الصحيح أنه قال :

« اوتيت مفاتيح خزائن الأرض » ..

وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قد مات إلا أنه حى حياة برزخيـة كاملة يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه صلاة من يصلى عليه وتعرض عليه أعمال الأمة فيفرح بعمل المحسنين ويستغفر للمسـيئين وأن الله حـرم على الأرض أن تأكل جسده فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيـه فان صلاتكم معروضة على . قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعنى بليت ؟ فقال : « ان الله عز وجل حـرم على الارض ان تاكل اجساد الأنبياء » ..

رواه أحمـد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صـحيحه والحـاكم وصححه .

وفى ذلك رسالة خاصة للحافظ جلال الدين السيوطى أسماها « إنبـاء الأذكياء بحياة الأنبياء » .

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) سيأتى بحث خاص فى هذا الموضوع بعنوان « الانبياء بشر ولكن » .

Marfat.com

« حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا انا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على اعمالكم فان رايت خيرا حمدت الله وان رايت شرا استغفرت لكم ».

قال الهيثمى : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام » ..

رواه أحمد وأبو داود . قال بعض العلمـــاء رد على روحى أى نطقى

وعن عمار بن يسار رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وكل بقبرى ملكا اعطـــاه الله اسماع الخلائق فلا يصلى على احد الى يوم القيامة الا ابلغنى باسمه واســـم ابيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك » .

رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبـــان ولفظه : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان لله تبارك وتعالى ملكا أعطاه اسماع الخـــلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس احد يصلى على صلاة الا قال : يا محمد صلى عليك فلان بن فـــلان قال : فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا » ..

رواه الطبرانى فى الكبير بنحوه (١) .

وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قـــد مات إلا أن فضـــله ومقـــامه وجاهه عند ربه باق لاشك فى ذلك ولا ريب عند أهل الإيمان ولذلك فإن التوسل به إلى الله سبحانه وتعالى إنما يرجع فى الحقيقة إلى اعتقاد وجود تلك المعانى واعتقاد محبته وكرامته عند ربه وإلى الإيمان به وبرسالته وليس هو عبادة له بل إنه مهما عظمت درجته وعلت رتبته فهو مخلوق لا يضر ولا ينفع من دون الله الا بإذنه .

قال تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد »

* * *

(١) كثير من هذه الاحاديث سيأتى مفصلا فى مباحث اخرى من هذه الرسالة لمناسبة اخرى والحديث الواحد يستدل به العلماء على اكثر من مسألة فى اكثر من موضع واحد .

Marfat.com

أمور مشتركة بين المقامين
لا تنافى التنزيه

وقد أخطأ كثير من الناس فى فهم بعض الأمور المشتركة بين المقامين (مقام الخالق ومقام المخلوق) فظن أن نسبتها إلى مقام المخلوق شرك بالله تعالى .

ومن ذلك بعض الخصائص النبوية مثلا [1] ، التى يخطىء بعضهم فى فهمها فيقيسونها بمقياس البشرية ، ولذلك يستكثرونها ويستعظمونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرون أن وصفه بها معناه وصفه ببعض صفات الألوهية ، وهذا جهل محض لأنه سبحانه وتعالى يعطى من يشاء وكما يشاء بلا موجب ملزم وإنما هو تفضل على من أراد إكرامه ورفع مقامه وإظهار فضله على غيره من البشر ، وليس فى ذلك انتزاع لحقوق الربوبية وصفات الألوهية . فهى محفوظة بما يناسب مقام الحق سبحانه وتعالى . وإذا اتصف المخلوق بشىء منها فيكون بما يناسب البشرية من كونها محدودة مكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته لا بقوة المخلوق ولا تدبيره ولا أمره إذ هو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. وكم من أمور جاء ما يدل على أنها حق لله سبحانه وتعالى . ولكنه سبحانه وتعالى منّ بها على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره .

وحينئذ فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية أو يجعله شريكا لله سبحانه وتعالى .

فمنها : الشفاعة ، فهى لله قال الله تعالى : « قل لله الشفاعة » وهى ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولغيره من الشفعاء بإذن الله كما جاء فى الحديث :

« أوتيت الشفاعة » ..

---

(١) سيأتى فى هذه الرسالة بحث خاص عن الخصائص المحمدية وموقف العلماء منها وما نذكره هنا هو من باب التنظير .

Marfat.com

وحديث :

« انا اول شافع ومشفع » ..

ومنها : علم الغيب ، فهو لله سبحانه وتعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » . وقد ثبت أن الله تعالى علم نبيه من الغيب ما علمه وأعطاه ما أعطاه « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول » .

ومنها : الهداية فهى خاصة بالله تعالى . قال الله تعالى : « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم له شىء من ذلك فقال : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » والهداية الأولى غير الهداية الثانية . وهذا إنما يفهمه العقلاء من المؤمنين الذين يعرفون الفرق بين الخالق والمخلوق . ولولا ذلك لاحتاج أن يقول : وإنك لتهدى هداية إرشاد ، أو أن يقول : وإنك لتهدى هدايةغير هدايتنا ، ولكن كل ذلك لم يحصل . بل أثبت له هداية مطلقةبلا قيد ولا شرط ، لأن الموحد منا معشر المخاطبين من أهل الإسلام يفهم معانى الألفاظ ويدرك اختلاف مدلولاتها بالنسبة لما أضيف إلى الله وبالنسبة لما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظير هذا ما جاء فى القرآن من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرأفة والرحمة إذ يقول : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه بذلك أيضا فى أكثر من موضع ، فهو سبحانه وتعالى « رؤوف رحيم » ومعلوم أن الرأفة والرحمة الثانية غير الأولى . ولما وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك الوصف وصفه به بالإطلاق بلا قيد ولا شرط ، لأن المخاطب وهو موحد مؤمن بالله يعلم الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذلك لاحتاج أن يقول فى وصفه صلى الله عليه وسلم رؤوف برأفة غير رأفتنا ورحيم برحمة غير رحمتنا ، أو أن يقول : رؤوف برأفة خاصة أو رحيم برحمة خاصة أو أن يقول : رؤوف برأفة بشرية ورحيم برحمة بشرية ، ولكن كل ذلك لم يحصل بل أثبت له رأفة مطلقة ورحمة مطلقة بلا قيد ولا شرط فقال : بالمؤمنين رؤوف رحيم .

* * *

Marfat.com

المجاز العقلى واستعماله

ولاشك أن المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة ، فمن ذلك قوله تعالى : « وإذا تليت عليهم آياته زادته إيمانا » فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلى لأنها سبب فى الزيادة ، والذى يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده . وقوله تعالى : « يوما يجعل الولدان شيبا » فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلى لأن اليوم محل جعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع فى اليوم ، والجاعل حقيقة هو الله تعالى ، وقوله تعالى : « ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً » فإن إسناد الاضلال إلى الأصنام مجاز عقلى لأنها سبب فى حصول الاضلال والهادى والمضل هو الله تعالى وحده . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : « ياهامان ابن لى صرحا » فإسناد البناء إلى هامان مجاز عقلى لأنه سبب فهو آمر يأمر ولا يبنى بنفسه والبانى إنما هم الفعلة « من العمال » . وأما الأحاديث ففيها شىء كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقى والمجازى فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها وقال العلماء : إن صدور ذلك الإسناد من موحد كاف فى جعله إسنادا مجازيا لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحى ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض ، بخلاف ما لو اعتقد غير هذا فإنه يقع فى الاشراك .

* * *

ضرورة ملاحظة النسبة المجازية فى مقياس الكفر والايمان

وقد تمسكت طوائف من أهل الضلالات بذيل شبهة ظواهر الألفاظ دون نظر إلى القرائن والمقاصد وبدون نظر إلى الجمع بما لا يؤدى إلى التعارض بين الوارد كالقائلين بخلق القرآن تمسكوا بنحو قوله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » والقائلين بالقدر تمسكوا بنحو قوله تعالى : « بما كسبت

Marfat.com

أيديكم بما كنتم تعملون » إلى غير ذلك ، والقائلين بالجبر تمسكوا بنحو قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » .. « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

وكشف الغطاء عن ذلك أن جميع الأمة غير القدرية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى : « والله خلقكم وما تعلمون » وقوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . وإن كان يجوز أن يوصف بها العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب كما فى قوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقوله تعالى . « بما كسبت أيديكم » إلى غير ذلك من الآيات المصرحة بإضافة الكسب إلى العبد . وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط لأن قدرة الله تعالى فى الأزل كانت متعلقة بالعالم قبل اختراعه تعالى لوجوده ، وهى عند اختراعه متعلقة به بنوع آخر من التعلق .

حقيقة نسبة الأفعال للعباد :

ومن هذا يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها . وأفعال العباد نسبتها إليهم على طريق الكسب لا الاختراع لأن الله تعالى هو المخترع لها ، والمقدر لها ، والمريد لها . ولا يرد أنه كيف يريد ما نهى عنه لأن الأمر يغاير الارادة بدليل أمره جميع الناس بالإيمان ولم يرده من أكثرهم لقوله تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » . فنسبة الأفعال إلى العباد من نسبة المسبب إلى السبب أو الواسطة . وهذا لا منافاة فيه لأن مسبب الأسباب هو الذى خلق الواسطة وخلق فيها معنى الوساطة ولولا ذلك الذى أودع الله تعالى فيها لم تصلح أن تكون واسطة وسواء كانت مما لم يودع العقل كالجماد والأفلاك والمطر والنار ، أو كانت عاقلة من ملك أو إنسى أو جنى .

اختلاف المعنى باختلاف النسبة اللفظية :

ولعلك تقول : لا تعقل نسبة الفعل الواحد إلى فاعلين لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فنقول : نعم ، هو كما قلتم لكن محله إذا لم يكن الفاعل إلا معنى واحد فى الاستعمال .

Marfat.com

أما إذا كان له معنيان فيكون الاسم مجملا مرددا بينهما فى الاستعمال وحينئذ لا يمتنع إطلاقه على كل منهما كما هو المعلوم من الاستعمال فى الأسماء المشتركة أو فى الحقيقة والمجاز كما يقال : قتل الأمير فلانا ، ويقال: قتله السياف فاطلاق القتل على الأمير بمعنى غير المعنى الذى أطلق به على السياف فقولنا : إن الله تعالى فاعل بمعنى أنه المخترع الموجد . وقولنا : إن المخلوق فاعل فمعناه أنه المحل الذى خلق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم ، فارتباط القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع . هذا إذا كان المحل عاقلا وإلا فهو من ترتيب المسببات على أسبابها ، فصح أن يسمى كل ماله ارتباط بقدرة فاعلا كيفما كان الارتباط ، كما يسمى السياف قاتلا باعتبار ، والأمير قاتلا باعتبار لأن القتل ارتبط بكليهما وإن كان ارتباطه على وجهين مختلفين ساغ تسمية كل منهما فاعلا ، فمثل ذلك اعتبار المقدورات بالقدرتين . والدليل على جواز هذه النسبة وتطابقها نسبة الله تعالى الأفعال إلى الملائكة تارة وتارة إلى غيرهم من العباد ومرة أخرى نسبها بعينها إلى نفسه فقال تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » وقال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » وقال تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون » بالإضافة إلينا ثم قال تعالى : « أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا » الآية . وقال تعالى : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » ثم قال تعالى : « فنفخنا فيها من روحنا» والنافخ جبريل عليه السلام ، وقال تعالى : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » والقارىء الذى يسمع النبى قراءته جبريل ،وقال تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » .. « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » فنفى عنهم القتل وأثبته لنفسه ، ونفى عنه الرمى وأثبته لنفسه وليس المراد نفى الحس عن قتلهم الكفار ورميه لهم عليه السلام بالحصباء ولكن المعنى أنهم ما قتلوهم ولا رماهم بالمعنى الذى يكون الرب به قتلهم ورماهم وهو الاختراع والتقدير إذ هما معنيان مختلفان ، وتارة ينسب الفعل إليهما معا كقوله تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله » .

Marfat.com

وروت عائشة ــ رضى الله عنها ــ : ان الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق الجنين يبعث ملكا فيدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا ، فيقول : يارب أذكر أم أنثى ؟ أسوى أم معوج ؟ فيقول تعالى : ما شاء ويخلق الملك ، وفى لفظ آخر : فيصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة .

فإذا فهمت هذا اتضح لك أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة ولا تناقض بينهما ، ولذلك الفعل ينسب تارة للجماد كما فى قوله تعالى : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » فالشجرة لا يتأتى منها الاتيان بثمرها ، وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم للذى ناوله تمرة : خذها لو لم تأتها لأتتك . . كما فى الطبرانى وابن حبان ، فإضافة الاتيان تختلف إلى الرجل وإلى التمرة ، فمعنى إتيان التمرة غير معنى إتيان الرجل ، فالإتيان منهما مجازان مختلفان فى الاعتبار فمجاز إطلاق الإتيان على الرجل بمعنى أن الله خلق فيه القدرة والارادة للإتيان بها . وإتيان التمرة بمعنى أن الله يسبب من يأتى بها والحقيقة إنما هى إضافة الإتيان إلى الله تعالى فى كل منهما ، ولأجل اختلاف الاعتبار فى الوسائط تارة تكون ملاحظة الوسائط فى الأفعال كفرا كما فى جواب قارون لموسى عليه السلام بقوله : « إنما أوتيته على علم عندى » وكما فى حديث : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ، وهذا الكفر باعتبار أن الواسطة مؤثرة ومخترعة . قال النووى : اختلف العلماء فى كفر من قال : مطرنا بنوء كذا على قولين :

احدهما :

هو كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشىء للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ، ومن اعتقد هذا فلاشك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء ، والشافعى منهم وهو ظاهر فى الحديث ، قالوا : وعلى هذا لو قال :مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته

Marfat.com

وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال : مطرنا فى وقت كذا ، فهذا لا يكفر .

واختلفوا فى كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها ، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم .

والقول الثانى :

فى أصل تأويل الحديث : أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث إلى الكوكب ، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة فى الباب : أصبح من الناس شاكر وكافر . وفى الرواية الأخرى :ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين . فقوله : بها يدل على أنه كفر النعمة . والله أعلم اهـ . فأنت تراه قال باتفاق العلماء على أن من نسب الفعل إلى الواسطة لا يكفر إلا إذا اعتقد أنها هى الفاعلة المدبرة المخترعة وإذا لم تكن ملاحظة الواسطة بهذا الاعتبار بحيث أن الواسنطة علامة أو ظرف الخلق المقدور فيها فلا كفر، بل تارة يندب الشرع إلى ملاحظتها كقول النبى صلى الله عليه وسلم .

« من أسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه » .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ..

وذلك لأن ملاحظة الواسطة بهذا الاعتبار لا ينافى رؤية المنة لله سبحانه وتعالى . وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم بل وأثابهم عليها وهو الباعث لارادتهم لها . والخالق لقدرتهم عليها كقوله تعالى : « نعم العبد إنه أواب » وقوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » وقال تعالى : « قد أفلح من زكاها » الآية .

وإذا ظهر لك أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعانى إذا فهمت .

Marfat.com

فالمعانى أوسع من العبارات ، والصدور أوسع من الكتب المؤلفات ، ولو وقفنا مع حقيقة اللفظ دون المجاز ، لم نجد إلى الجمع بين النصوص أو التفرقة من جواز ، الا ترى إلى ما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم عليه السلام من قوله : « رب إنهن أضللن كثيرا من الناس » أترى أن إبراهيم يشرك مع الله تعالى الجماد وهو القائل : « أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » والأمر الجامع فى ذلك أن من أشرك مع الله جل جلاله غيره فى الاختراع والتأثير فهو مشرك سواء كان الملحوظ معه جمادا أو آدميا نبيا أو غيره أو ملكا أو جنا أو عملا عمله ، ومن اعتقد السببية فى شىء من ذلك اطردت أو لم تطرد ، فجعل الله تعالى لها سببا لحصول مسبباتها وأن الفاعل هو الله وحده لا شريك له فهو مؤمن ولو أخطأ فى ظنه ما ليس بسبب سببا لأن خطأه فى السبب لا فى المسبب الخالق المدبر . جل جلاله وعظم شأنه .

* * *

Marfat.com

التعظيم بين العبادة والأدب

يخطىء كثير من الناس فى فهم حقيقة التعظيم وحقيقة العبادة فيخلطون بينهما خلطا بينا ويعتبرون أن أى نوع من أنواع التعظيم هو عبادة للمعظم فالقيام وتقبيل اليد وتعظيم النبى صلى الله عليه وسلم بسيدنا ومولانا والوقوف أمامه فى الزيارة بأدب ووقار وخضوع ، كل ذلك غلو يؤدى إلى العبادة لغير الله تعالى وهذا فى الحقيقة جهل وتعنت لا يرضاه الله ولا رسوله وتكلف تأباه روح الشريعة الإسلامية .

فهذا آدم أول الجنس الإنسانى ، وأول عباد الله الصالحين من هذا الجنس أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له إكراما وتعظيما لما آتاه من علمه وإعلاما لهم باصطفائيته من بين سائر مخلوقاته قال تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على » إلى آخر الآية.وفى آية أخرى قال « أنا خيرمنه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .. وفى آية أخرى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين » .. فالملائكة عليهم السلام عظموا من عظمه الله وإبليس تكبر أن يسجد لمن خلق من طين فهو أول من قاس الدين برأيه وقال أنا خير منه ، وعلل ذلك بعلة خلقه من نار وخلق آدم من طين وأنف من تكرمته عليه واستنكف من السجود له فهو أول المتكبرين ولم يعظم من عظمه الله ، فطرد من رحمة الله لتكبره على هذا العبد الصالح وهو عين التكبر على الله لأن السجود إنما هو لله إذ هو بأمره وإنما جعل السجود له تشريفاً وتكريماً له عليهم وكان من الموحدين فلم ينفعه توحيده .

ومما جاء فى تعظيم الصالحين قال الله تعالى فى حق يوسف عليه السلام : « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا » تحية وتكريما وتشريفا وتعظيما له عليهم والسجود من إخوته له إلى الأرض يدل عليه قوله تعالى وخروا . ولعله كان جائزا فى شرعهم ، أو كسجود الملائكة لآدم عليه السلام تشريفا وتعظيما وامتثالا لأمر الله تأويلا لرؤيا يوسف إذ رؤيا الأنبياء وحى .

Marfat.com

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى فى حقه : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه » وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » وقال : « يا أيها الذين آمنوا! لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » الآيات الثلاث وقال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام . قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول أى لا تتكلموا قبله ، وإذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتوا بشىء فى ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به . ثم وعظهم وحذرهم من مخالفة ذلك فقال « واتقوا الله إن الله سميع عليم » . قال السلمى اتقوا الله فى إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد مكى أى لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يجب أن ينادى به يا رسول الله ، يا نبى الله ، وهذا كقوله فى الآية الأخرى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبوط أعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه .. والآية نزلت فى جماعة أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون .

يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وما كان أحد أحب إلىّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنى لم أكن أملأ عينى منه .

وروى الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم لهما .

Marfat.com

وروى أسامة بن شريك قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير وفى صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وإنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكانوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إنى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه وفى رواية إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا .

وأخرج الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال :

« كنا جلوسا عند النبى ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير . ما يتكلم منا متكلم ، اذ جاءه اناس فقالوا : من احب عباد الله الى الله تعالى ؟ قال احسنهم خلقا . كذا فى الترغيب » ..

(ج ٤ ص ١٨٧) وقال : رواه الطبرانى برجال محتج بهم فى الصحيح .

وأخرج أبو يعلى وصححه عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال :

لقد كنت اريد ان اسال رسول الله ﷺ عن الأمر فاؤخره سنتين من هيبته » ..

وأخرج البيهقى عن الزهرى قال :

« حدثنى من لا اتهم من الأنصار ان رسول الله ﷺ كان اذا توضا او تنخم ابتدروا نخامته فمسحوا بها وجوههم وجلودهم . فقال رسول الله ﷺ : لم تفعلون هذا ؟ قالوا : نلتمس به البركة . فقال رسول الله ﷺ : من احب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره.

Marfat.com

كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٨) .

والحاصل أن هنا أمرين عظيمين لابد من ملاحظتهما أحدهما وجوب تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق . والثانى أفراد الربوبية واعتقاد ان الله تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه . فمن اعتقد فى مخلوق مشاركة البارى سبحانه وتعالى فى شىء من ذلك فقد اشرك ـ كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شىء من مرتبته فقد عصى أو كفر .

وأما من بالغ فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم بأنواع التعظيم ولم يصفه بشىء من صفات البارى عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا . وذلك هو القول الذى لا افراط فيه ولا تفريط .

واذا وجد فى كلام المؤمنين اسناد شىء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل إلى تكفيرهم إذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة .

* * *

Marfat.com

الواســـطة الشركية

يخطىء كثير من الناس فى فهم حقيقة الواسطة فيطلقون الحـكم هكذا جزافا بأن الواسطة شرك . وانمن اتخذ واسطة بأى كيفية كانت فقد أشرك بالله وأن شأنه فى هذا شأن المشركين القائلين : « إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى » وهذا كلام مردود والاستدلال بالآية فى غير محله . وذلك لأن هذه الآية الكريمـة صريحة فى الانـكار على المشركين عبـادتهم للأصنام واتخاذها آلهة من دونه تعالى وإشراكهم إياها فى دعـوى الربوبيـة على أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفى ، فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله .

وهنا مهمة لابد من بيانها وهى أن هذه الآية تشهد بأن أولئك المشركين ما كانوا جادين فيما يحكى ربنا عنهم من قولهم مسوغين عبادة الأصـنام : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فإنهم لو كانوا صادقين فى ذلك لكان الله أجل عندهم من تلك الأصنام ، فلم يعبدوا غيره وقد نهى الله المسـلمين من سب أصنامهم بقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون مـن دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » .

روى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن سيدنا قتادة رضى الله عنه أنه قال : « كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عز وجل فأنزل الله : « ولا تسـبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » هذا سبب نزول هذه الآية . فهى إذن تنهى المؤمنين نهى تحريم شديد أن يقولوا كلمة نقص فى الحجارة التى كان يعبدها الوثنيون بمكة المشرفة ، لأن قول تلك الكلمة يتسبب عنه غضب أولئك الوثنيين غيرة على تلك الأحجار التى كانوا يعتقدون من صميم قلوبهم أنها آلهة تنفع وتضر ، وإذا غضبوا قابلوا المسلمين بالمثل فيسـبون ربهم الذى يعبدونه وهو رب العالمين . ويرمونه بالنقائص وهو المنزه عـن

Marfat.com

كل نقص ، ولو كانوا صادقين بأن عبادتهم لأصنامهم تقربهم إلى الله زلفى ما اجترؤا أن يسبوه انتقاما ممن يسبون الهتهم فإن ذلك واضح جدا فى أن الله تعالى فى نفوسهم أقل من تلك الحجارة .

وقل ذلك أيضا فى قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » فانهم لو كانوا يعتقدون حقا أن الله تعالى الخالق وحده وأن أصنامهم لا تخلق ، لكانت عبادتهم لله وحده دونها أو لكان على الأقل احترامهم له تعالى فوق احترامهم لتلك الحجارة . وهل هذا يتفق مع شتمهم له عز وجل غيرة على حجارتهم وانتقاما لها منه سبحانه وتعالى ؟ إن البداهة تحكم أنه لا يتفق أبدا ، وليست الآية التى معنا وحدها تدل على أن الله تعالى أقل عند أولئك المشركين من حجارتهم بل لها أمثال ! منها قوله تعالى : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون » فلولا أن الله تعالى أقل فى نفوسهم من تلك الحجارة ما رجحوها عليه هذا الترجيح الذى تحكيه هذه الآية واستحقوا عليه حكم الله عليهم بقوله : « ساء ما يحكمون » .

ومن هذا القبيل قول أبى سفيان رضى الله عنه قبل إسلامه : « اُعْل هُبل » كما رواه البخارى ينادى صنمهم المسمى بهُبَل أن يعلو فى تلك الشدة رب السموات والأرض ويقهره ليغلب هو وجيشه جيش المؤمنين الذى يريد أن يغلب آلهتهم . هذا مقدار ما كان عليه أولئك المشركون مع تلك الأوثان ومع الله رب العالمين .

فليعرف حق المعرفة فإن كثيرا من الناس لا يفهمونه كذلك ويبنون عليه ما يبنون .

الا ترى أن الله لما أمر المسلمين باستقبال الكعبة فى صلاتهم توجهو بعبادتهم إليها واتخذوها قبلة ؟ وليست العبادة لها وتقبيل الحجر الأسود إنما هو عبودية لله تعالى ، واقتداء بالنبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولو أن أحداً من المسلمين نوى العبادة لهما لكان مشركا كعبدة الأوثان .

فالواسطة لابد منها وهى ليست شركا وليس كل من اتخذ بينه وبين الله

Marfat.com

واسطة يعتبر مشركا وإلا لكان البشر كلهم مشركين بالله لأن أمورهم جميعاً تنبنى على الواسطة فالنبى صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن بواسطة جبريل فجبريل واسطة للنبى صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى للصحابة رضى الله تعالى عنهم فقد كانوا يفزعون إليه فى الشدائد فيشكون إليه حالهم ويتوسلون به إلى الله ويطلبون منه الدعاء فما كان يقول لهم أشركتم وكفرتم فإنه لا يجوز الشكوى إلىَّ ولا الطلب منى بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسألوا بأنفسكم فإن الله أقرب إليكم منى لا ، لا بل يقف ويسأل مع أنهم يعلمون كل العلم أن المعطى حقيقة هو الله وأن المانع والباسط والرازق هو الله ، وأنه صلى الله عليه وسلم يعطى بإذن الله وفضله وهو الذى يقول (إنما أنا قاسم والله معط) وبذلك يظهر أنه يجوز وصف أى بشر عادى بأنه فرج الكربة وقضى الحاجة أى كان واسطة فيها فكيف بالسيد الكريم والنبى العظيم أشرف الكونين وسيد الثقلين وأفضل خلق الله على الاطلاق ؟ ألم يقل النبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الصحيح :

« من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا » ؟

فالمؤمن مفرج الكربات .

ألم يقل صلى الله عليه وسلم :

« من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له »

فالمؤمن قاض للحاجات .

ألم يقل فى الصحيح :

« من ستر مسلما » ..

الحديث ؟

ألم يقل النبى صلى الله عليه وسلم :

« ان لله عز وجل خلقا يفزع اليهم فى الحوائج » ؟ ..

ألم يقل فى الصحيح :

« والله فى عون العبد مادام العبد فى عون اخيه » ؟ ..

Marfat.com

ألم يقل فى الحديث :

« من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وتسعين حسنة » ..

رواه أبو يعلى والبزار والبيهقى . فالمؤمن هنا فرج وأعان وأغاث وقضى وستر وفزع إليه مع أن المفرج والقاضى والستار والمعين حقيقة هو الله عز وجل لكنه لما كان واسطة فى ذلك صح نسبة الفعل إليه .

وقد جاء فى الأحاديث النبوية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة تفيد أن الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب عن أهل الأرض بالمستغفرين وعمار المساجد وأن الله سبحانه وتعالى يرزق بهم أهل الأرض وينصرهم ويصرف عنهم البلاء والغرق .

روى الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن عن مانع الديلمى رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم رض رضا » ..

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم » ..

وروى الترمذى وصححه والحاكم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لعلك ترزق به » ..

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع اليهم الناس فى حوائجهم اولئك الآمنون من عذاب الله تعالى » ..

رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم والقضاعى وهو حسن .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله عز وجل مادام فيهم » .

Marfat.com

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه بلاء » ..

ثم قرأ ابن عمر : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » رواه الطبرانى .

وعن ثوبان رفع الحديث قال :

« لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى ياتى أمر الله » ..

وعن عبادة بن الصامت قال : قال صلى الله عليه وسلم :

« الأبدال فى امتى ثلاثون ، بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون قال قتادة : انى لارجو آن يكون الحسن منهم » ..

رواه الطبرانى .

ذكر هذه الأحاديث الأربعة الحافظ ابن كثير فى التفسير عند قوله تعالى « ولولا دفع الله الناس » ــ فى سورة البقرة ــ وهى صالحة للاحتجاج . ومن مجموعها يصير الخبر صحيحا .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لن تخلو الأرض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن ، فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر » ..

رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن . (كذا فى مجمع الزوائد ج ١٠ / ٦٢) .

الواسطة العظمى :

وفى يوم المحشر الأعظم الذى هو يوم التوحيد ويوم الإيمان يوم يبرز العرش ؛ يظهر فضل الواسطة العظمى صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود الشافع المشفع الذى لا ترد شفاعته ولا تضيع ضمانته عند من وعده بأن لا يخيب ظنه ولا يخزيه أبدا ولا يحزنه ولا يسوؤه فى أمته حيث يتوجه الخلق إليه ويستشفعون به فيقوم فلا يرجع إلا بخلعة الاحسان وتاج الكرامة المتمثل فى قول الله له : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط .

* * *

Marfat.com

ثوب الـــزور

الأدعياء والمتطفلون على بساط الحقيقة كثيرون ، والحقيقة بريئة منهم ولا تعترف لهم بصحة نسبتهم إليها .

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

هذا بالإضافة إلى أنهم يشوهون الصورة ويسيئون السمعة وهـؤلاء الأدعياء يصدق عليهم الوصف النبوى الدقيق الذى يقول :

« المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » .

ولقد بلينا معشر المسلمين بكثير من هؤلاء ، يعكرون صفو الأمة ويفرقون بين الجماعات ويورثون العداوة بين الأخ وأخيه والولد وأبيه .

ويدخلون إلى تصحيح مفاهيم الإسلام من باب العقوق ويسـلكون فى التمسك بآثار السلف سبيل الجحود ويستبدلون الحكمة والموعظة الحسنة والرأفة والرحمة بالغلظة والجفوة وسوء الأدب وقلة الذوق . إن من الادعياء أولئك الذين ينسبون أنفسهم إلى التصوف وهم أبعد النـاس عن حقيقته وجوهره فشوهوا صورته ودنسوا كرامته وأفسدوا سيرته وجروا إليـه وإلى أئمته من السادة العارفين والأساتذة المربين الانتقاد اللاذع .

إننا لا نعرف التصوف خرافات وأباطيل ودجلا وشعوذة .

إننا لا نعرف التصوف نظريات فلسفية أو أفكارا أجنبية أو عقائد شركية حلولية أو اتحادية .

إننا نبرأ إلى الله من هذا كله ونعتبر أن كل ما يخالف الكتاب والسـنة ولا يقبل التأويل هو مكذوب دخيل وملصق بأيد آثمة ونفوس ضعيفة .

إننا نعرف التصوف مدارس علمية ومعارف فكرية وهى كلها بمناهجها وبرامجها وطرقها تمثل الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية والوجه الأكمـل لآدابنا ومثالياتنا ، تمثل الكمال فى الإيمان والكمال فى كل شأن من شؤون الحياة ، تمثل الخلاصة الزكية لكل دعوة ربانية إنه الصدق والأمانة والوفاء والإيثار والنجدة والكرم ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف والتعـاون على

Marfat.com

البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر والتسابق إلى فعل الخير ، تمثل الخلق القويم الصحيح .

وبهذه السيرة العاطرة والخلق الزكى ظهرت بطولات الصدر الأول ورجاله وأئمته وأبطاله فبرزت لنا الشخصية الإسلامية فى أبهى حلة وأكمل صفة وأعلى وأطهر نموذج ، وروى لنا عنها التاريخ حديث المجد والفخر والسيادة والعزة والجهاد والنضال ودروس الحضارة الاسلامية .

ومن هنا ندرك بيقين أن النهضات الكبرى لا تبنى إلا على رسالات الروح وإلهامات الإيمان ولا تقوم إلا على الأخلاق الصاعدة القوية التى تستمد مثلها من العقائد المقدسة .

إن الصفات الخلقية والنفسية والروحية هى رأس مال الشعوب وهى المدخرات العظمى التى تصنع الأمم وتدفع بالركب البشرى إلى غاياته العليا ، والناظر فى سير السلف الصالحين والسادات العارفين من القوم يرى كيف أن هذه المثل والمبادىء كانت سبباً مباشرا لانتفاضات صريحة مشهودة مشهورة فى التاريخ الاسلامى ، ولم يكن لهم من النفوذ والقوة إلا إيمان هو أعلى صور الإيمان ، إيمان حار متقد حى يرتكز على الشوق والمحبة ، إنه إيمان يطلق فى قلوب أتباعه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائماً إلى الله ، يرى أن الرجل منهم يعيش دائماً فى مقام الإحسان يرى الله فى كل شىء ، ويراقبه فى كل حركة من حركاته ، بل يراقبه مع كل نَفَس من أنفاسه ، إنه إيمان يبعث اليقظة الشاملة فى الحياة ، ويضفى عليها الإحساس العميق بالربانية السارية فى الكون ، والتى تعيش فى أعماقنا وتعلم خواطر القلب وهمسات النجوى وخائنة العين وما تخفى الصدور .

* * *

Marfat.com

بين نعمت البدعة وبئست البدعة

وإن من الأدعياء أولئك الذين ينسبون أنفسهم إلى السلف الصالح فقاموا يدعون إلى السلفية فى هسجية جهلاء وعصبية عمياء وبعقول عقيمه وأفهام سقيمة وصدور ضيقة تحارب كل جديد وتنكر كل مخترع مفيد بدعوى أنه بدعة وأن كل بدعة ضلالة دون التفريق بين أنواع البدعة مع أن روح الشريعة الإسلامية توجب علينا ان نميز بين أنواع البدعة وأن نقول : إن منها البدعة الحسنة ومنها البدعة السيئة وهذا ما يقتضيه العقل النير والنظر الثاقب .

وهذا ما حققه علماء الأصول من سلف هذه الأمة رضى الله عنهم كالامام العز بن عبد السلام والنووى والسيوطى والمحلى وابن حجر .

والأحاديث النبوية يفسر بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا ، ولابد من النظر إليها نظرة واحدة متكاملة ، ولابد من تفسيرها بروح الشريعة ومفهومها المتفق عليه بين أهل النظر .

ولذا نجد كثيرا من الأحاديث الشريفة تحتاج فى تفسيرها إلى عقل عاقل وفكر ثاقب وفهم لائق وقلب ذائق يستمد من بحر الشريعة الغراء ويراعى أحوال الأمة وحاجتها ويسايرها فى حدود القواعد الشرعية والنصوص القرآنية النبوية التى لا يجوز الخروج عنها .

ومن أمثلة ذلك هذا الحديث : كل بدعة ضلالة ـ فلابد من القول : أن المراد بذلك البدعة السيئة التى لا تدخل تحت أصل شرعى .

وهذا التقييد وارد فى غير هذا الحديث كحديث :

« لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد » ..

فهذا الحديث مع أنه يفيد الحصر فى نفى صلاة جار المسجد إلا أن عمومات الأحاديث تفيد تقييده بأن لا صلاة كاملة .

Marfat.com

وكحديث :

« لا صلاة بحضرة طعام » ..

قالوا : أى صلاة كاملة . وكحديث :

« لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ..

قالوا : أى إيمانا كاملا .

وكحديث :

« والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » ..

قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لم يأمن جاره بوائقه .

وكحديث :

« لا يدخل الجنة قتات » .. « ولا يدخل الجنة قاطع رحم » .. « وعاق لوالديه » ..

فالعلماء قالوا : إنه لا يدخل دخولا أوليا أو لا يدخل إذا كان مستحلا لذلك الفعل .

الحاصل أنهم لم يجروه على ظاهره وإنما أولوه بأنواع التأويل .

وحديث البدعة هذا من هذا الباب فعمومات الأحاديث وأحوال الصحابة تفيد أن المقصود به البدعة السيئة التى لا تندرج تحت أصل كلى ، وفى الحديث :

« من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة .

وفى الحديث :

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين » ..

ويقول عمر فى صلاة التراويح : نعمت البدعة هذه .

هذا وبالله التوفيق ..

* * *

Marfat.com

دعوة أئمة التصوف الى العمل بالشريعة

التصوف ذلك المظلوم المتهم قليل من ينصفه بل بلغت الجراءة والوقاحة ببعضهم إنه جعله من صفات الذم والقدح التى تسقط بها الشهادة وتزول بها العدالة فيقول فلان ليس بثقة ولا يقبل خبره لماذا ؟

لأنه صوفى ولذا أحببت أن أنقل كلام أئمة الدين الذين هم أركان التصوف ورجاله . أردت أن أنقل كلامهم عن الشريعة الإسلامية لنعرف موقفهم الحقيقى لأن الواجب أن نعرف الشخص عن الشخص نفسه فالانسان هو خير من يتحدث عن رأيه وأوثق من يظهر ما يضمر .

قال الامام الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته لأن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . وعلى المقتفين أثره والمتابعين .

وجاء أن أبا يزيد البسطامى قدس سره قال ذات يوم لأصحابه قوموا بنا حتى ننظر إلى ذلك الذى قد شهر نفسه بالولاية قال : فمضينا فإذا بالرجل قد قصد المسجد فرمى بزاقه نحو القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه . وقال : هذا ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين .

قال ذو النون المصرى : مدار الكلام أربع : حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل . من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه .

قال السرى السقطى : التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذى لا يطفىء نور معرفته نور ورعه . ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة . ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله .

قال أبو نصر بشر بن الحارث الحافى : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى : يا بشر ، أتدرى لم رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت :

Marfat.com

لا يارسول الله قال : باتباعك لسنتى وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى — هو الذى بلغك منازل الأبرار .

قال أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامى : لقد همست أن اسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل ، ومؤنة النساء ثم قلت . كيف يجوز لى أن أسأل الله هذا ، ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ، فلم أسأله . ثم إن الله سبحانه وتعالى كفانى مؤنة النساء حتى لا أبالى استقبلتنى امرأة أو حائط . وقال أيضا : لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة .

قال سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عادلين : الكتاب . والسنة وقوله : منه أى من قلبى .

قال أبو الحسن أحمد بن أبى الحوارى : من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فباطل .

قال أبو حفص عمر بن سلمة الحداد : من لم يزن . أفعاله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده فى ديوان الرجال .

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال أيضا : مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة ، علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى : ولما تغير على أبى عثمان الحال مزق ابنه أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه ، وقال : السنة يا بنى فى الظاهر علامة كمال فى الباطن .

وقال أيضا : الصحبة مع الله بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة .

Marfat.com

والصحبة مع الأهل ، بحسن الخلق ــ والصحبة مع الإخوان ، بدوام البشر ما لم يكن إثما ــ والصحبة مع الجهال بالدعاء والرحمة عليهم .

قال أيضا : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة . قال تعالى : « وان تطيعوه تهتدوا » .

قال أبو الحسن بن أحمد بن محمد النووى : من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حدّ العلم الشرعى فلا تقربن منه .

قال أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى : من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وعود نفسه أكل الحلال لم يخطىء له فراسته .

قال أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى :

من ألزم نفسه آداب الشريعة نوَّر الله قلبه بنور المعرفة ، وأعطى به مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم فى أوامره ، وأفعاله ، وأخلاقه .

وقال أيضاً : كل ما سئلت عنه فاطلبه فى مفازة العلم ، فإن لم تجده ، ففى ميدان الحكمة فإن لم تجده فزنه بالتوحيد فإن لم تجده فى هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان .

قال أبو حمزة البغدادى البزاز : من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى أحواله ، وأفعاله ، وأقواله .

قال أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقى : علامة محبة الله ، إيثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال ممشاد الدينورى : أدب المريد فى التزام حرمات المشايخ ، وخدمة الإخوان ، والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه .

قال أبو محمد عبد الله بن منازل : لم يضيّع أحد فريضة من الفرائض إلا إبتلاه الله تعالى بتضييع السنن ، ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع .

* * *

Marfat.com

حقيقة الأشـــاعرة

يجهل كثير من أبناء المســـلمين مذهب الأشـــاعرة ولا يعرفون من هم الأشاعرة ولا طريقتهم فى أمر العقيدة .. ولا يتورع البعض أن ينسبهم إلى الضلال أو يرميهم بالمروق من الدين والإلحاد فى صفات الله .

وهذا الجهل بمذهب الأشاعرة سبب تمزق وحـــدة [أهـــل الســـنة] وشتت شملهم حتى غدا البعض يسلك [الأشـــاعرة] ضمن طوائف أهـــل الضلال ، ولست أدرى كيف يقرن بين أهل الإيمان وأهل الضلال ؟ وكيف يساوى بين أهل السنة وبين غـــلاة المعتزلة وهم الجهمية ؟

أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ؟ . .

الأشـــاعرة : هم أئمة أعلام الهدى من علماء المســـلمين .. الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها وأطبق الناس على فضلهم وعلمهم ودينهم هم جهابذة علماء أهل الســـنة وأعـــلام علمائها الأفاضـــل الذين وقفوا فى طغيان المعتزلة .

هم الذين قال عنهم شـــيخ الاســـلام ابن تيميـــة [والعلمـــاء أنصـــار علوم الدين والأشاعرة أنصار أصول الدين] الفتاوى الجـــزء الرابع .

إنهم طوائف المحدثين والفقهـــاء والمفسرين من الأئمة الأعـــلام شـــيخ الإسلام [أحمد بن حجر العسقلانى] شيخ المحدثين بلا مراء صاحب كتاب [فتح البارى على شرح البخـــارى] أشعرى المذهب وكتـــابه لا يســـتغنى عنه أحد من العلماء .

وشيخ علماء أهل السنة [الإمام النووى] صاحب شرح صحيح مسلم . وصاحب المصنفات الشهيرة أشعرى المذهب .

وشيخ المفسرين الإمام القرطبى صاحب تفسير [الجامع لأحكام القرآن] أشعرى المذهب .

وشيخ الاسلام [ابن حجر الهيتمى] صاحب كتـــاب (الزواجر عـــن اقتراف الكبائر) أشعرى المذهب .

Marfat.com

وشيخ الفقه والحديث الإمام الحجة الثبت [زكريا الأنصارى] أشعرى المذهب .

والإمام [أبو بكر الباقلانى] والإمام العسقلانى والإمام النسفى والإمام الشربينى ، وأبو حيان التوحيدى صاحب تفسير [البحر المحيط] والإمام ابن جزى صاحب (التسهيل فى علوم التنزيل) الخ .. كل هؤلاء من أئمة الأشاعرة .

ولو أردنا أن نعدد هؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء ، من أئمة الأشاعرة لضاق بنا الحال واحتجنا إلى مجلدات فى سرد أولئك العلماء الأفاضل الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها .. ان من الواجب أن نرد الجميل لأصحابه وأن نعرف الفضل لأهل العلم والفضل الذين خدموا شريعة سيد المرسلين من العلماء الأعلام .

وأى خير يرجى فينا إن رمينا علماءنا الأعلام وأسلافنا الصالحين بالزيغ والضلال ؟

وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيها الإنحراف والزيغ عن طريق الإسلام .

إننى أقول : هل يوجد بين علماء العصر من [الدكاترة] والعباقرة من يقوم بما قام به شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى والإمام النووى ، من خدمة السنة النبوية المطهرة كما فعل هذان الإمامان الجليلان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ؟ فكيف نرميهما ـ وسائر الأشاعرة ـ بالضلالة ونحن بحاجة إلى علوم هؤلاء ؟

وكيف نأخذ العلوم عنهم إذا كانوا على ضلال وقد قال الإمام الزهرى رحمه الله : [إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم] .

أفما كان يكفى أن يقول المعارض : إنهم رحمهم الله اجتهدوا فأخطأوا فى تأويل الصفات وكان الأولى أن لا يسلكوا هذا المسلك بدل أن نرميهم بالزيغ والضلال ونغضب على من عدهم من أهل السنة والجماعة ؟

Marfat.com

وإذا لم يكن الإمام النووى والعسقلانى والقرطبى والباقلانى والفخر الرازى والهيتمى وزكريا الأنصارى وغيرهم من جهابذة العلماء ، وفطاحل النبغاء إذا لم يكونوا من أهل السنة والجماعة فمن هم أهل السنة إذن ؟

إننى أدعو مخلصا كل الدعاة وكل العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية أن يتقوا الله فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبخاصة فى أجلة علمائها وأخيار فقهائها فأمة محمد بخير إلى قيام الساعة ولا خير فينا إذا لم نعرف لعلمائنا قدرهم وفضلهم .

* * *

Marfat.com

حقائق تمـــوت بالبحث

يجرى البحث بين العلماء فى حقائق كثيرة من مســـائل العقيـــدة مما لم يكلفنا به الله تعـــالى ، وأنا أرى أن ذلك البحث يذهب بهـــاء تلك الحقائق وجلالها وذلك مثلا كاختلاف العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسـلم لله سبحانه وتعالى كيف كانت والخلاف الطويل العريض الدائر بينهم فى ذلك الباب فمن قائل رآه بقلبـــه ومن قائل رآه بعينـــه وكل يورد دليـــله ويستنصر له بما لا طائل تحته . والذى أراه أن كل ذلك عبث لا فائدة فيه بل ضرره أكبر من نفعه خصوصا إذا سمع هذا العوام فإنه يدخل التشكيك فى قلوبهم لا محالة ولو أننا ألغينا البحث عن هذا واكتفينا بإيراد هذه الحقيقة كما جاءت لبقيت مكرمة معظمة فى النفوس بأن نقول إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه وتقتصر على هذه الحقيقة ونترك الباقى لله هو .

وكلم الله موسى تكليماً :

ومن ذلك أيضاً ما يجرى بين العلماء من البحث فى حقيقة كلام الله تعالى والخلاف الكبير الدائر فى هذا الباب فمن قائل إن كلامه سبحانه وتعـــالى كلام نفسى ومن قائل ان كلامه سبحانه وتعالى بحرف وصوت وأنا أعتقـــد أن كلا الطرفين يطلب حقيقة التنزيه لله سبحانه وتعـــالى ويبعد عن الشرك بكل أنواعه .

ومسألة الكلام حقيقة ثابتة لا مجـــال لإنكارها إذ هو ينافى الكمـــال الإلهى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ان صفاته سبحانه وتعالى الواردة فى القرآن يجب الإيمان بها وإثباتها لأنه لا يعرف الله إلا الله .

والذى أراه وأدعو إليه هو إثبات هذه الحقيقة دون الغوص فى كيفيتها وشكلها فنثبت لله سبحانه وتعالى الكلام ونقول هذا كلام الله ونقول إنه سبحانه وتعالى متكلم ونصرف النظر عما بعد ذلك من البـــاطل مـــن كونه كلاما نفسيا وغير نفسى بحرف وصوت أو بلا حرف ولا صوت وكل هذا تنطع لم يتكلم فيه الذى جاء بالتوحيد وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

فلم الزيادة على ما جاء به ؟ أليس هذا من أقبح البدع ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

هو صلى الله عليه وسلم يحدثنا عنه يوم نجتمع به عند الله سبحانه وتعالى. نحن ندعو إلى أن يكون حديثنا دائما عن هذه الحقيقة وأمثالها مجردا عن الغوص فى كيفياتها وصورها وأشكالها .

انى أراكم من خلفى :

ومن ذلك أيضا ما يجرى بين العلماء من البحث فى حقيقة قوله صلى الله عليه وسلم : [إنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى] فمن قائل إن الله تعالى يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم عينين من الخلف ، ومن قائل إن الله سبحانه وتعالى يجعل لعينيه الأماميتين قوة نفاذة ترى بها ما خلفهما ومن قائل إن الله سبحانه وتعالى يعكس له صلى الله عليه وسلم ما خلفه حتى تكون صورته أمامه بين عينيه وكل هذا تنطع يخرج هذه الحقيقة عن جمالها ورونقها ويضعف هيبتها وجلالها فى القلوب .

أما كونه صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه فهى حقيقة ثابتة أخبر بها بنفسه فيما صح عنه فلا مجال لانكارها ولكن الذى ندعو إليه ونراه هو أن نثبت هذه الحقيقة هكذا مجردة كما وردت دون الدخول فى كيفيتها وشكلها يجب علينا أن نعتقد إمكان ذلك وثرته بأن نشهد بخارق من الخوارق التى تضمحل عندها الأسباب وتتلاشى لتظهر قدرة الواحد القهار ومنقبة النبى المختار صلى الله عليه وسلم .

جبريل يتمثل رجلا :

ومن ذلك أيضا اختلاف العلماء فى كيفية تشكل جبريل عليه السلام إذا جاء بالوحى على صورة رجل مع هول خلقه .

فمن قائل إن الله يفنى الزائد من خلقه ومن قائل انه ينضم بعضه إلى بعض حتى يصير صغيرا . والذى أراه أن كل ذلك عبث ، وأن البحث فيه تعب لا فائدة منه فنحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى قادر على ذلك وأن هذا واقع ومشاهد فقد رآه كثير من الصحابة على تلك الصورة ونحن لا يهمنا معرفة الطريقة التى يتم بها تمثل الملك بصورة رجل وندعو إخواننا من طلاب العلم إلى ايراد هذه الحقيقة دون التعرض لما وراءها من خلافات لتبقى جليلة عظيمة فى النفوس .

Marfat.com

مفهـــوم التوسـل

يخطىء كثير من الناس فى فهم حقيقة التوسل ولذا فإننا سنبين مفهـوم التوسل الصحيح فى نظرنا وقبل ذلك لابد أن نبين هذه الحقائق :

اولا :

ان التوسل هو أحد طرق الدعاء وباب من أبواب التوجه إلى الله سبحانه وتعالى فالمقصود الأصلى الحقيقى هو الله سـبحانه وتعالى والمتوسَّـل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ومـن اعتقـد غير ذلك فقد أشرك .

ثانيـاً :

أن المتوسل ما توسل بهذه الواسطة إلا لمحبته لها وإعتقاده أن الله سبحانه وتعالى يحبها ، ولو ظهر خلاف ذلك لكان أبعد الناس عنها وأشـد النـاس كراهة لها .

ثالثـاً :

أن المتوسل لو اعتقد أن من توسل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثـل الله أو دونه فقد أشرك .

رابعـاً :

أن التوسل ليس أمرا لازما أو ضروريا وليست الإجابة متوقفة عليـه بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقا كما قال تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » وكما قال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » .

* * *

المتفق عليه من التوسل

لم يختلف أحد من المسلمين فى مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة ، فمن صام أو صلى أو قرأ القرآن أو تصدق فإنه يتوسل

Marfat.com

بصيامه وصلاته وقراءته وصدقته بل هو أرجى فى القبول وأعظم فى نيل المطلوب لا يختلف فى ذلك اثنان . والدليل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فتوسل أحدهم إلى الله ببره لوالديه ، وتوسل الثانى بابتعاده عن الفاحشة بعد تمكنه من أسبابها ، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لمال غيره وأدائه له كاملا وفرج الله عنهم ما هم فيه ، وهذا النوع من التوسل قد فصله وبين أدلته وحقق مسائله الشيخ ابن تيمية رحمه الله فى كتبه وخصوصا فى رسالته (قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة) .

محل الخلاف :

ومحل الخلاف فى مسألة التوسل هو التوسل بغير عمل المتوسل. كالتوسل بالذوات والأشخاص بأن يقول : اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو أتوسل إليك بأبى بكر الصديق أو بعمر ابن الخطاب أو بعثمان أو بعلى رضى الله عنهم . فهذا هو الممنوع عند بعضهم .

ونحن نرى أن الخلاف شكلى وليس بجوهرى . لأن التوسل بالذات يرجع فى الحقيقة إلى توسل الإنسان بعمله وهو المتفق على جوازه . ولو نظر المانع المتعنت فى المسألة بعين البصيرة لانجلى له الأمر وانحل الإشكال وزالت الفتنة التى وقع بسببها من وقع فحكم على المسلمين بالشرك والضلال .

وسأبين كيف أن المتوسل بغيره هو فى الحقيقة متوسل بعمله المنسوب إليه والذى هو من كسبه .

فأقول : إعلم أن من توسل بشخص ما فهو لأنه يحبه إذ يعتقد صلاحه وولايته وفضله تحسينا للظن به ، أو لأنه يعتقد أن هذا الشخص محب لله سبحانه وتعالى يجاهد فى سبيله . أو لأنه يعتقد ان الله تعالى يحبه كما قال تعالى : (يحبهم ويحبونه) ، أو لاعتقاد هذه الأمور كلها فى الشخص المتوسل به .

وإذا تدبرت الأمر وجدت أن هذه المحبة وذلك الاعتقاد من عمل المتوسل لأنه اعتقاده الذى انعقد عليه قلبه فهو منسوب إليه ومسئول عنه ومثاب

Marfat.com

عليه ، وكأنه يقول : يارب إنى أحب فلانا وأعتقد أنه يحبك وهو مخلص لك ويجاهد فى سبيلك . واعتقد أنك تحبه وأنت راض عنه فأتوسل إليك بمحبتى له وباعتقادى فيه أن تفعل كذا كذا . ولكن أكثر المتوسلين يتسامحون فى التصريح بهذا الأمر مكتفين بعلم من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور

فمن قال : اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك هو ومن قال : اللهم إنى أتوسل إليك بمحبتى لنبيك ــ سواء . لأن الأول ما أقدم على هــذا إلا لمحبتــه وإيمانه بنبيه . ولولا المحبة له والإيمــان به ما توسل به . وهكذا يقال فى حق غيره من أولياء الأمة .

وبهذا ظهر أن الخلاف فى الحقيقة شكلى ولا يقتضى هــذا التفــرق والعداء بالحكم بالكفر على المتوســلين واخراجهــم عن دائرة الإســلام (سبحانك هذا بهتان عظيم) .

* * *

أدلة ما عليه المسلمون من التوسل

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوســيلة » والوسيلة : كل ما جعله الله سببا فى الزلفى عنده ووصلة إلى قضاء الحوائج منه والمدار فيها على أن يكون للوسيلة قدر وحرمة عند المتوسل إليه .

ولفظ الوسيلة عام فى الآية كما ترى فهو شامل للتوسّل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين فى الحياة وبعد الممات وبالإتيان بالأعمال الصالحة على الوجه المأمور به وللتوسل بها بعد وقوعها .

وفيما ستسمع من الأحاديث والآثار ما يجلى لك هذا العموم واضــحا فألق السمع وأنت شهيد لترى أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وســلم قبل وجوده وبعد وجوده فى الدنيا وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة .

* * *

Marfat.com

التوسل بالنبى ﷺ قبـــل وجوده

توســـل آدم به :

وقد جاء فى الحديث أن آدم توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم فى المستدرك : حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العـــدل حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحق بن إبراهيم الحنظلى حدثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهرى حدثنا إسماعيل بن مســـلمة أنبأنا عبد الرحمـــن ابن زيد بن أسلم عن جده عن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال :

« قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب ، اسالك بحق محمد لما غفرت لى . فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمـــدا ولم اخلقه ؟ قال : يارب ، لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت راسى فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، انه لاحب الخلق الى ، ادعنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك .

أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه [جـ ٢ ص ٦٥١] ورواه الحافظ السيوطى فى الخصائص النبوية وصححه . ورواه البيهقى فى دلائل النبـــوة وهو لا يروى الموضوعات ، كما صرح بذلك فى مقدمة كتابه وصححه أيضا القسطلانى والزرقانى فى المواهب اللدنية [جـ ٢ ص ٦٢] والسبكى فى شفاء السقام ، قال الحافظ الهيثمى : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيـــه مـــن لم أعرفهم (مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٥٣) .

وجاء من طريق آخر عن ابن عباس بلفظ : فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . رواه الحاكم فى المستدرك (جـ ٢ ص ٦٥١) وقال : صحيح الاسناد . وصححه شيخ الاسلام البلقينى فى فتاويه . ورواه أيضـــا الشيخ ابن الجـــوزى فى الوفا فى أول كتابه ونقـــله ابن كثير فى البـــداية (جـ ١ ص ١٨٠) .

وقد خالف فى ذلك بعض العلماء فتكلم فى درجة الحديث ورده وحكم بوضعه كالذهبى وغـــيره ، وبعضـــهم حـــكم بضـــعفه ، وبعضهم حـــكم بنكارته ــ وبهذا يظهر أنه لم تتفق كلمتهم على حكم واحد . وعليه فالمسألة

Marfat.com

يدور البحث فيها بين الإثبات والنفى والرد والقبـــول والتوقف بنـــاء على اختلافهم فى درجة الحديث . وهذا من ناحية السند وثبوت الحديث . أما من ناحية المعنى فلنترك المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية ليحدثنا عنه .

* * *

رأى ابن تيمية فى الحديث

روى ابن تيمية حديثين فى هذا الموضوع وأوردهما مســـتشهدا بهمـــا فقال : روى أبو الفـــرج ابن الجـــوزى بســـنده إلى ميسرة قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :

« لما خلق الله الأرض واستوى الى السماء فسواهن سبع سماوات ، وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء وخلق الله الجنة التى اسكنها آدم وحواء فكتب اسمى على الأبواب والأوراق والقباب والخيام ، وآدم بين الروح والجسد ، فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمى فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه ».

وروى أبو نعيـــم الحافظ فى كتاب دلائل النبـــوة ومن طريق الشـــيخ أبى الفرج حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشـــيد حدثنا أحمـــد ابن سعيد الفهرى حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدنى عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم :

« لما أصاب آدم الخطيئة رفع راسه فقال : يا رب ، بحق محمد الا غفرت لى فأوحى اليه وما محمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يارب انك لما أتممت خلقى رفعت رأسى الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فعلمت انه اكرم خلقك عليك اذ قرنت اسمه مع اسمك فقال : نعم ، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك ». [٢]

فهذا الحديث يؤيد الذى قبله وهما كالتفســـير للأحاديث الصـــحيحة [اهـ من الفتاوى جـ ٢ ص ١٥٠] .

قلت : فهذا يدل على أن الحديث عند ابن تيميـــة صـــالح للاســـتشهاد والاعتبار لأن الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين وأنت تـــرى أن الشيخ استشهد به هنا على التفسير .

* * *

Marfat.com

تصحيح ابن تيمية لمعنى هذه الخصوصية

تكلم الشيخ ابن تيمية عن هذه المسألة كلاما جيدا نفيسا يدل على عقل وبصيرة واتزان كبير ، فهو وإن كان قد نفى وجود حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى [وهذا حسب علمه فى ذلك الوقت] إلا أنه رجع فأيد المعنى وفسره تفسيرا معقولا وأثبت فيه صحة القول وهو بهذا يرد ردا واضحا على من زعم أن ذلك شرك أو كفر وعلى من زعم أن المعنى فاسد وباطل وعلى من زعم أن فيه قدحا فى مقام التوحيد والتنزيه وما هو إلا الهوى والعمى وسوء الفهم وضيق العقل فالله ينور بصائرنا ويرشدنا إلى الحق والصواب وهو الهادى إلى سواء السبيل .

قال الشيخ الإمام ابن تيمية فى الفتاوى (ج ١١ ص ٩٦) .

ومحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه ومن هنا قال من قال : إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيا ولا سماء ولا أرضا ولا شمسا ولا قمراً ، لكن ليس هذا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله تعالى : « سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » وقوله تعالى : « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وأمثال ذلك من الآيات التى يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبنى آدم ، ومعلوم أنه لله فيها حكما عظيمة غير ذلك وأعظم من ذلك ، ولكن يبين لبنى آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم من النعمة .

فإذا قيل : فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضى أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة ، بل يقتضى إذا كان أفضل صالحى بنى آدم محمد وكانت خلقته غاية مطلوبة وحكمة بالغة مقصودة [أعظم] من غيره صار تمام الخلق ونهاية الكمال حصل بمحمد صلى الله عليه وسلم . (اهـ من الفتاوى) .

* * *

Marfat.com

الجنة حرام على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ :

ومن أمثال هذا التفضل الالهى على حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء فى الحديث من كون الجنة حراما على الأنبياء حتى يدخلها نبينا صلى الله عليه وسلم . عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **الجنة حرمت على الأنبياء وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى** » ..

(رواه الطبرانى فى الأوسط وقال الهيثمى إسناده حسن) .. [مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٦٩] .

ارتباط الكون باسمه ﷺ :

ومن أمثال هذا التفضل الإلهى ما جاء فى الآثار من انتشار اسمه محمد فى الملأ الأعلى قال كعب الأحبار : إن الله أنزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أبنى أنت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإنى رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم إنى طفت السماوات فلم أر فى السماوات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه وإن ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصرا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى ، وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثروا ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها . اهـ (المواهب اللدنية جـ ١ ص ١٨٦) .

قال الزرقانى فى شرحه رواه ابن عساكر .

قلت : وقد ذكر نحو هذا الخبر الشيخ ابن تيمية فقال :وقد روى أن الله كتب اسمه على العرش وعلى ما فى الجنة من الأبواب والقباب والأوراق وروى فى ذلك عدة آثار توافق هذه الأحاديث الثابتة التى تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره حينئذ .

وفى رواية لابن الجوزى عن ميسرة قال ، قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :

Marfat.com

« لما خلق الله الأرض واستوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء وخلق الله الجنة التى اسكنها آدم وحواء فكتب اسمى على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد فلما أحياه الله تعالى . نظر الى العرش فرأى اسمى فأخبره الله انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه ».

اهـ (الفتاوى جـ ٢ ص ١٥٠) .

فوائد مهمة من حديث توسل آدم :

وفى الحديث التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتشرف العالم بوجوده فيه، وأن المدار فى صحة التوسل على أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه عز وجل وأنه لا يشترط كونه حيا فى دار الدنيا .

ومنه يعلم أن القول بأن التوسل لا يصح بأحد إلا وقت حياته فى دار الدنيا قول من اتبع هواه بغير هدى من الله .

حاصل البحث فى درجة الحديث :

والحاصل أن هذا الحديث صححه ونقله جماعة من فحول العلماء وأئمة الحديث وحفاظه الذين لهم مقامهم المعروف ومكانتهم العالية وهم الأمناء على السنة النبوية فمنهم الحاكم والسيوطى والسبكى والبلقينى .

ونقله البيهقى فى كتابه الذى شرط فيه أن لا يخرج الموضوعات والذى قال فيه الذهبى : عليك به فإنه كله هدى ونور . [كذا فى شرح المواهب وغيره]

وذكره ابن كثير فى البداية واستشهد به ابن تيمية فى الفتاوى . وكون العلماء اختلفوا فيه فرده بعضهم وقبله البعض ليس بغريب لأن كثيرا من الأحاديث النبوية جرى فيها الخلاف، بأكثر من هذا وانتقدها النقاد بأعظم من هذا .

وبسبب ذلك ظهرت هذه المؤلفات العظيمة ، وفيها الاستدلالات والتعقبات والمراجعات والمؤاخذات ولم يصل ذلك إلى الرمى بالشرك والكفر والضلال والخروج عن دائرة الإيمان لأجل الاختلافات فى درجة حديث من الأحاديث ، وهذا الحديث من جملة تلك الأحاديث .

* * *

Marfat.com

توسـل اليهـود به ﷺ

قال تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

قال القرطبى : قوله تعالى : ولما جاءهم ـ يعنى اليهود ـ كتاب ـ يعنى القرآن ـ من عند الله مصدق ـ نعت لكتاب ويجوز فى غير القرآن نصبه على الحال وكذلك هو فى مصحف أبى بالنصب فيما روى ـ لما معهم ـ يعنى التوراة والانجيل يخبرهم بما فيها وكانوا من قبل يستفتحون ، أى يستنصرون والاستفتاح : الاستنصار استفتحت استنصرت وفى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين أى يستنصر بدعائهم وصلاتهم ومنه .

فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، والنصر فتح شىء مغلق فهو يرجع إلى قولهم : فتحت الباب .

وروى النسائى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« انما نصر الله هذه الأمة بضعائفها بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم » ..

وروى النسائى أيضا عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ابغونى الضعيف فانكم انما تنصرون وترزقون بضعفائكم » ..

قال ابن عباس : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود فدعت يهود بهذا الدعاء ، وقالوا إنا نسألك بحق النبى الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان أن تنصرنا عليهم ، قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا، فأنزل الله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » أى بك يا محمد إلى قوله : « فلعنة الله على الكافرين » تفسير القرطبى (جـ ٢ ص ٢٦ و ص ٢٧) .

* * *

Marfat.com

التوسل بالنبى ﷺ فى حياته وبعد وفاته

عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال : يا رسول الله ليس لى قائد وقد شق على ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك فيجلى لى عن بصرى اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكانه لم يكن به ضر » ..

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

وقال الذهبى عن الحديث انه صحيح (ج ١ ص ٥١٩) .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

من حديث أبى جعفر وهو غير الخطمى .

ذكره فى آخر السنن فى أبواب الدعوات .

قال المنذرى ورواه أيضا النسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه (كذا فى الترغيب كتاب النوافل باب الترغيب فى صلاة الحاجة (ج ١ ص ٤٣٨) .

وليس هذا خاصا بحياته صلى الله عليه وسلم بل قد استعمل بعض الصحابة هذه الصيغة من التوسل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد روى الطبرانى هذا الحديث وذكر فى أوله قصة وهى أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له وكان عثمان رضى الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل :

Marfat.com

اللهم انى اسالك واتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربك فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ..

فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ثم قال ما كانت لك حاجة فائتنا ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقى عثمان ابن حنيف وقال له : جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته فى فقال عثمان بن حنيف . والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

او تصبر ؟ فقال : يا رسول الله ليس لى قائد وقد شق على: فقال له النبى: « ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال عثمان ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط » ..

قال المنذرى رواه الطبرانى وقال بعد ذكره والحديث صحيح (كذا فى الترغيب [ج ١ ص ٤٤٠ وكذا فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٧٩] .

وقال الشيخ ابن تيمية قال الطبرانى روى هذا الحديث شعبه عن أبى جعفر واسمه عمر بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة قال أبو عبد الله المقدسى والحديث صحيح .

قلت قال الشيخ ابن تيمية ذكر تفرده بمبلغ علمه ولم تبلغه رواية روح ابن عبادة عن شعبة وذلك اسناد صحيح يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمر (ا هـ . التوسل والوسيلة ص ١٠١) .

وبهذا ظهر أن هذه القصة صححها الحافظ الطبرانى والحافظ أبو عبدالله المقدسى ونقل ذلك التصحيح الحافظ المنذرى والحافظ نور الدين الهيثمى والشيخ ابن تيمية .

وحاصل القصة أن عثمان بن حنيف الراوى للحديث المشاهد للقصة

Marfat.com

علم من شكا إليه إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدعاء الذى فيه التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم والنداء له مستغيثا به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولما ظن الرجل أن حاجته قضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة ـ بادر ابن حنيف بنفى ذلك الظن وحدثه بالحديث الذى سمعه وشهده ليثبت له أن حاجته انما قضيت بتوسله به صلى الله عليه وسلم وندائه له واستغاثته به ، وأكد ذلك له بالحلف انه ما كلم الخليفة فى شأنه .

* * *

التوسل به ﷺ فى عرصات يوم القيامة

أما التوسل به فى عرصات يوم القيامة فلا حاجة للاطالة فيه فإن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر وكل ذلك فيه النصوص الصريحة التى تفيد بأن أهل الموقف إذا طال عليه الوقوف واشتد الكرب استغاثوا فى تفريج كربتهم بالأنبياء فيستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فيحيلهم على سيد المرسلين حتى اذا استغاثوا به صلى الله عليه وسلم . سارع إلى إغاثتهم وأسعف طلبتهم وقال أنالها أنالها ثم يخر ساجدا ولا يزال كذلك حتى ينادى أن ارفع رأسك واشفع تشفع .

فهذا إجماع من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين وتقرير من رب العالمين بأن الاستغاثة عند الشدائد بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج ومن موجبات رضى رب العالمين .

* * *

Marfat.com

مشروعية التوسل على طريقة الشيخ ابن تيمية

يقول الشيخ ابن تيمية فى كتابه [قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة] عند الكلام على قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » فابتغاء الوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بمحمد وإتباعه ، وهذا التوسل بالإيمان به وبطاعته فرض على كل أحد فى كل حال باطنا وظاهرا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته فى مشهده ومغيبه لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق فى حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ولا بعذر من الأعذار ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا بالتوسل به وبطاعته وهو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق .

صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون فهو أعظم الشفعاء قدرا وأعلاهم جاها عند الله ، وقال تعالى عن موسى [وكان عند الله وجيها] وقال عن المسيح « وجيها فى الدنيا والآخرة » ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاها من الأنبياء والمرسلين ، ولكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع به من شفع له الرسول ودعا له فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تعالى بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم تسليما .

وفى الفتاوى الكبرى سئل شيخ الاسلام رحمه الله هل يجوز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فأجاب : الحمد لله أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها فى حقه فهو مشروع باتفاق المسلمين [الفتاوى الكبرى ج ١ ص ١٤٠] .

قلت : فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية أمران :

الأول :

أن المسلم المطيع المحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتبع له

Marfat.com

المصدق بشفاعته يشرع له أن يتوسل بطاعته ومحبته وتصديقه ذلك . وإننا إذا توسلنا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فالله يشهد أننا انما نتوسل بالإيمان به ومحبته وبفضله وشرفه فهذا هو المقصود الأصلى من التوسل ولا يتصور ان يتوسل أحد بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لغير هذا المعنى ولا يمكن أن يكون سوى ذلك من جميع المسلمين المتوسلين . غير أن المتوسل قد يصرح به وقد لا يصرح اعتمادا على المقصود الأصلى من التوسل الذى هو الإيمان بالنبى ومحبته صلى الله عليه وآله وسلم لا غير .

الثانى :

مما يستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية ان من دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم صح له أن يتوسل إلى الله بدعائه صلى الله عليه وسلم له وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قد دعا لأمته كما ثبت ذلك فى أحاديث كثيرة .

منهـا : عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم طيب النفس . قلت يا رسول الله أدع الله لى فقال :

« اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخـر وما اسرت وما اعلنت فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك ، فقال لها رسول الله ﷺ ايسرك دعائى فقالت : وما لى لا يسرنى دعاؤك . فقال ﷺ : انهـا لدعائى لأمتى فى كل صلاة » .

رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غيرأحمد بن منصور الرمادى وهو ثقة (كذا فى مجمع الزوائد) لذا فإنه يصح لكل مسلم ان يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بذلك فيقول اللهم ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم قد دعا لأمته وأنا من أفراد هذه الأمة فأتوسل إليك بهذا الدعاء أن تغفر لى وان ترحمنى إلى آخر ما يريد فإذا قال ذلك لم يخرج عن الأمر المتفق عليه بين كافة علماء المسلمين فإن قال : اللهم انى أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فقد فاته التصريح بما ينويه وبيان ما ينعقد عليه قلبه وهو مقصود كل مسلم ومراده لا يخرج عن هذا الحد لأن المتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم لا يقصد بذلك إلا تلك المعانى المتعلقة بذاته صلى الله عليه وسلم من محبة وقربة وجاه ورتبة وفضل ودعاء وشـفاعة . خصـوصا وأنه صلى الله

Marfat.com

عليه وسلم فى برزخه يسمع الصلاة والسلام ويرد على ذلك بما يليق ويناسب من سلام وإستغفار لما قد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم :

« حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض اعمالكم على: فان وجدت خيرا حمدت الله وان وجدت شرا استغفرت الله لكم » ..

رواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد وصححه .

وهذا صريح بأنه صلى الله عليه وسلم يستغفر للأمة فى برزخه والاستغفار دعاء والأمة تنتفع بذلك .

وجاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد السلام » ..

رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه .. قال النووى إسناده صحيح .

فهذا صريح بأن النبى صلى الله عليه وسلم يرد السلام على المسلم والسلام هو الأمان فهو دعاء بالأمان للمسلم وهو ينتفع بذلك .

* * *

مشروعية التوسل بالنبى ﷺ خاصة عند الامام احمد بن حنبل وابن تيمية

على أن الشيخ ابن تيمية فى بعض المواضع من كتبه أثبت جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم دون تفريق أو تفصيل بين حياته وموته وحضوره وغيابه . ونقل عن الإمام أحمد والعز بن عبد السلام جواز ذلك فى الفتاوى الكبرى .

قال الشيخ وكذلك مما يشرع التوسل به صلى الله عليه وسلم فى الدعاء كما فى الحديث الذى رواه الترمذى وصححه :

Marfat.com

« ان النبى ﷺ علم شخصا ان يقول اللهم انى اسالك واتوسل اليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك فيجلى حاجتى ليقضيها فشفعه فى » ..

فهذا التوسل به حسن .

ا هـ (الفتاوى ج ٣ ص ٢٧٦)

وقال أيضاً : والتوسل إلى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم سواء سمى استغاثة أو لم يسم لا نعلم أحدا من السلف فعله ولا روى فيه أثارا ولا نعلم فيه إلا ما أفتى به الشيخ من المنع ، وأما التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ففيه حديث فى السنن ، رواه النسائى والترمذى وغيرهما : ان أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

« توضا وصل ركعتين ثم قل اللهم اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد يا محمد انى أتشفع بك فى رد بصرى اللهم شفع نبيك فى وقال فان كانت لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره » ..

فلأجل هذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به .

ا هـ (الفتاوى ج ١ ص ١٠٥)

وقال الشيخ ابن تيمية أيضا فى موضع آخر :

ولذلك قال أحمد فى منسكه الذى كتبه للمروزى صاحبه : أنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه ، ولكن غير أحمد قال : إن هذا إقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق ، وأحمد فى احدى الروايتين قد جوز القسم به ، فلذلك جوز التوسل به .

(ج ١ ص ١٤٠ من الفتاوى)

* * *

Marfat.com

جواز التوسل عند الامام الشوكانى

قال الإمام المحدث السلفى الشيخ محمد بن على الشوكانى فى رسالته (الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد) اما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه فى مطلب يطلب العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبى صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه . ولعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه النسائى فى سننه والترمذى وصححه ابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ، قال وللناس فى معنى هذا قولان أحدهما ان التوسل هو الذى ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا هو فى صحيح البخارى وغيره فقد ذكر عمر رضى الله عنه انهم كانوا يتوسلون بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته فى الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم كان فى مثل هذا شافعا وداعيا لهم . والقول الثانى أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون فى حياته وبعد موته وفى حضرته ومغيبه ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم فى حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة اجماعاً سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضى الله عنه فى توسله بالعباس رضى الله عنه ، وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين : الأول ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، والثانى ان التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو فى التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله ، فإذا قال القائل اللهم إنى أتوسل إليك بالعالم الفلانى فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ، ولو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما زعمه المتشددون فى هذا

Marfat.com

الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة لهم ولا سكت النبى صلى الله عليه وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم ، وبهذا تعلم ان ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ونحو قوله تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحدا » ونحو قوله تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء » ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه ، فإن قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله « ولا تدعوا مع الله أحدا » فإنه نهى عن ان يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح غيره بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله « والذين يدعون من دونه » الآية .

فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعاء غيره معه . فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى : « وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » فإن هذه الآية الشريفة ليست فيها دلالة إلا أنه تعالى هو المنفرد بالأمر فى يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شىء ، والمتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله فى أمر يوم الدين . ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبى فهو فى ضلال مبين ، وهكذا الإستدلال على منع التوسل بقوله : « ليس لك من الأمر شىء » قل « لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا » فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شىء وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره ، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء ، وقد جعل

Marfat.com

أله لرسول الله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك فى كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين » يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا ، فإن هذا ليس فيها إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله . وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه انه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهى وإنما أراد الطالب ان يقدم بين يدى طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين ، انتهى كلام الشوكانى .

* * *

الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب لا ينكر التوسل

سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم فى الاستسقاء : [(لا بأس بالتوسل بالصالحين) وقول أحمد : (يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم خاصة) مع قولهم : إنه لا يستغاث بمخلوق] ، فقال : فالفرق ظاهر جدا . وليس الكلام مما نحن فيه . فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه . فهذه المسألة من مسائل الفقه ، وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار فى مسائل الاجتهاد ، ولكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى وبقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات . فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول فى دعائه : أسألك بنبيك

Marfat.com

أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه .

(انتهى من فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب فى مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص ٦٨ التى نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

* * *

التوسل بآثاره ﷺ

ثبت أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتبركون بآثاره صلى الله عليه وسلم وهذا التبرك ليس له إلا معنى واحد ألا وهو التوسل بآثاره إلى الله تعالى لأن التوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد .

أفتراهم يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به ؟

هل يصح أن يتوسل بالفرع ولا يصح بالأصل .

هل يصح أن يتوسل بالأثر الذى ما شرف ولا عظم وكرم إلا بسبب صاحبه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقول قائل إنه لا يصح أن يتوسل به ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! .

والنصوص الواردة فى هذا الباب كثيرة جدا نقتصر على أشهرها فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحرص كل الحرص على أن يدفن بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة فيبعث ولده عبد الله ليستأذن السيدة عائشة فى ذلك وإذا بالسيدة عائشة تعلن أنها كانت تريد هذا المكان لنفسها فتقول كنت أريده لنفسى ولأوثرنه على نفسى فيذهب عبد الله ويبشر أباه بهذه البشارة العظيمة وإذا بعمر يقول : الحمد لله ما كان شىء أهم إلىّ من ذلك . وانظر تفصيل القصة فى البخارى فما معنى هذا الحرص من عمر ومن عائشة ؟

Marfat.com

ولماذا كان الدفن بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهم شيء وأحب شيء إلى عمر ؟ ليس لذلك تفسير إلا التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بالتبرك بالقرب منه .

وهذه أم سليم تقطع فم القربة التى شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنس فهو عندنا .

وهؤلاء الصحابة يتسابقون لأخذ شعرة واحدة من شعر رأسه لما حلقه .

وهذه أسماء بنت أبى بكر تحتفظ بجبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها .

وهذا خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتفظ به بعده أبو بكر وعمر وعثمان ثم يسقط منه فى البئر .

وكل هذه الأحاديث ثابتة وصحيحة كما ذكرناه فى مبحث التبرك والذى نريد أن نقوله هو أننا نتساءل لماذا هذه المحافظة منهم رضى الله تعالى عنهم على آثار النبى صلى الله عليه وسلم .

[فم القربة ، الشعر ، العرق ، الجبة ، الخاتم ، المصلى ،] فما مقصودهم من ذلك أهى الذكرى مجرد الذكرى أم هى المحافظة على الآثار التاريخية نوضعها فى المتحف فإن كانت الأولى فلماذا يعتنون بها عند الدعاء والتوجه إلى الله إذا أصابهم البلاء أو المرض وإذا كانت الثانية فأين هذا المتحف ومن أين جاءتهم هذه الفكرة المبتدعة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! .

لم يبق الا التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم للتوسل بها إلى الله فى الدعاء لأن الله هو المعطى وهو المسؤول والكل عبيده وتحت أمره لا يملكون شيئا لأنفسهم فضلا عن غيرهم إلا بإذن الله سبحانه وتعالى .

* * *

Marfat.com

التوسل بآثار الأنبيـــاء

قال تعالى : « وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » الآية من سورة البقرة .

قال الحافظ ابن كثير فى التاريخ : قال ابن جرير عن هذا التابوت وكانوا إذا قاتلوا أحدا من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذى كان فى قبـة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون فلما كان فى بعض حروبهم مع أهـل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهـم ا هـ قال ابن كثير وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه وكان فيه طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الأنبياء ا هـ (البداية ج ٢ ص ٨) .

وقال ابن كثير فى التفسير كان فيه عصا موسى وعصا هارون ولوحان من التوراة وثياب هارون ومنهم من قال العصا والنعلان [! هـ . تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٣] .

وقال القرطبى : والتابوت كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السـلام فـكان فى بنى إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت غلبهم عليه العمالقة وسلبوا التابوت منهم .

(ا هـ . تفسير القرطبى ج ٣ ص ٢٤٧) .

وهذا فى الحقيقـة ليس إلا توسـلا بآثار أولئك الأنبيـاء إذ لا معنى لتقديمهم التابوت بين أيديهم فى حروبهم إلا ذلك والله سبحانه وتعالى راض عن ذلك بدليل أنه رده إليهم وجعله علامة وآية على صحة ملك طالوت ولم ينكر عليهم ذلك الفعل .

* * *

Marfat.com

توسل النبى ﷺ بحقه وحق الأنبياء والصالحين

جاء فى مناقب فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب إنها لما ماتت حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لحدها بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه فقال :

« الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت اسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحدين وكبر عليها أربعا وادخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم » . .

رواه الطبرانى ــ فى الكبير والأوسط .

وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح . [كذا بمجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٧] .

رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بسند جيد . ورواه ابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس . ورواه ابن أبى شيبة عن جابر وابن عبد البر عن ابن عباس .

واختلف بعضهم فى [روح بن صلاح] أحد رواته ، ولكن ابن حبان ذكره فى الثقات ، وقال الحاكم : ثقة مأمون ، وكلا الحافظين صحح الحديث ، وهكذا الهيثمى فى [مجمع الزوائد] ورجاله رجال الصحيح . .

ورواه كذلك ابن عبد البر عن ابن عباس ، وابن أبى شيبة عن جابر ، وأخرجه الديلمى وأبو نعيم ، فطرقه يشد بعضه بعضا بقوة وتحقيق .

ونلاحظ هنا أيضا أن الأنبياء الذين توسل النبى صلى الله عليه وسلم بحقهم على الله فى هذا الحديث وغيره قد ماتوا فثبت جواز التوسل إلى الله [بالحق] وبأهل الحق أحياء وموتى .

وروى عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم انى اسالك بحق السائلين

Marfat.com

عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم اخـرج اشرا ولا بطـرا ولا رياء ولا سـمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنى من النـار وان تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، أقبل الله بوجهه واسـتغفر له سبعون الف ملك » ..

رواه ابن ماجه [كذا فى الترغيب والترهيب جـ ١ ص ١٧٩] .

ورواه ابن خزيمة فى صحيحه وابن السنى وأبو نعيم وقد حسنه ابن حجر والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار [احياء جـ ١ ص ٣٢٣]

وقوله صلى الله عليه وسلم هنا :

« بحق السائلين ، شامل للاحياء والأموات جميعا فصح التوسل بهما معا »

* * *

التوسـل بقبر النبى ﷺ بعد وفاته

قال الامام الحافظ الدارمى فى كتابه [السنن] :

[باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعـد موته] حدثنـا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنـا عمـرو بن مالك البكرى حدثنـا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت : أنظروا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل (تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق ومعنى كوا أى نافذة) اهـ . سنن الدارمى (ج ١ ص ٤٣) .

فهذا توسل بقبره صلى الله عليه وسلم لا من حيث كونه قبرا بل من حيث كونه ضم جسد أشرف المخلوقين وحبيب رب العالمين فتشرف بهذه المجاورة العظيمة ، واستحق بذلك المنقبة الكريمة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتـادة وأبو بكر الفارسى قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن على الذهلى حدثنا

Marfat.com

يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن مالك قال : أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال :

« ايت عمر فأقرئه منى السلام وأخبرهم أنهم مسقون ، وقل له : عليك بالكيس الكيس » ..

فأتى الرجل فاخبر عمر فقال يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح .

[كذا قال الحافظ ابن كثير فى البداية (ج ١ ص ٩١) فى حوادث عام ثمانية عشر] .

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح من رواية أبى صالح السمان عن مالك الدارى ـ وكان خازن عمر ـ قال : « أصاب الناس قحط فى زمن عمر رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل فى المنام فقيل له : ائت عمر ، الحديث .

وقد روى سيف فى الفتوح ان الذى رأى فى المنام المذكور هو بلال ابن الحارث المزنى أحد الصحابة . قال ابن حجر إسناده صحيح ا هـ [فتح البارى ص ٤١٥ ج ٢] .

ولم يقل أحد من الأئمة الذين رووا الحديث ولا من بعدهم ممن مر بتصانيفهم من الأئمة أنه كفر وضلال ولا طعن أحد فى متن الحديث به وقد أورد هذا الحديث ابن حجر العسقلانى وصحح سنده كما تقدم ، وهو من هو فى علمه وفضله ووزنه بين حفاظ الحديث مما لا يحتاج إلى بيان وتفصيل .

ذكر الحافظ ابن كثير إن شعار المسلمين فى موقعة البسامة كان : [محمداه] ..

Marfat.com

قال ما نصه :

وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال : أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار المسلمين ، وكان شعارهم يومئذ [يا محمداه] ..

[البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٤]

* * *

التوسل به فى المرض والشدائد

عن الهيثم بن خنس قال : كنا عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك فقال : يا محمد ، فكأنما نشط من عقال .

وعن مجاهد قال : خدرت رِجْل رَجُل عند ابن عباس رضى الله عنهما فقال له ابن عباس : أذكر أحب الناس إليك فقال : محمد صلى الله عليه وسلم فذهب خدره [ذكره الشيخ ابن تيمية فى الكلم الطيب فى الفصل السابع والأربعين ص ١٦٥] .

فهذا توسل فى صورة النداء .

* * *

التوسل بغير النبى ﷺ

عن عتبة بن غزوان عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اذا اضل احدكم شيئا او اراد عونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله أعينونى فان لله عبادا لا نراهم . وقد جرب ذلك » . .

رواه الطبرانى ورجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم إلا أن يزيد ابن على لم يدرك عتبة .

وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : .. [ما لسعه]

Marfat.com

« ان لله ملائكة فى الارض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فاذا اصاب احدكم عرجة بارض فلاة فليناد اعينونى يا عباد الله » ..

رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا انفلت دابة احدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله حاضرا فى الأرض سيحبسه » ..

رواه أبو يعلى والطبرانى وزاد سيحبسه عليكم . وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف . اهـ . من مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ج ١٠ ص ١٣٢) .

فهذا توسل فى صورة النداء أيضا .

وجاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد ركعتى الفجر :

« اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبى ﷺ اعوذ بك من النار » ..

قال النووى فى الأذكار : رواه ابن السنى . وقال الحافظ بعد تخريجه هو حديث حسن (شرح الأذكار لابن علان ج ٢ ص ١٣٩) .

وتخصيص هؤلاء بالذكر فى معنى التوسل بهم . فكأنه يقول .

اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بجبريل إلخ ..

وقد أشار ابن علان إلى هذا فى الشرح .

* * *

معنى توسل عمر بالعباس

أخرج البخارى فى صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ كانوا إذا قحطوا ـ استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : [اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا] .

وأخرج الزبير بن بكار فى الأنساب من طريق غيره هذه القصة بأبسط

Marfat.com

من هذا وتلخيصها ــ عن عبد الله بن عمر قال استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة [بفتح الراء وتخفيف الميم] سميت بذلك لكثرة تطاير الرماد لاحتباس المطر بالعباس بن عبد المطلب فخطب الناس فقال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ــ فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله : ادع يا عباس فكان من دعائه رضى الله عنه اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف الا بتوبة ــ وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث واحفظ اللهم نبيك فى عمه . فأرخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الأرض وعاش الناس واقبل الناس على العباس يتمسحون به ، ويقولون له هنيئا لك يا ساقى الحرمين وقال عمر ــ رضى الله عنه ــ ذلك : هذا ولله الوسيلة إلى الله والمكان منه ــ وفى ذلك أنشد عباس بن عتبة ابن أخيه أبياتا منها :

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر

وكان الحق لعمر فى أن يؤم الناس مستسقيا لهم لكنه تأخر عن حقه وقدم العباس للاستسقاء تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيماً لأهله وتقديما لعمه صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه مبالغة فى التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما استطاع . وحث الناس على اتخاذ الناس العباس وسيلة إلى الله جل شأنه وكذلك اتخذه هو وسيلة بتقديمه ليدعو ليقيمه بذلك مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان حيا فاستسقى لهم بالمصلى ليكون أبلغ فى تعظيمه والإشادة بفضل أهل بيته

وبين عمر ذلك فى دعائه حيث قال : [اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا] .. يعنى كنا نتوسل إليك بخروجه بالناس إلى المصلى ودعائه لهم وصلاته بهم . وإذ قد تعذر ذلك علينا بوفاته عليه الصلاة والسلام فإنى أقدم من هو من أهل بيته ليكون الدعاء أرجى للقبول وأرجى للإجابة .

ولما دعا العباس توسل برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

Marfat.com

وقد تقرب القوم بى لمكانى من نبيك أى لقرابتى منه . فاحفظ اللهم نبيك فى عمه . يعنى أقبل دعائى لأجل نبيك .

فالقضية فى الاستسقاء ولا صلة لها بالتوسل الذى نحن بصدد الكلام عنه والذى وقع فيه الخلاف وهذا أمر يعرفه كل ذى عينين لأن القصة تدل على هذا بوضوح فقد أصابهم القحط واحتاجوا إلى إقامة الاستغاثة بصلاة الاستسقاء وهذا يحتاج إلى إمام يصلى بهم ويدعو لهم ويقيم هذه الشعيرة الإسلامية التى كان يقيمها النبى صلى الله عليه وسلم لما كان فى دار التكليف كغيرها من شعائر الدين من إمامة وجمعة وخطبة فهى وظائف تكليفية لا يقوم بها أهل البرزخ لانقطاع التكليف عنهم واشتغالهم بما هو أعظم من ذلك .

ومن فهم من كلام أمير المؤمنين أنه إنما توسل بالعباس ـ ولم يتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن العباس حى والنبى ميت ـ فقد مات فهمه وغلب عليه وهمه ونادى على نفسه بحالة ظاهرة ـ او عصبية لرأيه قاهرة ، فان عمر لم يتوسل بالعباس إلا لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلمح ذلك فى قوله وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ـ وهو بذلك قد توسل برسول الله صلى الله عليه وسلم على أبلغ الوجوه .

وقد بعد عن الصواب كل البعد من رمى المسلمين بالشرك بسبب ذلك مع قوله بجواز التوسل بالحى . فإن التوسل لو كان شركا ما جاز بالحى ولا الميت ـ ألا ترى أن إعتقاد الربوبية واستحقاق العبادة لغير الله من نبى أو ملك أو ولى هو شرك وكفر لا يجوز هنا فى حياته الدنيا ولا الآخرة .

فهل سمعت من يقول : إن اعتقاد الربوبية لغير الله جائز إذا كان حيا !ما بعد وفاته فشرك .

وقد عرفت أن اتخاذ المعظم وسيلة إلى الله تعالى لا يكون عبادة للوسيلة إلا إذا اعتقد أنه رب كما كان ذلك شأن عباد الأوثان مع أوثانهم فإذا لم يعتقد ذلك فيه وكان مأمورا منه عز وجل باتخاذه وسيلة كان ذلك الاتخاذ عبادة للآمر سبحانه .

* * *

Marfat.com

قصة العتبى فى التوسل

قال الإمام الحافظ الشيخ عماد الدين ابن كثير :

ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ فى كتابه الشامل « الحكاية المشهورة » عن العتبى قال : كنت جالساً عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد جئتك مستغفرا لذنبى مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشد يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابى فغلبتنى عينى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : [إلحق الأعرابى فبشره أن الله قد غفر له] .

فهذه القصة رواها الإمام النووى فى كتابه المعروف بالإيضاح فى الباب السادس ص ٤٩٨ . ورواها أيضاً الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره الشهير عند قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » .. الآية .

ورواها أيضا الشيخ أبو محمد ابن قدامة فى كتابه المغنى (ج ٣ ص٥٥٦) ونقلها أيضاً الشيخ أبو الفرج ابن قدامة فى كتابه الشرح الكبير (ج ٣ ص ٤٩٥) ونقلها أيضاً الشيخ منصور بن يونس البهوتى فى كتابه المعروف بكشاف القناع من أشهر كتب المذهب الحنبلى (ج ٥ ص ٣٠) .

وذكر الإمام القرطبى عمدة المفسرين قصة تشبهها فى تفسيره المعروف بالجامع قال : روى أبو صادق عن على قال : قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه فقال : قلت يا رسول الله

Marfat.com

فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » .. الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر إنه قد غفر لك . [تفسير القرطبى ج ٥ ص ٢٦٥]

هده قصة العتبى وهؤلاء الذين نقلوها وسواء أكانت صحيحة أم ضعيفة من ناحية السند الذى يعتمد عليه المحدثون فى الحكم على أى خبر فإننا نتساءل ونقول هل نقل هؤلاء الكفر والضلال ؟ .. أو نقلوا ما يدعو إلى الوثنيه وعبادة القبور ؟

إذا كان الأمر كذلك فأى ثقة فيهم أو فى كتبهم . سبحانك هذا بهتان عظيم .

* * *

الخلاصة :

والخلاصة أنه مما لاشك فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم له عند الله قدر علىّ ومرتبة رفيعة ، وجاه عظيم ، فأى مانع شرعى أو عقلى يمنع التوسل به فضلا عن الأدلة التى تثبته فى الدنيا والآخرة ـ ولسنا فى ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه فنحن ندعوه بما أحب أيا كان ، تارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها وتارة نسأله بمن يحبه من خلقه كما فى حديث آدم السابق وكما فى حديث فاطمة بنت أسد الذى ذكرناه ، وكما فى حديث عثمان بن حنيف المتقدم وتارة نسأله بأسمائه الحسنى كما فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [أسألك بأنك أنت الله] أو بصفته أو فعله كما فى قوله فى الحديث الآخر : [أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك] وليس مقصورا على تلك الدائرة الضيقة التى يظنها المتعنتون .

وسر ذلك أن كل ما أحبه الله صح التوسل به ، وكذا كل من أحبه من نبى أو ولىّ . وهو واضح لدى كل ذى فطرة سليمة ولا يمنع منه عقل ولا نقل بل تضافر العقل والنقل على جوازه والمسؤول فى ذلك كله الله وحده لا شريك له ، لا النبى ولا الولى ولا الحى ولا الميت « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » .

Marfat.com

وإذا جاز السؤال بالأعمال فبالنبى صلى الله عليه وسلم أولى لأنه أفضل المخلوقات والأعمال منها والله أعظم حبًّا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأعمال وغيرها ـ وليت شعرى ما المانع من ذلك ، واللفظ لا يفيد شيئاً أكثر من أن للنبى قدرا عند الله ، والمتوسل لا يريد غير هذا المعنى ، ومن ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا .

وبعد : فمسألة التوسل تدل على عظمة المسؤول به ومحبته ، فالسؤال بالنبى إنما هو لعظمته عند الله أو لمحبته إياه وذلك مما لا شك فيه على أن التوسل بالأعمال متفق عليه فلماذا لا نقول إن من يتوسل بالأنبياء أو الصالحين هو متوسل بأعمالهم التى يحبها الله ، وقد ورد حديث أصحاب الغار فيكون من محل الاتفاق ؟

ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث انهم صالحون فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها ، كما قلنا فى صدر هذا البحث .

* * *

شبهة مردودة

فهذه الأحاديث والآثار كلها تثبت التوسل وتؤيده ، فإن قيل : إن ذلك خاص بحياته صلى الله عليه وسلم .

فالجواب : أن هذا التخصيص لا دليل عليه خصوصا وأن الروح باقية وهى التى يكون بها الإحساس والإدراك والشعور .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الميت يسمع ويحس ويشعر وانه ينتفع بالخير و بفرح ويتأذى بالشر والحزن ، وهذا بالنسبة لكل إنسان ، ولدا نادى صلى الله عليه وسلم أهل القليب من كفار قريش يوم بدر فقال : يا عتبة يا شيبة يا ربيعة ، فقيل له : كيف تناديهم وقد جيفوا ؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم لكنهم لا يستطيعون الجواب .

Marfat.com

فإذا كان هذا عاماً لكل إنسان فكيف بأفضل البشر وأكرمهم واجلهم لا شك أنه أكمل إحساسا وأتم إدراكا وأقوى شعورا على أنه قد جاء التصريح فى الأحاديث الكثيرة بأنه يسمع الكلام ويرد السلام وتعرض عليه أعمال الأمة وأنه يستغفر لسيئاتهم ويحمد الله على حسناتهم .

وقيمة الإنسان فى الحقيقة إنما هى بمقدار شعوره واحساسه وإدراكه لا بحياته . ولذلك نرى كثيرا من الأحياء قد حرمهم الله تعالى الإحساس والشعور الإنسانى مع بلادة الطبع وقلة الذوق ولكنهم لا ينتفع بهم بل هم فى صفوف الأموات والعياذ بالله

* * *

زعم بعض الجهلة أن النبى ﷺ لا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرفنا

ومن هؤلاء الموتى من زعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يسمع ولا يرى ولا يعرف عنا ولا يدعو الله تعالى لنا ، فأى جراءة أعظم من هذا ؟ وأى جهل أقبح من هذا ؟ إضافة إلى سوء الأدب والانتقاص لقدر النبى صلى الله عليه وسلم ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التى تثبت أن الميت يسمع ويحس ويعرف سواء أكان مؤمنا أم كافراً .

قال ابن القيم فى كتاب الروح: والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم .

وقد سئل الشيخ ابن تيميه عن هذه المسألة فأفتى بما يؤيد ذلك (انظر الفتاوى جـ ٢٤ ص ٣٣١ وص ٣٦٢) .

فإذا كان هذا فى حق عامة البشر فما بالك بعامة المؤمنين بل بخاصة عباد الله الصالحين بل بسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد فصلنا هذه المسألة فى مبحث خاص بها فى كتابنا هذا بعنوان : « الحياة البرزخية حياة حقيقية » بعنوان « حياة خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم » .

* * *

Marfat.com

بيان اسماء المتوسلين من ائمة المسلمين

ونذكر هنا أسماء أشهر من يقول بالتوسل ــ من كبار الأئمــة وحفاظ السنة .

١ ــ فمنهم الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم فى كتابه [المستدرك] على الصحيحين . فقد ذكر حديث توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم وصححه.

٢ ــ ومنهم الإمام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه [دلائل النبــوة] فقد ذكر حديث آدم وغيره ، وقد التزم أن لا يخرج الموضوعات .

٣ــ ومنهم الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه [الخصائص الكبرى] فقد ذكر حديث توسل آدم .

٤ ــ ومنهم الإمام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه (الوفاء) فقد ذكر الحديث وغيره .

٥ ــ ومنهم الإمام الحافظ القاضى عياض فى كتابه « الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى » فقد ذكر فى باب الزيارة وباب فضل النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من ذلك .

٦ ــ ومنهم الإمام الشيخ نور الدين القارى المعروف بمــلا على قارى فى شرحه على الشفا فى المواطن السابقة

٧ ــ ومنهم العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجى فى شرحه على الشــفا المسمى « بنسيم الرياض » ، فى المواطن السابقة .

٨ ــ ومنهم الإمام الحافظ القسطلانى فى كتابه [المواهب اللدنية] فى المقصد الأول من الكتاب .

٩ ــ ومنهم العلامة الشيخ محمد عبد البــاقى الزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٤٤) .

١٠ ــ ومنهم الإمام شــيخ الإســلام أبو زكريا يحيى النووى فى كتابه الإيضاح [فى الباب السادس ص ٤٩٨] :

Marfat.com

١١ ــ ومنهم العلامة ابن حجر الهيثمى فى حاشيته على الإيضاح ص ٤٩٩ وله رسالة خاصة فى هذا الباب تسمى بـ [الجوهر المنظم] .

١٢ ــ ومنهم الحافظ شهاب الدين محمد بن محمد بن الجوزى الدمشقى فى كتابه [عدة الحصن الحصين] فى فضل آداب الدعاء .

١٣ ــ ومنهم العلامة الإمام محمد بن على الشوكانى فى كتابه [تحفة الذاكرين] ص ١٦١ .

١٤ ــ ومنهم العلامة الإمام المحدث على بن عبد الكافى السبكى فى كتابه : [شفاء السقام فى زيارة خير الأنام] .

١٥ ــ ومنهم الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » .. فقد ذكر قصة العتبى مع الأعرابى الذى جاء زائرا قاصدا مستشفعا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يعترض عليها بشىء وذكر قصة توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى [البداية والنهاية] ولم يحكم بوضعها (ج ١ ص ١٨٠) .

وذكر قصة الرجل الذى جاء إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتوسل به وقال إن إسنادها صحيح (ج ١ ص ٩١) .

ــ وذكر أن شعار المسلمين يا محمداه (ج ٦ ص ٣٢٤) .

١٦ ــ ومنهم الإمام الحافظ ابن حجر الذى ذكر قصة الرجل الذى جاء إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتوسل به وصحح سندها فى فتح البارى (ج ٢ ــ ص ٤٩٥) .

١٧ ــ ومنهم الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبى فى تفسير قوله تعالى « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » (ج ٥ ص ٢٦٥) .

* * *

Marfat.com

الصحابة يطلبون من النبى ﷺ الشفاعة

زعم بعضهم أنه لا يجوز أن تطلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بل ذهب البعض الآخر من المتعنتين إلى أن ذلك شرك وضلال ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : « بل لله الشفاعة جميعا » وهذا الاستدلال باطل ولا يدل على فهمهم الفاسد وذلك من وجهين .

اولا :

أنه لم يرد نص لا فى الكتاب ولا فى السنة ينهى عن طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا .

ثانيـاً :

أن هذه الآية لا تدل على ذلك بل شأنها شأن غيرها من الآيات التى جاءت لبيان اختصاص الله سبحانه وتعالى بما هو ملك له دون غيره بمعنى أنه هو المتصرف فيه ، وهذا لا ينفى أنه يعطيه من يشـاء إذا أراد فهو مالك الملك يعطى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ونظير هـذا قوله عز وجل « له الملك وله الحمد » ووصف نفسه أنه مالك الملك مع قوله سبحانه وتعالى « تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » وقوله تعالى : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » مع قوله عز وجل : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . وكذلك فى الشفاعة قال : « قل لله الشفاعة جميعاً » .. مع قوله تعالى : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الله عهدا » وقوله عز وجل : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشـفاعة إلا من شـهد بالحـق وهم يعلمون » فكما أنه سبحانه وتعالى أعطى من شاء ما شاء ـ وجعل من العزة التى هى له ما شاء لرسوله والمؤمنين ـ كذلك الشفاعة كلها له وقد أعطاها للأنبياء وعباده الصالحين بل وكثير من عامة المؤمنين كما نطقت به صحاح الأحاديث المتواترة معنويا .

وأى حرج فى أن يطلب الإنسان من المالك بعض ما يملكه لاسيما إذا

Marfat.com

كان المسئول كريما والسائل فى أشد الحاجة إلى ما سأله ، وهل الشفاعة إلا الدعاء ، والدعاء مأذون فيه ، مقدور عليه ، مقبول لاسيما الأنبياء والصالحين فى الحياة وبعد الوفاة فى القبر ويوم القيامة فالشفاعة معطاة لمن اتخذ عند الله عهدا ، ومقبولة لديه عز وجل فى كل من مات على التوحيد .

وقد ثبت أن بعض الصحابة سأل النبى صلى الله عليه وسلم الشفاعة ولم يقل صلى الله عليه وسلم إن طلبك الشفاعة منى شرك فاطلبها من الله ولا تشرك بربك أحدا .

هذا أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : يا نبى الله اشفع لى يوم القيامة فيقول له صلى الله عليه وسلم :

« انا فاعل ان شاء الله » ..

رواه الترمذى فى السنن وحسنه فى باب ما جاء فى صفة الصراط . وكذلك سأل الشفاعة غير أنس .

فهذا سواد بن قارب يقول بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأشهد أن الله لا رب غيره
وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

إلى أن يقول :

فكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

رواه البيهقى فى دلائل النبوة ، ورواه أيضاً ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر طلب الشفاعة منه .

وطلب الشفاعة منه أيضا مازن بن العضوب لما جاء مسلما وأنشد يقول :

إليك رسول الله خبت مطيتى نجوب الفيافى من عمان إلى العرج
لتشفع لى يا خير من وطىء الحصا فيغفر لى ربى فأرجع بالفلج

(رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة ص ٧٧)

Marfat.com

وطلب الشفاعة منه عكاشة بن محصن حين ذكر صلى الله عليه وسلم السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عكاشة : أدع الله أن يجعلنى منهم ، فقال مباشرة وبلا مراجعة : (أنت منهم)

ومعلوم أنه لا ينال أحد كائنا من كان هذه الأسبقية إلا بعد شفاعته الكبرى صلى الله عليه وسلم فى أهل الموقف كما هو ثابت فى الأحاديث المتواترة . فهذا فى معنى طلب الشفاعة .

ونظائر هذا كثيرة فى كتب السنة المشرفة وهى كلها تدل على جواز طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا منهم من طلبها بالتعيين بقوله اشفع لى أو طلب دخول الجنة أو طلب أن يكون من السابقين ، أو طلب أن يكون من أهل الحوض أو طلب مرافقته فى الجنة كما حصل من ربيعة الأسلمى إذ قال : أسألك مرافقتك فى الجنة فأرشده النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطريق بقوله : أعنى على نفسك بكثرة السجود ، ولم يقل له ولا لغيره ممن طلب الجنة أو طلب المعية أو تمنى أن يكون من أهل الجنة . أو أن يكون من أهل الحوض أو أن يكون من المغفور لهم : إن هذا حرام ، ولا يجوز أن يطلب الآن ، وأن وقته لم يأت ، وانتظر حتى يأذن الله فى الشفاعة ، أو فى دخول الجنة ، أو فى الشرب من الحوض مع أن هذه الأمور المطلوبة كلها لا تكون إلا بعد الشفاعة العظمى فهى فى معنى طلب الشفاعة والنبى صلى الله عليه وسلم بشرهم بذلك ووعدهم بما جبر خواطرهم وأقر أعينهم ، وحاشا أن يكون ذلك ممنوعا ثم لا يبين لهم حكمه مجاملة أو مداراة وهو الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، وإنما يجبر الخواطر ويرضى النفوس بما هو دائر فى فلك الحق ونابع من أصل الدين وبعيد عن كل باطل أو نفاق .

وإذا صح طلب الشفاعة منه فى الدنيا قبل الآخرة فإن معنى ذلك أنه سينالها حقيقة فى محلها يوم القيامة وبعد أن يأذن الله تعالى للشفعاء بالشفاعة لا أنه ينالها هنا قبل وقتها .

وهذا فى الحقيقة نظير بشارته بالجنة لكثير من المؤمنين فإن معناه أنهم سيدخلون الجنة يوم القيامة وبعد أن يأذن الله تعالى بالدخول فى الوقت

Marfat.com

المعلوم لا أنه سيدخلها هنا فى الدنيا أو البرزخ . ولا أظن أن عاقلا من عوام المسلمين يعتقد خلاف ذلك .

وإذا صح طلب الشفاعة منه فى الدنيا فى حياته فإننا نقول لا بأس بطلبها منه أيضا بعد موته بناء على ما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة من حياة الأنبياء الحياة البرزخية . ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكملهم وأعظمهم فى ذلك إذ يسمع الكلام وتعرض عليه أعمال الأمة ويستغفر الله لهم ويحمد الله وتبلغه صلاة من يصلى عليه ولو كان فى أقصى المعمورة ، كما جاء فى الحديث الذى صححه جمع من الحفاظ وهو : حياتى خير لكم تحدثون وتحدث لكم ، ومماتى خير لكم تعرض أعمالكم علىّ . فإن وجدت خيرا حمدت الله ، وإن وجدت شرا استغفرت الله لكم .

وهذا الحديث صححه من الحفاظ ، العراقى والهيثمى والقسطلانى والسيوطى وإسماعيل القاضى وقد فصلنا تخريجه فى غير هذا الموضع .

فلو طلبت منه الشفاعة فإنه قادر على أن يدعو الله ويسأله ، كما كان يفعل فى حياته .

هذا ما نعتقده ونعتقد عليه قلوبنا .

* * *

Marfat.com

تفسير ابن تيمية لآيات الشفاعة

ويستفاد منه جواز طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا

ذكر الشيخ ابن تيمية فى الفتاوى تحليلا نفيسا للآيات الواردة فى منع الشفاعة وعدم الانتفاع بها والنهى عن طلبها مع أن هذه الآيات هى التى يستدل بها بعضهم على منع طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا .

ويظهر من كلام الشيخ ابن تيمية فى معنى تلك الآيات أن الاستدلال بها على ما يزعمون فى غير محله وتحريف لها عن مواضعها . قال الشيخ :

واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل » وبقوله : « ولا يقبل منها عدل ولا شفاعة » وبقوله : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » وبقوله : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

وجواب أهل السنة أن هذا يراد به شيئان :

أحدهما :

أنها لا تنفع المشركين ، كما قال تعالى فى نعتهم : « ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين » فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا .

والثانى :

أنه يراد بذلك نفى الشفاعة التى يثبتها أهل الشرك ، ومن شابههم من أهل البدعة من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه ، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض ، فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة ، وكما بعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة .

Marfat.com

فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم فيتشفعون بها ويقولون : هؤلاء خواص الله .

قلت : هذا كلام الشيخ ابن تيمية بلفظه ، ومنه يظهر جليا حقيقة هذه الآيات التى يستدل بها المنكرون لطلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا أو القائلون بأنها شرك وضلال .

وخلاصة كلامه هو أن المراد بذلك هو أن الشفاعة لا تنفع المشركين . فالآيات واردة فى هذه القضية ، أو أن المراد بذلك هو نفى الشفاعة التى يثبتها أهل الشرك وهى أن يعتقد أن الشافع يملك ذلك بغير إذن الله سبحانه وتعالى . وهذا الذى ذكره الشيخ هو ما نعتقده بفضل الله ، ونقول ان طالب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم إن اعتقد أو ظن أنه صلى الله عليه وسلم يشفع بغير إذن الله فهذا شرك أو ضلال لا شك فى ذلك ولا نرتاب ـ ولكنه حاشا وكلا ثم حاشا وكلا ثم حاشا وكلا أن نعتقد ذلك أو نظنه ونبرأ إلى الله من ذلك .

وإننا حين نطلب الشفاعة فإننا نعتقد تمام الاعتقاد أنه لا يشفع أحد إلا بإذنه سبحانه وتعالى ، ولا يقع شىء إلا برضاه وتأييده .

وإنما هذا كطلب دخول الجنة وطلب الشرب من الحوض المورود وطلب النجاة على الصراط ، فكلها لا تحصل إلا بإذن الله وفى وقتها لذى قدره الله تعالى لها ، وهل يشك فى ذلك عاقل أو يخفى على من له أدنى معرفة أو قراءة فى كتب السلف من أصغر طلاب العلم الشريف .

اللهم افتح مسامع قلوبنا ونور أبصارنا .

* * *

Marfat.com

اياك نعبد واياك نستعين

إننا نعتقد اعتقادا جازما لازما لا شك فيه ولا ريب أن الأصل فى الاستعانة والاستغاثة والطلب والنداء ، والسؤال هو أن يكون لله سبحانه وتعالى فهو المعين والمغيث والمجيب .

قال الله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » وقال : « فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه » وقال « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة » الآيتين . وقال : « أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » فالعبادة بجميع أنواعها لابد أن تصرف لله وحده ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله كائنا من كان « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

فلا نذر إلا لله ولا دعاء إلا له ولا ذبح إلا له ولا استغاثة ولا استعاذة ولا استعانة ولا حلف إلا بالله ولا توكل إلا عليه سبحانه وتعالى عما يشرك به المشركون علوا كبيرا .

ونحن نعتقد أن الله هو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحى ولا ميت ، وليس لأحد مع الله فعل أو ترك أو رزق أو إحياء أو إماتة، وليس أحد من الخلق قادرا على الفعل أو الترك بنفسه استقلالا دون الله أو بالمشاركة مع الله أو أدنى من ذلك .

فالمتصرف فى الكون هو الله سبحانه وتعالى ولا يملك أحد شيئا إلا إذا ملّكه الله ذلك وأذن له فى التصرف فيه ، ولا يملك أحد لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا إلا ما شاء الله بإذن الله فالنفع والضر حينئذ محدود بهذا الحد ومقيد بهذا القيد ونسبته إلى الخلق على سبيل التسبب والتكسب لا على سبيل الخلق أو الايجاد أو التأثير أو الالهة أو القوة والنسبة فى الحقيقة مجازية ليست حقيقية ، ولكن الناس يختلفون

Marfat.com

فى التعبير عن هذه الحقائق (١) فمنهم من يسرف فى استعمال المجاز إسرافا شديد حتى يقع فى شبه لفظية هو منها برىء وقلبه سليم منعقد على كمال التوحيد والتنزيه لله سبحانه وتعالى .

ومنهم من يتمسك بالحقيقة تمسكا زائدا عن حد الاعتدال فيصل به إلى التعنت والتشدد والإساءة إلى الناس بمعاملتهم على خلاف معتقدهم وحملهم على ما لا يقصدون وإلزامهم بما لا يريدون والحكم عليهم بما هم عنه بريئون والواجب الاعتدال والبعد عن كل ذلك فهو أسلم للدين وأحوط فى حماية مقام التوحيد . والله أعلم .

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية خلاصة موجزة مفيدة فى بيان ما يختص بالحق سبحانه وتعالى وهو عين ما نعتقده وندين الله تعالى به .. لأن عقيدتنا سلفية بفضل الله وطريقتنا محمدية ونقول بهذا الذى يقول به ابن تيمية .

قال الشيخ ابن تيمية والله قد جعل له حقا لا يشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ، ولا الدعاء إلا له ، ولا التوكل إلا عليه ، ولا الرغبة إلا إليه ، ولا الرهبة إلا منه ، ولا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه ، ولا يأتى بالحسنات إلا هو ، ولا يذهب السيئات إلا هو ، ولا حول ولاقوة إلا به ، « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » . « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » . « إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » وقال تعالى « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » فجعل الطاعة لله وللرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك فى قوله تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا : حسبنا الله ، سيؤتنا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون » . فالإيتاء لله والرسول ، وأما التوكل فعلى الله وحده ، والرغبة إلى الله وحده .

(كذا فى الفتاوى ج ١١ ص ٩٨)

* * *

---

(١) هذه النقطة مفصلة فى مبحث خاص بها بعنوان : (المجاز العقلى واستعماله) .

Marfat.com

الاستعانة والتوجه بالطلب للنبى ﷺ

ذكرنا فيما تقدم أننا نعتقد اعتقادا جازما لاشك فيه ولا ريب أن الأصل فى الاستعانة والاستغاثة والطلب والنداء والسؤال هو أن يكون لله سبحانه وتعالى فهو المعين والمغيث والمجيب بقول الله عز وجل : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » فمن استعان بمخلوق أو استغاث به أو ناداه أو سأله أو طلبه سواء كان حيا أو ميتا معتقدا أنه ينفع أو يضر بنفسه استقلالا دون الله فقد أشرك ، لكن الله أجاز للخلق أن يستعين بعضهم ببعض وأن يستغيث بعضهم ببعض ، وأمر من استعين أن يعين ، ومن استغيث أن يغيث ومن نودى أن يجيب ، والأحاديث على هذا كثيرة جدا كلها تدل على إغاثة الملهوف وإعانة المحتاج وتفريج الكربات والنبى صلى الله عليه وسلم أعظم من يستغاث به إلى الله سبحانه وتعالى فى كشف الكربات وقضاء الحاجات .

فأى شدة أكبر من شدة يوم القيامة حين تطول الوقفة وتشتد الزحمة ويتضاعف الحر ويلجم العرق من شاء الله ومع عظم هذه الشدة وبلوغها الغاية فإن الناس يستغيثون إلى الله بخيرة خلقه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم وبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، الحديث وقد عبر فيه صلى الله عليه وسلم بلفظ الاستغاثة وهو بهذا اللفظ فى صحيح البخارى .

وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستعينون به صلى الله عليه وسلم ويستغيثون ويطلبون منه الشفاعة ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض والبلاء والدين والعجز ويفزعون إليه عند الشدائد ويطلبون منه ويسألونه معتقدين أنه ليس إلا واسطة وسببا فى النفع والضر والفاعل حقيقة هو (الله) .

* * *

ابو هريرة يشكو النسيان

أخرج البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم النسيان لما يسمعه من حديثه الشريف وهو يريد

Marfat.com

أن يزول عنه ذلك ــ فقال رضى الله عنه : يا رسول الله [إنى أسمع منك حديثا كثيرا فأنساه فأحب أن لا أنسى فقال صلى الله عليه وسلم :

« ابسط رداءك » فبسطه فقذف بيده الشريفة من الهواء فى الرداء ثم قال: ضمه فضمه قال ابو هريرة فما نسيت شيئا بعد .

رواه البخارى فى كتاب العلم باب حفظ العلم [رقم الحديث ١١٩] .

فها هو أبو هريرة يطلب منه عليه الصلاة والسلام عدم نسيان شىء وهو مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ــ فلم ينكره ولم يرمه بشرك . لما يعلم كل أحد إن الموحد إذا طلب شيئا من ذوى الجاه عند الله . فلا يريد منهم أن يخلقوا شيئا ولا هو معتقد فيهم شيئا من ذلك وإنما يريد أن يتسببوا له بما أقدرهم الله عليه من دعاء وما شاء الله من تصرف .

وها أنت ذا ترى أنه عليه الصلاة والسلام أجابه إلى مطلبه . ولم يرد أنه دعا له فى هذه القصة . وإنما غرف له من الهواء ، وألقاه فى الرداء وأمره فضمه إلى صدره فجعل الله ذلك تفضلا سبباً لقضاء حاجته .

وكذلك لم يقل له عليه الصلاة والسلام : مالك تسألنى والله أقرب إليك منى ؟ لما هو معلوم عند كل أحد أن المعول عليه فى قضاء الحوائج من بيده مقاليد الأمور إنما هو أقربية الطالب منه عز وجل وكمال مكانته عنده .

قتادة يستفيث به لاصلاح عينه :

وقد ثبت أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه فسالت حدقته على وجنته فارادوا أن يقطعوها فقال : لا حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فقال : لا ، ثم وضع راحته على حدقته ثم غمزها فعادت كما كانت فكانت أصح عينيه .

رواه البغوى وأبو يعلى وأخرجه الدارقطنى وابن شاهين والبيهقى فى الدلائل ، ونقلها الحافظ ابن حجر فى الاصابة (ج ٣ ص ٢٢٥) ــ والحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٤ ص ٢٩٧) . والحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى .

Marfat.com

وآخر يستعين به فى زوال سلعته :

عن محمد بن عقبة بن شرحبيل عن جده عبد الرحمن عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفى سلعة فقلت : يانبى الله هذه السلعة قد أورمتنى لتحول بينى وبين قائم السيف أن اقبض عليه وعن عنان الدابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ادن منى » ..

فدنوت ففتحها فنفث فى كفى ثم وضع يده على السلعة فمازال يطحنها بكفه حتى رفع عنها وما أرى أثرها .

رواه الطبرانى وذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٨ ص ٢٩٨) والسلعة (دمل) تظهر تحت الجلد .

معاذ يطلب منه اصلاح يده :

وفى يوم بدر ضرب عكرمة بن أبى جهل معاذ بن عمرو بن الجموح على عاتقه أثناء القتال يقول معاذ : فضرب يدى فتعلقت بجلدة من جنبى واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تسطيت عليها حتى طرحتها .

قال فى المواهب : وجاء معاذ بن عمرو يحمل يده ، وضربه عليها عكرمة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر القاضى عياض عن ابن وهب ، فبصق عليه الصلاة والسلام عليها فلصقت .

ذكر هذه القصة الزرقانى وأسندها إلى ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم .

الاستعانة والاستغاثة به الى الله فى البلاء :

وقد استفاضت النصوص الصحيحة التى تنطق بأنهم كانوا إذا أصابهم القحط وانقطع عنهم المطر فزعوا اليه مستشفعين متوسلين طالبين مستغيثين به إلى الله فيعرضون عليه حالهم وشكون ما نزل بهم من البلاء والشر .

فهذا أعرابى يناديه وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ويقول:

« يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله ان يغيثنا فدعا الله وجاء المطر الى الجمعة الثانية ، فجاء وقال : يا رسول الله تهدمت البيوت

Marfat.com

وتقطعت السبل وهلكت المواشى .. يعنى من كثرة المطر فدعا صلى الله عليه وسلم فانجاب السحاب وصار المطر حول المدينة » ..

(رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء اذا قحطوا) .

وروى أبو داود بسند جيد عن عائشة رضى الله عنها قالت شكا الناس إلى رسول الله قحوط المطر .

رواه أبو داود فى كتاب الصلاة أبواب الإستسقاء .

وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس . بسند ليس فيه متهم بالوضع وانظر فتح البارى (ج ٢ ص ٤٩٥) .

عن أنس بن مالك أن أعرابيا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط . ولا صبى يغط . ثم أنشد :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها
وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
والقى بكفيه الفتى استكانة
من الجوع ضعفا ما يسر ولا يحلى
ولا شىء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا
وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه فقال :

« اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا غدقا طبقا ناقعا غير ضار عاجلا غير رائث تملأ به الضرع ، وتنبت به الزرع ، وتحيى به الأرض بعد موتها . قال فما رد رسول الله ﷺ يديه حتى القت السماء بأرديتها ، وجاء الناس يضجون الفرق . فقال ﷺ ، حوالينا ولا علينا » ..

Marfat.com

فانجاب السحاب عن المدينة .

فانظر كيف أسند صلى الله عليه وسلم الإغاثة والنفع ونحوهما ــ إلى الغيث على سبيل المجاز فى الإسناد ، وكيف أقر الشاعر على قوله وليس لنا إلا إليك فرارنا ــ البيت ولم يعده مشركا ــ لأن القصر فيه اضافى . وهل كان يخفى عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ففروا إلى الله) وقد أنزلت عليه .

والمعنى ان الفرار المرجو نفعه المؤكد ــ إليك لا إلى من دونك . وإلى الرسل لا إلى من دونهم ــ فإن المرسلين أعلى من بهم يتوسل إلى الله عز وجل . واعظم من يقضى الله الحوائج على أيديهم للملتجئين إليهم والمستغيثين وتأمل جيدا ــ تأثره الشديد صلى الله عليه وسلم بما أنشده هذا الشاعر ، وشدة سرعته إلى نجدتهم وإغاثتهم حيث قام إلى المنبر يجر رداءه ــ ولم يتمهل حتى يصلحه إستعجالا لإجابة داعيه ، وإسراعا إلى إغاثة مناديه ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

* * *

النبى ﷺ هو ركننا وعصمتنا وملاذنا

ولقد ناداه حسان بن ثابت ووصفه بأنه الركن الذى يعتمد عليه والعصمة الذى يلجأ إليه . فقال :

يا ركن معتمد وعصمة لائذ
وملاذ منتجع وجار مجاور
يا من تخيره الإله لخلقه
فحباه بالخلق الزكى الطاهر
أنت النبى وخير عصبة آدم
يا من يجود كفيض بحر زاخر
ميكال معك وجبريل كلاهما
مدد لنصرك من عزيز قادر

انظر الاصابة : (١/٢٦٤) والروض الأنف : (٢/٩١) .

Marfat.com

حمزة فاعل الخيرات وكاشف الكربات

عند ابن شاذان من حديث ابن مسعود : ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول : يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا ذاب عن وجه رسول الله ــ اهـ من المواهب اللدنية (ج ١ ص ٢١٢) .

لا فرق بين الحياة والموت :

فإن قال قائل : إن الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وشكوى الحال إليه وطلب الشفاعة والعون منه وكل ما يكون فى هذا الباب إنما يصح فى حياته ، أما بعد موته فهو كفر وربما تسامح فقال (غير مشروع) أو قال (لا يجوز)

فنقول : إن الاستغاثة والتوسل إن كان المصحح لطلبها هو الحياة كما يقولون فالأنبياء أحياء فى قبورهم وغيرهم من عباد الله المرضيين .

ولو لم يكن للفقيه من الدليل على صحة التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلا قياسه على التوسل والاستغاثة به فى حياته الدنيا لكفى فإنه حيى الدارين دائم العناية بأمته . متصرف بإذن الله فى شؤونها خبير بأحوالها تعرض عليه صلوات المصلين عليه من أمته ويبلغه سلامهم على كثرتهم .

ومن اتسع علمه بشئون الأرواح وما جعلها الله عليه من الخصائص لاسيما العالية منها اتسع قلبه للإيمان بذلك تكيف بروح الأرواح ونور الأنوار نبينا عليه الصلاة والسلام .

ولو كان طلب الشفاعة أو الاستغاثة أو التوسل به عليه الصلاة والسلام شركا وكفرا ــ كما توهموه ــ لما جاز فى حال من الأحوال لا فى الحياة الدنيا ولا فى الحياة الأخرى لا يوم القيامة ولا قبلها فإن الشرك ممقوت عند الله فى كل حال .

* * *

Marfat.com

دعـــوة باطـــلة

أما دعوى أن الميت لا يقـدر على شيء ، فهى باطلة لأنـه ان كان ذلك لكونهم يعتقدون أن الميت صار ترابا فهذا عين الجهل بما ورد عن نبينـا صلى الله عليه وسلم بل عن ربنا جل جلاله من ثبوت حياة الأرواح وبقائهـا بعد مفارقة الأجسام ومناداة النبى صلى الله عليـه وسلم ـ لها يوم بـدر

« يا عمرو بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا فـلان ابن فـلان انا وجـدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » ..

فقيل له : ما ذلك ؟ فقال :

« ما انتم بأسمع لما اقول منهم » ..

ومن ذلك تسليمه على أهل القبور ومناداته لهم بقوله :

« السلام عليكم يا أهل الديار » ..

ومن ذلك عذاب القبر ونعيمه . وإثبات المجىء والذهاب إلى الأرواح إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التى جاء بها الإسلام وأثبتتها الفلســـفة قديماً وحديثا .

ولنقتصر هنا على هذا السؤال :

أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا ؟ فإن لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمـوات بل أحيـاء ولكن لا تشـعرون » .. « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

وان اعتقدوا ذلك فنقول لهم : إن الأنبياء وكثيرا من صالحى المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية فاذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو أفضل منهم أولى على أن حيـاة الأنبياء مصرح بها فى الأحاديث الصحيحة .

فإذن نقول : حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية فلا يسعنا بعـد

Marfat.com

ثبوت الحياة إلا إثبات خصائصها فإن ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما أن نفى اللازم يوجب نفى الملزوم كما هو معروف .

وأى مانع عقلا من الاستغاثة إلى الله بها والاستمداد منها كما يستعين الرجل بالملائكة فى قضاء حوائجه أو كما يستعين الرجل بالرجل [وأنت بالروح لا بالجسم إنسان] .

وتصرفات الأرواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج إلى مباشرة ولا آلة ، فليست على نحو ما تعرف من قوانين التصرفات عندنا فإنها من عالم آخر « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » وماذا يفهمون من تصرف الملائكة أو الجن فى هذا العالم ؟

ولا شك أن الأرواح لها من الاطلاق والحرية ما يمكنها من أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها كالأحياء سواء بل أشد وأعظم . فإن كانوا لا يعرفون إلا المحسوسات ولا يعترفون إلا بالمشاهدات فهذا هو شأن الطبيعيين لا المؤمنين على أننا نتنزل معهم ونسلم لهم أن الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئا ولكن نقول لهم : إذا فرضنا ذلك وسلمنا جدلا فلنا أن نقرر أنه ليست مساعدة الأنبياء والأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح فى هذا العالم ، بل مساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم بالدعاء لهم كما يدعو الرجل الصالح لغيره . فيكون من دعاء الفاضل للمفضول . أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه ، وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسون ويعلمون ، بل الشعور أتم والعلم أعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية .

وقد جاء فى الحديث (١) : أن أعمالنا تعرض عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن وجد خيرا حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا ، ولنا أن نقول إن المستغاث به والمطلوب منه الإغاثة هو الله تعالى ، ولكن السائل يسأل متوسلا إلى الله بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أنه يقضى حاجته . فالفاعل هو الله ، ولكن أراد السائل أن يسأله تعالى ببعض المقربين لديه الأكرمين عليه ،

---

(١) ذكرنا هذا الحديث فى غير موضع من هذا الكتاب مع تخريجه .

Marfat.com

فكأنه يقول : أنا من محبيه [أو محسوبيه] فارحمنى لأجله وسيرحم الله كثيرا من الناس لأجل النبى صلى الله عليه وسلم ــ وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء .

وبالجملة فإكرام الله لبعض أحباب النبى صلى الله عليه وسلم لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض ، أمر معروف غير مجهول . ومن ذلك الذين يصلون على الميت ويطلبون من الله أن يكرمه ويعفو عنه لأجلهم بقولهم : وقد جئناك شفعاء فشفعنا .

* * *

هل طلب ما لا يقدر عليه الا الله شرك ؟

ومن جملة الدعاوى الباطلة التى يستمسك به هؤلاء المكفرون لمن يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو يطلب منه هو قولهم : إن الناس يطلبون من الأنبياء والصالحين الميتين مالا يقدر عليه إلا الله وذلك الطلب شرك .

وجوابه أن هذا سوء فهم لما عليه المسلمون فى قديم الدهر وحديثه فإن الناس إنما يطلبون منهم أن يتسببوا عند ربهم فى قضاء ما طلبوه من الله عز وجل بأن يخلقه سبحانه بسبب تشفعهم ودعائهم وتوجههم كما صح ذلك فى الضرير وغيره ممن جاء طالبا مستغيثا متوسلا به إلى الله وقد أجابهم إلى طلبهم وجبر خواطرهم وحقق مرادهم بإذن الله ولم يقل صلى الله عليه وسلم لواحد منهم : أشركت . وهكذا كل ما طلب منه من خوارق العادات كشفاء الداء العضال بلا دواء وإنزال المطر من السماء حين الحاجة إليه ولا سحاب ، وقلب الأعيان ونبع الماء من الأصابع ، وتكثير الطعام وغير ذلك فهو مما لا يدخل تحت قدرة البشر عادة وكان يجيب إليه . ولا يقول عليه الصلاة والسلام لهم : إنكم أشركتم فجددوا إسلامكم فإنكم طلبتم منى ما لا يقدر عليه إلا الله .

أفيكون هؤلاء أعلم بالتوحيد وبما يخرج عن التوحيد من رسول الله وأصحابه . هذا ما لا يتصوره جاهل فضلا عن عالم .

Marfat.com

وحكى القرآن المجيد قول نبى الله سليمان لأهل مجلسه من الجن والإنس :« يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » .. فهو يطلب منهم الاتيان بالعرش العظيم من اليمن إلى موضعه بالشام على طريقة خارقة للعادة ليكون ذلك آية لصاحبته داعية إلى إيمانها .

ولما قال العفريت من الجن « أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . يعنى فى ساعات قليلة ، قال نبى الله عليه الصلاة والسلام : أريد أعجل من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب وهو أحد الصديقين من أهل مجلسه من الانس « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » يعنى قبل أن يرجع إليك طرفك إذا أرسلته . فقال عليه الصلاة والسلام : ذلك أريد فدعا الرجل فإذا بالعرش بين يديه .

فالإتيان بالعرش على هذه الطريقة هو مما لا يقدر عليه إلا الله وليس داخلا تحت مقدور الإنس ولا الجن عادة وقد طلبه سليمان من أهل مجلسه . وقال ذلك الصديق له : أنا أفعل ذلك . أفكفر نبى الله سليمان بذلك الطلب، وأشرك ولىّ الله بهذا الجواب حاشاهما من ذلك . وإنما إسناد الفعل فى الكلامين على طريقة المجاز العقلى . وهو سائغ بل شائع ..

وكشف الخفاء عن هذا اللبس إن كان ثم خفاء هو أن الناس إنما يطلبون منهم التشفع إلى الله فى ذلك وهو مما أقدرهم الله عليه ، وملكهم إياهم . فالقائل : يا نبى الله إشفنى واقض دينى . لو فرض أن احدا قال هذا فإنما يريد إشفع لى فى الشفاء وادع لى بقضاء دينى وتوجه إلى الله فى شأنى فهم ما طلبوا منه إلا ما أقدرهم الله عليه وملكهم إياه من الدعاء والتشفع .

وهذا هو الذى نعتقده فيمن قال ذلك وندين الله على هذا فالإسناد فى كلام الناس من المجاز العقلى الذى لا خطر فيه على من نطق به كقوله سبحانه وتعالى : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض » وقوله عليه الصلاة والسلام :

« ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » ..

وهو فى كلام الله ورسوله والخاصة والعامة كثير جدا وليس فيه محذور فإن صدوره من الموحدين قرينة على مرادهم وليس فيه شىء من سوء الأدب . وقد فصلنا هذه الحقيقة فى مبحث خاص بها من هذا الكتاب .

Marfat.com

اذا سالت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله

[هذا طرف من الحديث المشهور الذى رواه الترمذى وصححه عن ابن عباس مرفوعا] .

وهذا الحديث يخطىء كثير من الناس فى فهمه . إذ يستدل به على أنه لا سؤال ولا استعانة مطلقا من كل وجه وبأى طريق إلا بالله ويجعل السؤال والاستعانة بغير الله من الشرك المخرج عن الملة ، وهو بهذا ينفى الأخذ بالأسباب والاستعانة بها ويهدم كثيرا من النصوص الواردة فى هذا الباب .

والحق أن هذا الحدث الشريف ليس المقصود به النهى عن السؤال والاستعانة بما سوى الله كما يفيده ظاهر لفظه ، وإنما المقصود به النهى عن الغفلة عن ما كان من الخير على يد الأسباب فهو من الله ، والأمر بالإنتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهو من الله وبالله فالمعنى ، وإذا أردت الاستعانة بأحد من المخلوقين ، ولابد لك منها فاجعل كل اعتمادك على الله وحده . ولا تحجبنك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله . ولا تكن مسن يعلمون ظاهرا من هذه الارتباطات والعلاقات بين الأشياء المترتب بعضها على بعض ، وهم عن الذى ربط بينها غافلون .

وقد أومأ هذا الحديث نفسه إلى هذا المعنى . وذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام عقب هذه الجملة الشريفة : وأعلم ان الأمة او اجتمعت على ان ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . وان اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » فأثبت لهم كما نرى نفعا وضرا بما كتبه الله للعبد أو عليه .

فهذا منه صلى الله عليه وسلم يوضح مراده .

وكيف ننكر الاستعانة بغيره . وقد جاء الأمر بها فى مواضع كثيرة من الكتاب والسنة . قال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة » . وقال : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وحكى عن العبد الصالح ذى القرنين قوله : « فأعينونى بقوة » . وفى مشروعية صلاة الخوف الثابتة بالكتاب والسنة مشروعية استعانة بعض الخلق

Marfat.com

ببعض ، وكذا فى أمره تعالى المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم .

وكذا فى ترغيبه عليه الصلاة والسلام للمؤمنين فى قضاء حوائج بعضهم بعضا ، والتيسير على المعسر والتفريج عن المكروب . وفى ترهيبه من اهمال ذلك ، وهو فى السنة كثير . روى الشيخان : من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » . وقال صلى الله عليه وسلم :

« ان لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم فى حوائجهم ، اولئك الآمنون من عذاب الله » ..

فانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم :

« يفزع اليهم فى حوائجهم » ولم يجعلهم مشركين بل ولا عاصين ..

وروى أيضا مرفوعا :

« ان لله عند اقوام نعما اقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم ، فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم » ..

وروى هو وابن أبى الدنيا عنه صلى الله عليه وسلم :

ان لله اقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم » ..

قال الحافظ المنذرى : ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا : وقال صلى الله عليه وسلم :

« لأن يمشى احدكم مع اخيه فى قضاء حاجته ـ واشار بأصبعه ـ افضل من ان يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » ..

رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

* * *

Marfat.com

واذا سـألت فاسأل الله

أما قوله صلى الله عليه وسلم :

« واذا سألت فاسأل الله » ..

فإنه لا مستمسك فيه ولا دليل لمنع السؤال أو التوسل ، ومن فهم من ظاهره منع السؤال من الغير مطلقا او منع التوسل بالغير على الإطلاق فقد أخطأ الطريق وغالط نفسه كل المغالطة وذلك لأنمن اتخذ الأنبياء والصالحين وسيلة إلى الله ، لجلب خيرا منه عز وجل أو دفع خيرا كذلك ، فهو ليس إلا سائلا الله وحده أن ييسر له ما طلب او يصرف عنه ما شاء متوسلا إليه من توسل به . وهو فى ذلك آخذ بالسبب الذى وضعه الله لينجح العبيد فى قضاء حوائجهم منه عز وجل ، ومن أخذ بالسبب الذى أمر الله بسلوكه لنيل جوده فما سأل السبب بل سأل واضعه فقول القائل يا رسول الله أريد أن ترد عينى أو يزول عنا البلاء أو أن يذهب مرضى . فمعنى ذلك طلب هذه الأشياء من الله بواسطة شفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله : أدع لى بكذا واشفع لى فى كذا ، لا فرق بينهما إلا أن هذه أصرح فى المراد من ذلك ، ومثلهما فى ذلك أوضح قول المتوسل : اللهم إنى أسألك بنبيك تيسير كذا مما ينفع أو أدفع كذا من الشرفاء لمتوسل فى ذلك كله ما سأل فى حاجته إلا الله عز وجل .

وبهذا تعلم أن الاحتجاج على منع التوسل بقوله عليه الصلاة والسلام

« اذا سالت فاسأل الله » ..

هو مغالطة فى حمل الحديث على ما هو ظاهر الفساد ، من أنه لا يصح لأحد أن يسأل غير الله شيئا ، فإن من فهم هذا من الحديث فقد اخطأ الخطأ كله ويكفى فى بيان الخطأ ، أن الحديث نفسه ، إنما هو جواب منه عليه الصلاة والسلام لسؤال ابن عباس راوى الحديث بعد تشويق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأله فإنه قال : يا غلام ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، فأى تحريض على السؤال أجل من هذا ؟

Marfat.com

قال ابن عباس : بلى ، فأجابه عليه الصلاة بهذا الحديث الذى منه هذه الجملة .

ولو جرينا على هذا الوهم ، ما صح على مقتضاه ، أن يسأل جاهل عالما ، ولا واقع فى مهلكة غوثا ، ممن تتوقف نجاته على إغاثته ، ولا دائن مدينا قضاء ما عليه ، ولا مستقرض قرضا ، ولما صح للناس يوم القيامة أن يسألوا النبيين الشفاعة ، ولا صح لنبى الله عيسى أن يأمرهم بسؤالها سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ فإن الدليل على هذا الوهم الذى توهموه عام ، يشمل عدم صحة ما ذكرناه وما لم نذكره .

فإن قالوا : أن الممنوع إنما هو سؤال الأنبياء والصالحين من أهل القبور فى برازخهم لأنهم غير قادرين . وقد سبق رد هذا الوهم مبسوطا . واجماله : إنهم أحياء قادرون على الشفاعة والدعاء . وحياتهم حياة برزخية لائقة بمقامهم يصح بها نفعهم بالدعاء والاستغفار والمنكر لذلك أخف أحواله إنه جاهل بما كاد يلحق بالتواتر من سنته عليه الصلاة والسلام . الدال على أن موتى المؤمنين لهم فى حياتهم البرزخية العلم والسماع والقدرة على الدعاء وما شاء الله من التصرفات فما الظن بأكابر أهل البرزخ من النبيين وسائر الصالحين .

وفى حديث الاسراء الصحيح بل المشهور ــ ما فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع خيرهم محمد صلى الله عليه وسلم من الصلاة خلفه والخطب بين يديه ــ والدعاء له فى السماوات ــ حتى أن الأمة ما ظفرت بتخفيف خمسين صلاة ــ إلى خمس فى كل يوم وليلة بشفاعته صلى الله عليه وسلم المتعددة ــ إلا بعد إشارة كليم الله موسى بن عمران بها عليه . صلى الله عليهما وسلم .

وبهذا يبين أن المقصود من الحديث ــ ليس ما توهموه فإنه فاسد واضح الفساد كما تبين . وإنما المقصود منه الترهيب من سؤال الناس أموالهم بلا حاجة طسعا فيها . والقناعة بما يسر الله ولو كان قليلا ، والتعفف عما لا تدعو إليه الحاجة مما بأيدى الناس ، وأن يستغنى بسؤال الله من فضله فإنه يحب الملحين فى الدعاء ــ والناس على العكس .

Marfat.com

الله يغضب إن تركت سـؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

فالمعنى إذن ــ إنك إذا رأيت فى يد أحد من المال ما أعجبك وطمحت إليه نفسك فلا تسأله ما فى يده واستغن بسؤال الله من فضله ــ عن سؤال عبده فالحديث إرشاد إلى القناعة ، والتنزه عن الطمع ، وأين هذا من سؤال الله بأنبيائه وأوليائه أو سؤال أنبيائه الشفاعة للسائلين فيما جعل الله شفاعتهم فيه من أقوى الأسباب فى النجاح ، ولكن الإنسان إذا ركب الهوى شط به فى مجال الأوهام . وخرج به عن جادة صحيح الأفهام .

* * *

Marfat.com

انه لا يســـتغاث بى

جاء فى الحديث إنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« انه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله » ..

رواه الطبرانى فى معجمه الكبير .

وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بمنع الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم . وهذا استدلال باطل من أصله وذلك لأنه لو أجراه على ظاهره لكان المقصود به منع الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم مطلقا ، كما هو ظاهر اللفظ وهذا منقوض بفعل الصحابة معه صلى الله عليه وسلم إذ كانوا يستغيثون ويستسقون به ويطلبون منه الدعاء وهـو يستجيب لذلك بفـرح وسرور وحينئذ فلابد مـن تأويـله بما يناسب عمـومات الأحاديث لينتظم شـمل النصوص فنقول : إن المراد بقوله ذلك هو إثبات حقيقة التوحيد فى أصل الاعتقاد وهو ان المغيث حقيقة هو الله تعالى والعبد ما هو إلا واسطة فى ذلك أو أنه أراد أن يعلمهم أنه لا يطلب من العبد ما لا يقدر عليه كالفوز بالجنـة والنجاة من النار والهداية التى هى العصمة من الغواية وضمان الختم على السعادة .

والحديث لا يدل على تخصيص الاسـتعانة والاغاثة بالحى دون الميت ولا يست بصلة إلى هذا التفريق بل إن ظاهره يمنع الاستغاثة أبدا بما سوى الله دون تفريق بين حى وميت وهذا غير مقصود لما قدمناه .

وقد أشار الشيخ ابن تيمية فى الفتاوى إلى نحو هذا المعنى حيث قال : قد يكون فى كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض النـاس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه ، كما روى الطبرانى فى معجمه الكبير انه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يـؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق وقوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« انه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله » ..

Marfat.com

فهذا إنما أراد به النبى صلى الله عليه وسلم لعنى الثانى وهو أن يطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله ، وإلا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش له ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

* * *

ألفاظ مستعملة وردت فى هذا الباب

وقد وردت ألفاظ فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم حصل بسببها اللبس عند بعضهم فحكم بالكفر على قائليها وذلك كقولهم ليس لنا ملاذ سوى النبى صلى الله عليه وسلم .

ولا رجاء إلا هو ..

وأنا مستجير به ..

وإليه يفزع فى المصائب وإن توقفت فمن أسأل

ومقصودهم ليس لنا ملاذ أى من الخلق . ولا رجاء أى من البشر وإليه يفزع فى المصائب أى من سائر الخلق لكرامته عند مولاه وليقوم هو بالتوجه إلى الله والطلب منه وإن توقفت فمن أسأل أى من عباد الله .

ومع أننا فى دعائنا وتوسلنا لا نستعمل مثل هذه الألفاظ ولا ندعو إليها ولا نحث عليها دفعا للإيهام وابتعادا عن الألفاظ المختلف فيها وتمسكا بالظاهر الذى لا خلاف فيه إلا أننا نرى أن الحكم على قائليها بالكفر تسرع ليس بمحمود وتصرف لا حكمة فيه وذلك لأنه لابد من أن نأخذ فى الاعتبار أن قائليها هم من الموحدين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمون الصلاة ويصدقون بجميع أركان الدين ويؤمنون بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبذلك صارت لهم ذمة أهل الدين وحرمة الإسلام ، فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

« من صلى صلاتنا واسلم واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله فى ذمته » ..

رواه البخارى .

ومن هنا فإن الواجب علينا أننا إذا وجدنا فى كلام المؤمنين إسناد شىء لغير الله سبحانه وتعالى فإنه يجب حمله على المجاز العقلى ولا سبيل إلى تكفيرهم إذ المجاز العقلى مستعمل فى الكتاب والسنة فصدور ذلك الإسناد من موحد كاف فى جعله إسنادا مجازيا لأن الاعتقاد الصحيح هو إعتقاد أن الله هو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحى ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع فى الاشراك وليس فى المسلمين إطلاقا من يعتقد لأحد مع الله فعل أو ترك أو رزق أو إحياء أو إماتة وما جاء من الألفاظ الموهمة فإن مقصود أصحابها هو الاستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة فالمقصود هو الله سبحانه وتعالى وليس من المسلمين رجل واحد يعتقد فيمن يطلبه أو يسأله أنه قادر على الفعل والترك دون التفات إلى الله تعالى من قريب أو بعيد أو مع التفات هو أدنى إلى الشرك بالله ونعوذ بالله أن نرمى مسلماً بشرك أو كفر من أجل خطأ أو جهل أو نسيان أو اجتهاد (١) .

إن كان كثير من هؤلاء يخطئون فى التعبير بطلب المغفرة والجنة والشفاء والنجاح وسؤالهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فإنه لا يخطئهم التوحيد ، لأن المقصود هو الإستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة فكأنه يقول : يا رسول الله اسأل الله أن يغفر لى وأن يرحمنى ، وأنا أتوسل بك إليه فى قضاء حاجتى وتفريج كربتى وتحقيق رغبتى .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يستعينون به صلى الله عليه وسلم ويستغيثون ويطلبون منه الشفاعة ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض والبلاء والدين والعجز . كما ذكرناه .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك بنفسه إستقلالا بذاته أو

---

(١) تكرر ايراد هذه الحقيقة فى كتابنا هذا لتعدد المناسبات ، وقد عقدنا لها مبحثا خاصا بعنوان « المجاز العقلى » وبه ينجلى كثير من الاشكال وسوء الفهم .

Marfat.com

بنبوته ، وإنما هو بإذن الله وأمره وقدرته وهو عبد مأمور له مقامه وجاهه عند ربه ، وله كرامته التى يدخل بها على الله عامة البشر ممن يؤمنون به ويصدقون برسالته ويعتقدون فضله وكرامته .

ونحن نعتقد أن من اعتقد خلاف هذا فقد أشرك بلا خلاف .

ولذلك تراه صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان ينبه على هذا إذا ظهر له بطريق الوحى أو الحال أن السائل أو السامع نافص الاعتقاد ففى موقف يخبر أنه سيد ولد آدم ، وفى موقف آخر ينبه عليهم بأن السيد هو الله وفى موقف يستغيثون به ويعلمهم أن يتوسلوا به ، وفى موقف يقول لهم إنما يستغاث بالله ولا يستغاث بى . وفى موقف يسألونه ويستعيثون به فيجيبهم إلى طلبهم . بل ويخيرهم بين أمرين . الصبر على البلاء مع ضمانة الجنة أو كشف البلاء سريعا كما خير الأعمى وخير المرأة التى تصرع ،وخير قتادة الذى ذهبت عينه . وفى موقف يقول لهم : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . وفى موقف يقول : من فرج عن مؤمن كربة .. وفى موقف يقول لا يأتى بالخيرات إلا الله .

وبهذا يظهر لك ان عقيدتنا بحمد الله أصفى عقيدة وأطهر فالعبد لا يفعل شيئاً بنفسه مهما كانت رتبته أو درجته حتى أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم . إنما يعطى ويمنع ويضر وينفع ويجيب ويعين بالله سبحانه وتعالى . فإذا استغيث به أو استعين أو طلب فإنما يتوجه إلى المولى جل شأنه سبحانه وتعالى . فيطلب ويدعو ويسأل ويشفع فيجاب ويشفع .

وما كان يقول لهم لا تطلبوا منى شيئا ولا تسألونى ولا تشكوا حالكم إلىّ ، بل توجهوا إلى الله واسألوه فبابه مفتوح وهو قريب مجيب لا يحتاج إلى أحد ، وليس بينه وبين خلقه حجاب ولا بواب .

* * *

Marfat.com

الخلاصـــة :

والحاصل أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والايجاد لغير الله تعالى ـ والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها فإنه إن اعتقد الايجاد لغير الله كفر على خـلاف للمعتزلة فى خلق الأفعـال وإن اعتقـد التسبب والاكتساب لم يكفر .

وانت تعلم ان غاية ما يعتقد الناس فى الأموات هـو أنهم متسببون ومكتسبون كالأحياء لا أنهم خالقون موجدون كالإله إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون فى الأحياء إلا الكسب والتسبب فإذا كان هناك غلط فليكن فى اعتقاد التسبب والاكتساب لأن هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن فى المخلوق وإلا لم يكن مؤمنا والغلط فى ذلك ليس كفرا ولا شركا .

ولا نزال نكرر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد فى الميت أكثر مما يعتقد فى الحى فيثبت الأفعال للحى على سبيل التسبب ، ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتى والإيجاد الحقيقى فإنه لاشك أن هذا مما لا يعقـل . فغاية أمر هذا المستغيث بالميت ـ بعد كل تنزل ـ أن يكون كمـن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد ، ومن يستطيع أن يقول إن ذلك شرك ؟ على أن التسبب مقدور للميت وفى إمكانه أن يكتسب كالحى بالدعاء لنـا فإن الأرواح تدعو لأقاربهـم كمـا فى الحديث الشريف إذا بلغهـم عنهـم ما يسوءهم فيقولون : « اللهم راجع بهم أو لا تستهـم حتى تهـديهم » بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسـها كالأحياء ويمكنهـا أن تلهمك ونرشـدك كالملائكة إلى غير ذلك . وكثيرا ما انتفع الناس برؤيا الأرواح فى المنـام .

* * *

Marfat.com

فسخ الغاء :

Marfat.com

الباب الثانی

مباحث نبویّه

وفیها بیان خصائص النبیّ صلی اللہ علیہ وسلم
وحقیقۃ النبوۃ وحقیقۃ البشریۃ وحقیقۃ الحیاۃ البرزخیۃ

Marfat.com

Marfat.com

الخصائص المحمدية وموقف العلماء منها

اعتنى العلماء بالخصائص النبوية اعتناء عظيما بالتأليف والشرح والجمع والأفراد بالبحث وأشهرها وأجمعها « الخصائص الكبرى » للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى .

وهذه الخصائص كثيرة جداً منها ما صح سنده ومنها ما لم يصح ومنها ما هو مختلف فيه بين العلماء إذ يرى بعضهم أنه صحيح ويرى الآخرون خلاف ذلك فهى مسائل خلافية .

والكلام فيها دائر بين العلماء من قديم بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان لا بين الكفر والإيمان . والعلماء يختلفون فى كثير من الأحاديث ويرد بعضهم على بعض فى تصحيحها وتضعيفها أوردها لاختلاف أنظارهم فى تقييم اسانيدها ونقد رجالها فمن صحح منها الضعيف أو ضعف الصحيح او اثبت المردود أو رد الثابت بحجة أو تأويل أو شبهة دليل فقد سلك مسلك العلماء فى البحث والنظر ، وذلك من حقه كإنسان لعقله وفهمه والمجال مفتوح والميدان فسيح والعلم مشاع بين الجميع .

وقد شجع عليه إمام العقلاء وسيد العلماء النبى الأعظم والرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم إذ جعل للمجتهد المصيب أجرين وللمجتهد المخطىء أجراً .

ولم يزل العلماء يتسامحون فى نقل الخصائص النبوية وينظرون إليها على أنها داخلة فى فضائل الأعمال ولا تتعلق بالحلال والحرام وعلى هذا بنى العلماء قاعدتهم فى العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال مادام أنه ليس موضوعا ولا باطلا بشروطهم المعتبرة فى هذا الباب ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه . ولو ذهبنا إلى اشتراط هذا الشرط الشاذ لما أمكن لنا ذكر شىء من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعد البعثة مع أنك تجد كتب الحفاظ الذين عليهم العمدة وعلى صنيعهم المعول

Marfat.com

والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف نجد كتبهم مملوءة بالمقطوعات والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشباههم فى خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك مما يجوز ذكره فى هذا المقام .

كتب السلف والخصائص :

ولو رجعنا إلى كتب السلف لوجدنا كثيرا من علماء الأمة وأئمة الفقه يذكرون فى كتبهم جملة من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم وينقلون من هذه الخصائص عجائب وغرائب ولو توقف الباحث فى قبولها على صحة سندها لما صفا له من ذلك إلا نزر يسير بالنسبة لمقدار ما نقلوه منها وهذا كله اعتمادا على ما هو معروف من قواعد العلماء وأصولهم المقررة فى هذا الباب .

* * *

Marfat.com

ابن تيمية والخصائص النبــوية

أما الشيخ ابن تيمية وهو معروف بتشدده فقد نقل فى كتبه بعض الأقوال فى هذا الموضوع التى لم يصح سندها واستشهد بها فى كثير من المســائل واعتبرها معتمدة فى بيان أو تأييد ما يفسره من الحديث . ومــن ذلك على سبيل المثال قوله فى الفتاوى الكبرى : قد روى أن الله كتب اسمه أى النبى صلى الله عليه وسلم على العرش وعلى ما فى الجنة من الأبواب والقبــاب والأوراق ، وروى فى ذلك عدة آثار توافق هذه الأحاديث الثابتة التى تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره حينئذ قال : وقد تقدم لفظ الحديث الذى فى المسند عن ميسرة الفجر لما قيــل له متى كنت نبيــاً ؟ قال وادم بين الروح والجسد ، وقد رواه أبو الحسين بن بشران من طريق الشيخ أبى الفــرج ابن الجوزى فى الوفا بفضل المصطفى صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو وحدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح حدثنا محمد بن صــالح حدثنا محمد بن سنان العوفى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن يزيد بن ميسرة عن عبد الله بن سفيان عن ميسرة قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟

« قال لما خلق الله الأرض واستوى الى السماء فسواهن سبع ســموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء ، وخلق الجنة التى اسكنها آدم وحواء فكتب اسمى على الأبواب والأوراق والقبــاب والخيام وآدم بين الروح والجسد فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمى فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باســمى اليه » ..

(اهـ الفتاوى ج ٢ ص ١٥١)

ابن تيمية والكــرامات :

والخصائص والكرامات من جنس واحد من ناحية الحكم عليها ونقلها وعدم التشدد فيها كما تتشدد فى نقل الأحكام من الحــلال والحرام فهى كلها تدور فى فلك المناقب والفضائل .

Marfat.com

ومن هنا كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من كرامات الأولياء نفس موقفه من خصائص الأنبياء .

وقد نقل فى كتبه جملة صالحة من الكرامات وخوارق العادات التى وقعت فى الصدر الأول .

ولو بحثنا عن درجاتها وأسانيدها وطريق ثبوتها لوجدنا أن منها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف ومنها المقبول ومنها المردود ومنها المنكر ومنها الشاذ .

وكل ذلك فى هذا الباب مقبول وعن العلماء محمول ومنقول فمن ذلك قوله فى كرامات لبعض الصحابة ـ رضى الله عنهم :

١ ـ خرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها .

٢ ـ وهذا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده .

٣ ـ وهذا البراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه وكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين فى الجهاد يقولون : يا براء ! اقسم على ربك ، فيقول : يا رب ! أقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم فهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا اكتافهم وجعلتنى أول شهيد ، فمنحوا أكتافهم ، وقتل البراء شهيداً .

٤ ـ وهذا خالد بن الوليد حاصر حصنا منيعاً فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم فشربه فلم يضره .

٥ ـ وهذا عمر بن الخطاب لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فقدم رسول الجيش فسأل فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدو فهزمونا فإذا بصائح : يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله .

Marfat.com

٦ ــ وهذا العلاء بن الحضرمى كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول فى دعائه : يا عليم ، يا حليم ، يا على ، يا عظيم فيستجاب له ، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضوا لما عدموا الماء والاسقاء لما بعدهم فاجيب . ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فسروا على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات ، فلم يجدود فى اللحد .

٧ ــ وجرى مثل ذلك لأبى مسلم الخولانى الذى ألقى فى النار ، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهى ترمى بالخشب من مدها ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال : اتبعنى فتبعه فوجدها قد تعلقت بشىء فأخذها ، وطلبه الأسود العنسى لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائما يصلى فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما : وقدم المدينة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنهما . وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله ، ووضعت له جارية السم فى طعامه فلم يضره وخيبت [1] امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت ، وجاءت وتابت فدعا لها الله فرد عليها بصرها .

٨ ــ وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره .

٩ ــ وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يصلى يوما فى شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو أنه يخدمهم :

١٠ ــ وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته : وكان هو وصاحب له يسيران فى ظلمة فأضاء لهما طرف السوط . اهـ

(من الفتاوى الكبرى للشيخ ابن تيميه جـ ١١ ص ٢٨١)

---

(١) الخب : الخداع .

Marfat.com

الشيخ ابن القيم وجلوس النبى ﷺ على العرش

وقد نقل الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن القيم خصوصية عجيبة غريبة وعزاها إلى كثير من أئمة السلف رضى الله عنهم ــ وهى قوله:

[فائدة] قال القاضى صنف المروزى كتابا فى فضيلة النبى صلى الله عليه وسلم وذكر فيه إقعاده على العرش قال القاضى وهو قول أبى داود وأحمد ابن أصرم ويحيى بن أبى طالب وأبى بكر بن حماد وأبى جعفر الدمشقى وعياش الدورى وإسحاق بن راهويه وعبد الوهاب الوراق وإبراهيم الأصبهانى وإبراهيم الحربى وهارون بن معروف ومحمد بن إسماعيل السلمى ومحمد بن مصعب العابد وأبى بكر بن صدقة ومحمد بن بشر بن شريك وأبى قلابة وعلى ابن سهل وأبى عبد الله بن عبد النور وأبى عبيد والحسن ابن فضل وهارون بن العباس الهاشمى وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمى ومحمد بن عمران الفارسى الزاهد ومحمد بن يونس البصرى وعبد الله ابن الإمام أحمد والمروزى وبشر الحافى ، انتهى ، قال الشيخ ابن القيم [قلت] وهو قول ابن جرير الطبرى وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير وهو قول أبى الحسن الدارقطنى ومن شعره فيه :

حديث الشفاعة عن أحمد ... إلى أحمد المصطفى مسنده

وجاء حديث باقعاده ... على العرش أيضا فلا نجحده

أمرّوا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيه ما يفسده

ولا تنكروا أنه قاعد ... ولا تنكروا أنه يُقعده

هـ (بدائع الفوائد للشيخ ابن القيم ج ٤ ص ٤٠)

كشاف القناع وخصائص عجيبة :

ذكر فى كشاف القناع للفقيه العلامة الشيخ منصور بن يونس البهوتى الحنبلى جملة من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم قد يستغربها كثير ممن يقصر عقله عن فهم هذه الأصول واستيعاب تلك القواعد .

Marfat.com

فمنها قوله والنجس منا طاهر منه صلى الله عليه وسلم ومن سائر الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يستشفى ببوله ودمه لما رواه الدارقطنى أن أم أيمن شربت بوله فقال : [إذن لا تلج النار بطنك] لكنه ضعيف ولما رواه ابن حبان فى الضعفاء [إن غلاما حجم النبى صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من حجامته شرب دمه . فقال : ويحك ما صنعت بالدم ؟ قال : غيبته فى بطنى قال : [اذهب فقد أحرزت نفسك من النار] قال الحافظ ابن حجر : وكأن السر فى ذلك ما صنعه الملكان من غسلهما جوفه .

ومنها قوله ولم يكن له صلى الله عليه وسلم [فىء] أى ظل [فى الشمس والقمر لأنه نورانى والظل نوع ظلمة] ذكره ابن عقيل وغيره ، ويشهد له أنه سأل الله أن يجعل فى جميع أعضائه وجهاته نوراً وختم بقوله واجعلنى نورا [وكانت الأرض تجتذب أثقاله] للاخبار .

ومنها قوله : المقام المحمود جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش وعن عبد الله بن سلام على الكرسى ذكرهما البغوى .

وقوله : إنه كان لا يتثاءب .

وأنه عرض عليه الخلق من آدم إلى من بعده كما علم آدم أسماء كل شىء لحديث الديلمى : [مثلت لى الدنيا بالماء والطين فعلمت الأشياء كلها] وعرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم لحديث الطبرانى [عرضت على أمتى البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها صوروا لى الماء والطين حتى انى لأعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه] ، وعرض عليه أيضاً ما هو كائن فى أمته حتى تقوم الساعة لحديث أحمد وغيره [أدريت ما تلقى أمتى بعد وسفك بعضهم دماء بعض] .

ومنها قوله : [وزيارة قبره مستحبة للرجال والنساء] لعموم ما روى الدارقطنى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من حج وزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى] اهـ (كشاف القناع ج د ص ٣٠) طبع بأمر الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ــ رحمه الله .

فهذه الخصائص التى ذكروها ونقلوها منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف ومنها ما لا دليل له أصلا .

Marfat.com

فلا أدرى مادا يقول المعترض فى هذه الخصائص التى نقلها كبار الأئمة من أهل السنة ولم يعترضوا عليها بشىء وسلموها وتسامحوا فى نقلهـــا اعتمادا على قاعدة التسامح فى نقل الفضائل مع أن فى هذه الخصائص مـــن الأقوال ما لو سمعه المعترض أو المنكر لحكم على قائله بما هو أعظـــم مـــن الكفر وأين ما نقلناه بجانب من قال : إن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم يجلسه الله يوم القيامة على عرشه كما نقله الإمام الشيخ ابن القيم عن كبار أئمة السلف فى كتابه المعروف [بدائع الفوائد] بلا برهان ولا دليل صحيح من كتاب ولا سنه وأين ما نقلناه من الخصائص بجانب ما جاء فى كشاف القناع من أن النبى نور وأنه لا ظل له وأن ما يخرج منه من الغائط تبتلعه الأرض فلا يبقى شىء منه على وجه الأرض ، وأين ما نقلناه مـــن الخصائص بجانب ما نقله الشيخ ابن تيمية من الخصائص كقوله ان اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوب على ساق العرش وعلى أوراق الجنة وأشجارها وأبوابها وثمارها وقبابها ، فأين المعلقون والمحققون كيف فاتت عليهم هذه المسائل دون نقـــد وتمحيص .

* * *

Marfat.com

الجنة تحت أقدام الأمهات فكيف لا تكون تحت أمر النبى صلى الله عليه وسلم

ومن الخصائص النبوية التى جرى فيها البحث بين أهل العلم ما جاء من أن النبى صلى الله عليه وآله يقطع أرض الجنة وقد ذكر هذه الخصوصية الحافظ السيوطى والقسطلانى والزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية ومعلوم أن هذا الأقطاع لا يكون إلا لمن يستحقه من أهل التوحيد وبإذن من الله سبحانه وتعالى إما من طريق الوحى أو الإلهام أو التفويض من الله سبحانه وتعالى وقد أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله إنما أنا قاسم والله معطى . وإذا صح التعبير بأن الجنة تحت أقدام الأمهات فكيف لا يصح التعبير بأن الجنة تحت أمره صلى الله عليه وآله وسلم بل تحت قدمه والمعنى واحد ومعروف عند أدنى طلاب العلم معرفة فهو تعبير مجازى المقصود منه أن الوصول إلى الجنة هو من طريق بر الوالدين وخدمتهما وخصوصا الأم ، وهو بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم من حيث طاعته ومحبته وموالاته .

ولهذه الخصوصية أمثال كثيرة تشهد لصحتها سنذكر أهمها .

النبى ﷺ يضمن الجنة :

ويأتى فى معنى إقطاع أرض الجنة ضمانة النبى صلى الله عليه وسلم الجنة لبعضهم وهذا ما حصل لأهل بيعة العقبة فعن عبادة بن الصامت قال كنت ممن حضر العقبة الأولى وفيه فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان عظيم نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف قال فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله إن شاء عذب وان شاء غفر . ذكره ابن كثير فى باب بدء اسلام الأنصار (السيرة ج ٢ ص ١٧٦) .

وجاء فى الصحيح التصريح بأن تلك البيعة مشروطة بالجنة قال عبادة ابن الصامت إنى من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل النفس التى

Marfat.com

حرم الله إلا بالحق ولا ننهب بالجنة إن فعلنـــا ذلك [1] . رواه البخـــارى فى كتاب (مناقب الأنصار باب بيعة العقبة) . وفى رواية إنه صلى الله عليه وسلم قال : فسن وفى فله الجنة كذا فى البداية (ج ٣ ص ١٥٠) .

وعن قتادة أنهم قالوا يا رسول الله فمالنا بذلك إن وفينا قال الجنة ا هـ (البداية ج ٣ ص ١٦٢) .

وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« فاذا علمتم ذلك فلكم على الله الجنة وعلىَّ » ..

رواه الطبرانى انظر (كنز العسال ج ١ ص ٦٣) ومجموع الزوائد (ج ٦ ص ٤٧)

وعن عتبة بن عمرو الأنصارى انه صلى الله عليه وسلم قال :

« فاذا علمتم ذلك فلكم على الله الجنة وعلىَّ » ..

رواه ابن أبى شيبة وابن عساكر ــ انظر كنز العسال (ج١ ص ٦٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه نعليه فقال له اذهب فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله فبشره بالجنة » ..

رواه مسلم فى كتاب الإيمان .

صكوك لدخول الجنـــة بيده ﷺ

وروى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوضع للأنبياء منـــابر مـــن نور يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه ، او قال لا اقعد عليه ، قائما بين يدى ربى مخافة أن يبعث بى الى الجنة وتبقى امتى بعد فاقول : يارب امتى امتى . فيقول الله عز وجل : يا محمد ما تريد ان اصنع بامتك ؟ فاقول يارب

---

(١) اى بايعناه بالجنة على فعل ذلك ، يعنى اشترطوا عليه ضمانة الجنة لهم ، فاعطاهم .

Marfat.com

عجل حسابهم ، فيدعى بهم فيحاسبون ، فمنهم من يدخل الجنة برحمته ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى فما ازال اشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار حتى ان مالكا خازن النار ليقول : يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة » ..

رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى فى البعث . قال المنذرى وليس فى رواته متروك .

النبى صلى الله عليه وسلم يعطى الجنة :

جاء فى رواية عن جابر رضى الله عنه إنه قال : فقلنا فعلام نبايعك ؟ فقال

« على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكم الجنة » ..

الحديث . قال الحافظ ابن حجر ولأحمد من وجه آخر عن جابر قال : كان العباس آخذا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اخذت واعطيت » ..

ا هـ (فتح البارى ج ٧ ص ٢٢٣) رواه أحمد [مجمع الزوائد ج ٦ ص ٤٨] أى أخذت البيعة وأعطيت الجنة .

قلت وقد جاء فى رواية أخرى التصريح بما هو أبلغ من ذلك قال جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم تبايعونى على السمع والطاعة إلى أن قال : ولكم الجنة . قال فقالوا : والله لا ندع هذه البيعة أبدا ولا نسلبها أبدا فبايعناه فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة قال الهيثمى روى أصحاب السنن طرفا منه رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح . ا هـ (مجمع الزوائد ج ٦ ص ٤٦) .

النبى صلى الله عليه وسلم يبيع الجنة وعثمان يشتريها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرتين بيع الحق حيث حفر بئر معونة وحيث جهز جيش العسرة . رواه الحاكم فى مستدركه (ج ٣ ص ١٠٧) وصححه .

Marfat.com

وكل عاقل يدرى أن الجنة لله سبحانه وتعالى لا يملكها أحد ولا يتصرف فيها أحد مهما كانت قيمته ودرجته لا ملك ولا نبى ولا رسول ولكن الله يمن على رسله ويعطيهم من المنح التى تميزهم عن غيرهم وذلك لكرامتهم عنده وعلو مقامهم لديه فتنسب إليهم تلك العطايا وتضاف إليهم تلك التصرفات على جهة التكريم والتعظيم والاحترام والتقديم ومن هذا المنطلق جاء التعبير فى خصائص النبى صلى الله عليه وسلم من أنه يقطع أرض الجنة أو يضمن الجنة أو يبيع الجنة أو يبشر بالجنة مع أن الجنة لله سبحانه وتعالى لا يشك فى ذلك ولا يرتاب إلا جاهل ليس عنده أدنى معرفة بأبسط مسائل العلم . اللهم نور بصائرنا وافتح مسامع قلوبنا وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه .

ما هو المقصود بليلة المولد المفضلة :

ذكر بعض العلماء فى الخصائص النبوية أن ليلة المولد النبوى أفضل من ليلة القدر وعقد مقارنة فى هذا الموضوع بين الليلتين والذى نحب أن نذكره هنا هو أن المقصود بهذه الليلة هى الليلة التى وقع فيها الميلاد النبوى حقيقة وهى قد مضت منذ مئات السنين وهى كانت قبل أن تعرف أو تظهر ليلة القدر بلاشك وليس المقصود بذلك ليلة المولد المتكررة كل عام والتى هى نظائر ليلة الميلاد الحقيقى . والحق أن البحث فى هذه المسألة ليس بكبير فائدة ولا يترتب على إنكاره أو الاقرار به ضرر أو خطر ولا يعارض ذلك شيئا من أصول العقيدة وقد بحث العلماء فى مسائل حقيرة وألفوا فيها رسائل خاصة وهى لا تساوى شيئاً أمام هذه المسألة . والحاصل أننا نعتقد أن هذه المفاضلة هى بين ليلة المولد الحقيقى ، وبين ليلة القدر ، وأن الليلة التى وقع فيها المولد النبوى والتى جرى فيها بحث المفاضلة والمقارنة قد مضت وانتهت ولا وجود لها اليوم ـ أما ليلة القدر فهى موجودة ومتكررة فى كل عام ولذلك فهى أفضل الليالى لقوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » والبحث فى هذه المسألة وأمثالها جرى بين أئمة العلم وتكلم فيه كبار السلف ، فهذا الشيخ الإمام ابن تيمية يتكلم عن مسألة المقارنة بين ليلة القدر وليلة الإسراء ويبحث فيها بدقة وإتقان مع أنه لم يثبت أنه بحث فيها أو تكلم عنها أحد

Marfat.com

قبله من أئمة السلف وأهل القرون الأولى فضلا عن الصحابة فضلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

فتوى ابن تيمية فى الموضوع :

قال الإمام الشيخ ابن القيم : سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن رجل قال : ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر وقال آخر : بل ليلة القدر أفضل فأيهما مصيب ؟ فأجاب الحمد لله . أما القائل بأن ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر فإن أراد به أن تكون الليلة التى أسرى فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه فى ليلة القدر فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الاسلام ، وإن أراد الليلة المعينة التى أسرى فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له فى غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح (انظر مقدمة زاد المعاد لابن القيم) .

* * *

Marfat.com

لا تطـــرونى

فهم بعض الناس من قوله صلى الله عليه وسلم : **لا تطرونى كما اطرت** النصارى عيسى ابن مريم . النهى عن مدحه صلى الله عليه وسلم واعتبار ذلك من الإطراء والغلو المذموم المؤدى إلى الشرك وأن كل من مـــدحه صلى الله عليه وسلم ورفعه عن غيره من عامة البشر وأثنى عليه ووصفه بما يميزه عن غيره فقد ابتدع فى الدين وخالف سنة سيد المرسلين .

وهذا فهم سيء ويدل على قصر نظر صـــاحبه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان يطرى كما أطرت النصارى ابن مريم إذ قالوا : ابن الله . ومعنى ذلك ان من أطراه صلى الله عليه وسلم ووصفه بما وصف به النصارى نبيهم فقد صار مثلهم .

أما من مدحه ووصفه بما لا يخرجه عن حقيقة البشرية معتقدا أنه عبد الله ورسوله مبتعدا عن معتقد النصارى فإنه ولاشك من أكمل الناس توحيدا .

دع ما ادعته النصـــارى فى نبيهم وأحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن فضـــل رســـول الله ليس له حد فيعـــرب عنـــه ناطـــق بفـــم

لقد تولى الله سبحانه وتعالى بنفسه مدح نبيه المصطفى صلى الله عليـــه وسلم فقال : « وإنك لعلى خلق عظيـــم » وأمر بالأدب معـــه فى الخطـــاب والجواب فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صـــوت النبى » ونهانا أن نعامله كما يعامل بعضنا بعضا ، أو أن نناديه كما ينادى بعضنا بعضا ، فقال :

« لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » ..

وذم الذين يسوّون بينه وبين غيره فى المعاملة والأسلوب فقال : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

وقد كان الصحابة الكرام يمتدحون النبى صلى الله عليه وسلم . فهذا حسان بن ثابت يقول :

Marfat.com

أغرّ عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبى أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند
فأنذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد

ويقول أيضاً :

يا ركن معتمد وعصمة لائذ وملاذ منتجع وجار مجاور
يا من تخيّره الإله لخلقه فحباه بالخلق الزكى الطاهر
أنت النبى وخير عصبة آدم يا من يجود كفيض بحر زاخر
ميكال معك وجبريل كلاهما مدد لنصرك من عزيز قادر

وهذه صفية بنت عبد المطلب ترثى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ليبك عليك اليوم من كان باكيا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا رمت صليب العود أبلج صافيا
فدًى لرسول الله أمى وخالتى وعمى وآبائى ونفسى ومالياً
لعمرك ما أبكى النبى لفقده ولكن لما اخشى من الهرج آتيا
كأن على قلبى لذكر محمد وما خفت من بعد النبى مطاويا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وادخلت جنات من العدن راضيا
أفاطم صلى الله رب محمد على جدث أمسى بطيبة ثاويا

وهذا كعب بن زهير يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته المعروفة التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

قال :

أُنبئت ان رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

Marfat.com

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عود السود التنابيل

وفى رواية أبى بكر ابن الأنبارى إنه لما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليه بردة كانت عليه ، وان معاوية بذل له فيها عشرة آلاف دينار فقال :ما كنت لأوثر برسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم .

وها هو صلى الله عليه وسلم يمدح نفسه بنفسه قال :

أنا خير أصحاب اليمين .

أنا خير السابقين .

أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر .

(رواها الطبرانى والبيهقى فى الدلائل)

وقال : أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .

(رواه الترمذى والدارمى)

وقال : « لم يلتق أبواى على سفاح قط » .

(رواه ابن عبر العدنى فى مسنده)

ويقول جبريل عليه السلام : « قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم » .

(رواه البيهقى وأبو نعيم والطبرانى عن عائشة رضى الله عنها)

وعن انس رضى الله عنه :

« أن النبى صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق ليلة أسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل : بمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا » ..

(رواه الشيخان)

Marfat.com

وفى حديث أبى سعيد قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » ..

(رواه الترمذى وقال حسن صحيح)

وعن أنس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا انصتوا . وأنا شفيعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ولواء الحمد يومئذ » ..

« وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور » ..

(رواه الترمذى والدارمى)

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أنا اول من تنشق عنه الأرض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم على يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى » ..

(رواه الترمذى وقال حسن صحيح)

* * *

Marfat.com

الأنبيـــاء بشر ولكن ..

يظن بعض الناس أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يساوون غيرهم من البشر فى كل أحوالهم وأعراضهم وهذا خطأ واضح وجهل فاضح ترده الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة .

وهم وإن كانوا يشتركون مع جميع بنى آدم فى حقيقة الأصل التى هى البشرية من قوله جل ذكره « قل إنما أنا بشر مثلكم » إلا أنهم يختلفون عنهم فى كثير من الصفات والعوارض وإلا فما هى مزيتهم ؟ وكيف تظهر ثمرة اصطفائهم على غيرهم واجتبائهم على من سواهم .

وسنذكر فى هذا المبحث شيئا من صفاتهم فى الدنيا وخصائصهم فى البرزخ التى ثبتت لهم بنص الكتاب والسنة .

الأنبيـاء سـادة البشر :

الأنبياء هم الصفوة المختارة من عباد الله شرّفهم الله بالنبوة وأعطاهم الحكمة ورزقهم قوة العقل وسداد الرأى واصطفاهم ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه يبلغونهم أوامر الله عز وجل ويحذرونهم غضبه وعقابه ويرشدونهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة . وقد اقتضت حكمة الله أن يكونوا من البشر ليتمكن الناس من الاجتماع بهم والأخذ عنهم والاتباع لهم فى سلوكهم وأخلاقهم والبشرية هى عين إعجازهم فهم بشر من جنس البشر لكنهم متميزون عنهم بما لا يلحقهم به أحد ومن هنا كانت ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هى نظرة جاهلية شركية .

فمن ذلك قول قوم نوح فى حقه فيما حكاه الله عنهم إذ قال : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا » سورة هود : ٢٧ ، ومن ذلك قول قوم موسى وعيسى فى حقهما فيما حكاه الله عنهم إذ قال : فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون » المؤمنون : ٤٧ .

ومن ذلك قول أصحاب ثمود له فيما حكاه الله عنه بقوله : « ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين » الشعراء : ١٥٤

Marfat.com

ومن ذلك قول أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله « **قالوا** إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن **الكاذبين** » الشعراء : ١٨٦

ومن ذلك قول المشركين فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأوه بين **البشرية** المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : « وقالوا ما لهذا **الرسول** يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق » .

صفات الأنبياء :

والأنبياء صلوات الله عليهم وإن كانوا من البشر يأكلون ويشربون **ويصحون** ويمرضون وينكحون النساء ويمشون فى الأسواق وتعتريهم العوارض التى تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت إلا أنهم يمتازون بخصائص ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة هى بالنسبة لهم من ألزم اللوازم ومن أهم الضروريات وهذه الصفات نلخصها فيما يلى :

١ ــ الصدق .

٢ ــ التبليغ .

٣ ــ الأمانة .

٤ ــ الفطانة .

٥ ــ السلامة من العيوب المنفرة .

٦ ــ العصمة .

وليس هذا محل تفصيل هذه الصفات فقد تكفلت بها كتب التوحيد وسنذكر هنا بعض الصفات التى يتميز بها الأنبياء عن البشر ونكتفى بذكر ما ثبت فى حق سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

يرى من خلفه كما يرى من أمامه :

أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

Marfat.com

« هل ترون قبلتى هاهنا ؟ فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم انى لأراكم من وراء ظهرى » ..

وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ايها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى أراكم من امامى ومن خلفى » ..

وأخرج عبد الرزاق فى جامعه والحاكم وأبو نعيم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« انى لأنظر الى ما ورائى كما انظر الى ما بين يدى » ..

وأخرج أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انى أراكم من وراء ظهرى » ..

يرى ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع :

عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انى أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون ، اطت السماء وحق لها ان تئط ، والذى نفسى بيده ما فيها موضع اربعة اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله »

قال أبو ذر : ياليتنى كنت شجرة تعضد . رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

ابطه الشريف صلى الله عليه وسلم ..

أخرج الشيخان عن أنس قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدعاء حتى يرى بياض إبطيه » .

وأخرج ابن سعد عن جابر قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سجد يرى بياض إبطيه » . وقد ورد ذكر بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة . قال المحب الطبرى : من خصائصه

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جسيم الناس متغير اللون غيره . وذكر القرطبى مثل ذلك وزاد وأنه لا شعر فيه .

حفظه صلى الله عليه وسلم من التثاءب :

اخرج البخارى فى التاريخ وابن أبى شيبة فى المصنف وابن سعد عن يزيد بن الأصم قال : [ما تثاءب النبى صلى الله عليه وسلم قط] .

وأخرج ابن أبى شيبة عن مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال [ما تثاءب نبى قط] .

عرقه الشريف صلى الله عليه وسلم :

اخرج مسلم عن أنس قال : [دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (١) عندنا فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت : عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب .

واخرج من وجه آخر عن أنس [ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى أم سليم فيقيل(١) عندها فتبسط له نطعا فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير فقال : [يا أم سليم ما هذا] قالت : عرقك أدوف به طيبى .

طوله صلى الله عليه وسلم :

اخرج ابن خيثمة فى تاريخه والبيهقى وابن عساكر عن عائشه قالت . [لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربعة ـ وذكر ابن سبع فى الخصائص ذلك وزاد ـ أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين .

---

(١) من القيلولة .

Marfat.com

ظله صلى الله عليه وسلم :

أخرج الحكيم الترمذى عن ذكوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر قال ابن سبع من خصائصه أن الظل كان لا يقع على الأرض وأنه كان نورا إذا مشى فى الشمس أو القمر لا ينظر له ظل قال بعضهم ويشهد له حديث قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « واجعلنى نورا » ..

وذكر القاضى عياض فى الشفاء والعزفى فى مولده : أن من خصائصه ﷺ أنه كان لا ينزل عليه الذباب وذكره ابن سبع فى الخصائص بلفظ أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط ، وزاد أن من خصائصه أن القمل لم يكن يؤذيه .

دمه صلى الله عليه وسلم :

أخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى والحاكم والبيهقى عن عبد الله ابن الزبير أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال : يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد فشربه فلما رجع قال : يا عبد الله ما صنعت ؟ قال جعلته فى أخفى مكان علمت أنه مخفى عن الناس قال لعلك شربته ؟ قلت نعم قال : [ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون أن القوة التى بها من ذلك الدم] .

نومه صلى الله عليه وسلم :

أخرج الشيخان عن عائشة قالت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر قال :

« يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى » ..

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تنام عينى ولا ينام قلبى » ..

وسلم :

« الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم » ..

Marfat.com

جماعه صلى الله عليه وسلم :

أخرج البخارى من طريق قتادة عن أنس قال : [كان النبى صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قلت لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين] .

حفظه صلى الله عليه وسلم من الاحتلام :

أخرج الطبرانى من طريق عكرمة عن أنس وابن عباس والدينورى فى [المجالسة] من طريق مجاهد عن ابن عباس قال :

« ما احتلم نبى قط وانما الاحتلام من الشيطان » ..

الاستشفاء ببوله صلى الله عليه وسلم :

أخرج الحسن بن سفيان فى مسنده وأبو يعلى والحاكم والدارقطنى وابو نعيم عن أم أيمن قالت : قام النبى صلى الله عليه وسلم من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها فلما أصبح أخبرته فضحك وقال :

« انك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا ابدا » ..

وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة : أين البول الذى كان فى القدح ؟ قالت : شربته ، قال : صحة يا أم يوسف ، وكانت تكنى أم يوسف ، فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه قال ابن دحية : هذه قضية أخرى غير قضية أم أيمن وبركة أم يوسف غير بركة أم أيمن (١) .

خلاصة مفيدة :

وقد نظم بعضهم جملة من الخصائص التى تميز بها صلى الله عليه وسلم عن غيره من جهة الصفات البشرية العادية فقال :

---

(١) سيأتى مزيد تفصيل لهذه الوقائع فى مفهوم التبرك .

Marfat.com

خُص نبينا بعشرة خصال ... لم يحتلم قط وما له ظلال

والأرض ما يخرج منه تبتلع ... كذلك الذباب عنه ممتنع

تنام عيناه وقلب لا ينام ... من خلفه يرى كما يرى أمام

لم يتثاءب قط وهى السابعة ... ولد مختونا إليها تابعة

تعرفه الدواب حين يركب ... تأتى إليه سرعة لا تهرب

يعاو جلوسه جلوس الجلسا ... صلى عليه الله صبحا ومسا

* * *

Marfat.com

مفهـــوم التبـــرك

يخطىء كثير من الناس فىفهم حقيقة التبرك بالنبى صلى الله عليه وسلم وآثاره وآل بيته وورائه من العلماء والأولياء رضى الله عنهم فيصفون كل من يسلك ذلك المسلك بالشرك والضلال كما هى عادتهم فى كل جديد يضيق عنه نظرهم ويقصر عن إدراكه تفكيرهم .

وقبل أن نبين الأدلة والشواهد الناطقة بجواز ذلك بل بمشروعيته ينبغى أن نعلم أن التبرك ليس هو إلا توسل إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرَّك به سواء أكان أثرا أو مكانا أو شخصا .

أما الأعيان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعـالى مع اعتقـاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذن الله .

وأما الآثار فلأنها منسوبة إلى تلك الأعيان فهى مشرفة بشرفها ومكرمة ومعظمة ومحبوبة لأجلها .

وأما الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هى أمكنة وإنما لما يحل فيها ويقع من خير وبر كالصلاة والصيام وجميع أنواع العبادات ممـا يقـوم به عباد الله الصالحون . إذ تتنزل فيها الرحمـات وتحضرها الملائكة وتغشـاها السكينة وهذه هى البركة التى تطلب من الله فى الأماكن المقصود لذلك .

وهذه البركة تطلب بالتعرض لها فى أماكنها بالتوجه إلى الله تعـالى ودعائه واستغفاره وتذكر ما وقع فى تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة تحرك النفوس وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح وإليك هذه النصوص المقتبسة من رسالتنا الخاصة فى موضوع البركة .

التبرك بشعره وفضل وضوء وبصاقه وعرقه :

١ ــ عن جعفر بن عبد الله بن الحكم أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك . فقال : اطلبوها فلم يجدوها ــ فقال : اطلبوها فوجدوها فاذا هى قلنسوة خلقة ــ أى ليست بجديدة فقال خالد اعتمر رسـول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره ـ فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالا وهى معى إلا رزقت النصر .

قال الحافظ الهيثمى . رواه الطبرانى وأبو يعلى بنحوه . ورجالهما رجال الصحيح ، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة ، فلا أدرى سمع من خالد أم لا . (٩/٣٤٩) وذكره ابن حجر فى المطالب العالية (ج ٤ ص ٩٠) وفيه يقول خالد (فما وجهت فى جهة إلا فتح لى) .

٢ ـ وعن مالك بن حمزة بن أبى أسيد الساعدى الخزرجى عن أبيه عن جده أبى أسيد وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بضاعة قد بصق فيها النبى صلى الله عليه وسلم فهو يشربها ويتيمن بها . رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

وصف عروة بن مسعود حال الصحابة مع النبى صلى الله عليه وسلم :

٣ـ قال الإمام البخارى بسنده ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعينه قال : فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله إن رأيت [1] ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا . والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له . رواه البخارى فى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد (فتح حـ ٥ ص ٣٣٠) .

تعليق الحافظ ابن حجر على هذه القصة :

وفيه طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة

---

(١) اى ملوايت .

Marfat.com

ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا فى ذلك إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم ، وكأنهم قالوا بلسان الحال : من يحب إمامه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه ؟ بل هم أشد اغتباطا به وبدينه وبنصره من القبائل التى يراعى بعضها بعضا بمجرد الرحم ، فيستفاد منه جواز التوصل إلى المقصود بكل طريق سائغ . (كذا فى فتح البارى ج ٥ ص ٣٤١) .

النبى صلى الله عليه وسلم يرشد الى المحافظة على بقية وضوئه :

٤ ــ عن طلق بن على قال : خرجنا وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا فى إداوة وأمرنا فقلنا : [اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجدا] قلنا إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف فقال : [مدّوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبا] رواه النسائى كذا فى المشكاة (رقم ٧١٦) . وهذا الحديث من الأصول المعتبرة المشتهرة الدالة على مشروعية التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه فإنه صلى الله عليه وسلم أمرهم ونهوه ثم جعله فى إناء ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لمرادهم وتحقيقا لمرادهم فلابد أن هناك سرا قويا متمكنا فى نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصه والمدينة مملوءة بالمياه . بل وبلادهم مملوءة بالماء فلم هذا التعب والتكلف فى حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس ؟

نعم كل ذلك لم يهمهم لأن المعنى الذى يحمله هذا الماء يهون عليهم كل مشقة ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وهو لا يوجد فى بلدهم ولا يتوافر على كل حال عندهم ، بل ويتأكد تأييده لهم صلى الله عليه وسلم ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا إن الماء ينشف لشدة الحر إذ قال لهم : [مدوه من الماء] فبين لهم أن بركته التى حلت فى الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهى مستمرة متصلة .

Marfat.com

التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم بعد موته :

٥ ــ عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : أرسلنى أهلى إلى أم سلمة بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شىء بعث إليها مخضبة قال : فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمراء . رواه البخارى فى كتاب اللباس باب ما يذكر فى الشيب .

قال الإمام الحافظ ابن حجر فى الفتح : وقد بينه وكيع فى مصنفه فقال : كان جلجلا من فضة صيغ صوانا لشعرات النبى صلى الله عليه وسلم التى كانت عند أم سلمة . والجلجل ــ هو شبه الجرس يتخذ من الفضة أو الصفر أو النحاس ، وقد تنزع منه الحصاة التى تتحرك فيه فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانته . كذا فى فتح البارى (جـ ١٠ ص ٣٥٣) .

قال الإمام العينى : وبيان ذلك على التحرير : أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم حمر فى شىء مثل الجلجل ، وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها ، ويستشفون من بركتها ، ويأخذون من شعره ويجعلونه فى قدح من الماء ، فيشربون الماء الذى فيه الشعر ، فيحصل لهم الشفاء ، وكان أهل عثمان أخذوا منها شيئاً وجعلوه فى قدح من فضة ، فشربوا الماء الذى فيه ، فحصل لهم الشفاء ، ثم أرسلوا عثمان بذلك القدح إلى أم سلمة ، فأخذته أم سلمة ، ووضعته فى الجلجل ، فاطلع عثمان فى الجلجل ، فرأى فيه شعرات حمرا ، (قوله : وكان إذا أصاب الإنسان إلى آخره) كلام عثمان بن عبد الله بن موهب : أى كان أهلى كذا فسره الكرمانى .

وقال بعضهم : وكان أى الناس إذا أصاب الإنسان : أى منهم ، والذى قاله الكرمانى أصوب يبين به أن الإنسان إذا أصابه عين أو شىء من الأمراض بعث أهله إليها : أى إلى أم سلمة مخضبة ــ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة ــ وهى الاجانة ، ويجعل فيها ماء وشىء من الشعر المبارك ، ويجلس فيها ، فيحصل له الشفاء ، ثم يرد الشعر إلى الجلجل . (عمدة القارى شرح صحيح البخارى جـ ١٨ ص ٧٩) .

Marfat.com

النبى صلى الله عليه وسلم يقسم شعره بين الناس :

روى مسلم من حديث أنس :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى منى فاتى الجمرة فرماها ، ثم اتى منزلهُ بمنى ونحر ، وقال للحلاق : خذ ، واشـــار الى جانبـــه الأيمن ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس » ..

وروى الترمذى من حديث أنس أيضا قال : (لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة نحر نسكه ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه لها طلحة ، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه . فقال : اقسم بين الناس) .

ثم ظاهر رواية الترمذى : أن الشعر الذى أمر أبا طلحـــة بقســـمته بين الناس هو شعر الشق الأيسر ، وهـــكذا رواية مســـلم من طريق ابن عيينة وأما رواية حفص بن غياث وعبد الأعلى ففيهما : أن الشق الذى قسمه بين الناس هو الأيمن ، وكلا الروايتين عند مسلم .

توزيع شعره صلى الله عليه وسلم شعرة شعرة :

وقد جاء فى رواية حفص عند مسلم أيضا بلفظ : (فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر فصـــنع مثل ذلك) . وقال أبو بكر فى روايته عن حفص : (قال للحلاق : هاء ، وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا ، فقسم شـــعره بين من يليه ، قال : ثم أشار إشارة إلى الحلاق إلى الجانب الأيسر فحلقته فأعطاه أم سليم) .

الناس يتهافتون على شعره صلى الله عليه وسلم :

وفى رواية أحمد فى المسند ما يقتضى أنه أرسل شعر الشق الأيمن مع أنس إلى أمه ـــ أم سليم ـــ امرأة أبى طلحة ـــ فإنه قال فيها : (لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بمنى أخذ شق رأسه الأيمن بيده ، فلما فـــرغ ناولنى فقال : يا أنس انطلق بهذا إلى أم ســـليم ، قال : فلما رأى النـــاس ما خصنا به تنافسوا فى الشق الآخر ، هذا يأخذ الشىء وهذا يأخذ الشىء) ،

تحقيق الكلام فى الموضوع :

وقد اختلفت الروايات فى هذا الموضوع كما ترى ففى بعضها أن الذى

Marfat.com

أعطاه لأبى طلحة هو الشق الأيمن ، والذى قسمه بين الناس هو الأيسر ، وفى بعضها العكس ، وفى بعضها أنه أعطى الأيسر لأم سليم .

ويجمع بين هذه الروايات بما جاء عن صاحب المنهم إذ قال : [إن قوله : لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم شق رأسه الأيمن أعطاه أبا طلحة] ليس مناقضا لما فى الرواية الثانية : أنه قسم شعر الجانب الأيمن بين الناس وشعر الجانب الأيسر أعطاه أم سليم ، وهى امرأة أبى طلحة وهى أم أنس ــ رضى الله عنها ــ قال : وحصل من مجموع هذه الروايات : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حلق الشق الأيمن ناوله أبا طلحة ليقسمه بين الناس ، ففعله أبو طلحة ، وناول شعر الشق الأيسر ليكون عند أبى طلحة ، فصحت نسبة كل ذلك إلى من نسب إليه والله أعلم .

وقد جمع المحب الطبرى فى موضع إمكان جمعه ، ورجح فى مكان تعذره فقال : والصحيح أن الذى وزعه على الناس الشق الأيمن . وأعطى الأيسر أبا طلحة وأم سليم ، ولا تضاد بين الروايتين لأن أم سليم امرأة أبى طلحة ، فأعطاه صلى الله عليه وسلم لهما فنسب العطية تارة إليه وتارة إليها . انتهى .

وفيه التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من آثاره بأبى وأمى ونفسى هو ، وقد روى أحمد فى مسنده إلى ابن سيرين أنه قال : فحدثنيه عبيدة السلمانى ، يريد هذا الحديث فقال : لأن يكون عندى شعرة منه أحب إلى من كل بيضاء وصفراء على وجه الأرض وفى بطنها . وقد ذكر غير واحد أن خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه ــ كان فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم ، فلذلك كان لا يقدم على وجه إلا فتح له . ويؤيد ذلك ما ذكره الملا فى السيرة أن خالدا سأل أبا طلحة حين فرق شعره صلى الله عليه وسلم بين الناس أن يعطيه شعر ناصيته فأعطاه إياه فكان مقدم ناصيته مناسبا لفتح كل ما أقدم عليه . انتهى عمدة القارى شرح البخارى (ج ٨ ص ٢٣٠ ــ ٢٣١) .

التبرك بعرقه ،

٦ ــ عن عثمان عن أنس أن أم سليم كانت تبسط للنبى ﷺ نطعا فيقيل عندها على ذلك النطع ، قال : فإذا نام النبى صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

أخذت من عرقه وشعره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سُكّ وهو نائم ، قال فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل فى حنوطه من السك قال : فجعل فى حنوطه . رواه البخارى فى كتاب الإستئذان باب من زار قوما فقال عندهم .

٧ ــ وفى رواية عند مسلم دخل علينا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ فقال : يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب .

٨ ــ وفى رواية إسحاق بن أبى طلحة [عرق فاستنقع عرقه على قطعة أديم عتيدة فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها فأفاق .

فقال : ما تصنعين ؟ قالت : نرجو بركته لصبيانا فقال : أصبت] .

وفى رواية أبى قلابة [فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير فقال : ما هذا ؟ قالت : عرقك اذوف به طيبى] .

ويستفاد من هذه الروايات اطلاع النبى صلى الله عليه وسلم على فعل أم سليم وتصويبه ولا معارضة بين قولها إنها كانت تجمعه لأجل طيبه وبين قولها للبركة بل يحمل على أنها كانت تفعل ذلك للأمرين معا [إنتهى فتح البارى] (الجزء الحادى عشر ص ٧٢) .

التبرك بمس جلده صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : كان أسيد بن حضير رضى الله عنه رجلا صالحا ضاحكا مليحا . فبينما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث القوم ويضحكهم فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصرته . فقال : أوجعتنى قال : اقتص قال : يارسول الله ، إن عليك قميصا ولم يكن على قميص . قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله أردت هذا . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى

Marfat.com

فقال صحيح . وأخرجه ابن عساكر عن أبى ليلى رضى الله عنه مثله كما فى الكنز (ج ٧ ص ٧٠١) قلت والحديث عند أبى داود .

والطبرانى عن أسيد بن حضير نحوه كما فى الكنز (ج ٤ ص ٤٣) .

وأخرج ابن إسحاق عن حبان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزيه رضى الله عنه ــ حليف بنى عدى بن النجار ، وهو مستنصل من الصف أى خارج ــ فطعنه فى بطنه بالقدح وقال : إستو يا سواد فقال : يارسول الله ، أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بدنه فقال : استقد قال : فاعتنقه . فقبل بطنه فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يارسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير . وقاله كذا فى البداية (ج٣ص٢٧١).

وأخرج عبد الرزاق عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى رجلا مختصا بصرة وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم جريدة ففال النبى صلى الله عليه وسلم : خط ورس ، فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال : ألم أنهك عن هذا ؟ فأثر فى بطنه دما أدماه . فقال : القود يا رسول الله ؟ فقال الناس : أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتص ؟ فقال : ما لبشرة أحد فضل على بشرتى . فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : اقتص فقبل الرجل بطن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ادعها لك أن تشفع لى يوم القيامة [1] . كذا فى الكنز (ج ٧ ص ٣٠٢) .

وأخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٧٢) عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى سواد بن عمرو هكذا . قال إسماعيل : متلحفا ، فقال : خط خط ورس ورس . ثم طعن بعود أو سواك فى بطنه فماد فى بطنه فأثر فى بطنه فذكر نحوه .

وأخرج عبد الرزاق أيضا كما فى الكنز (ج ٧ ص ٣٠٢) عن الحسن

---

(١) وقوله ادعها لك اى اترك المقاصة .

Marfat.com

قال : كان رجل من الأنصار يقال له سوادة بن عمر رضى الله عنه يتخلق كأنا عرجون . وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رآه نفض له فجاء يوما وهو متخلق فأهوى له النبى صلى الله عليه وسلم بعود كان فى يده فجرحه . فقال له : القصاص يارسول الله . فأعطاه العود . وكان على النبى صلى الله عليه وسلم قميصان فجعل يرفعهما فنهره الناس وكف عنه حتى إذا انتهى إلى المكان الذى جرحه رمى بالقضيب وأخذ يقبله وقال : يا نبى الله ! بل أدعها لك تنفع لى بها يوم القيامة . وأخرج البغوى نحوه كما فى الإصابة (ج٢ص٩٦)

* * *

« خبر زاهر » :

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : زاهر باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما إلى السوق فوجده قائما فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زاهر بأنه رسول الله .. قال فجعلت أمسح ظهرى فى صدره رجاء بركته . وفى رواية الترمذى فى الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال : أرسلنى من هذا فالتفت فعرف النبى صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يشترى العبد فقال له زاهر : يا رسول الله إذا تجدنى كاسداً فقال صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال وفى رواية للترمذى أيضا لكن عند الله لست بكاسد أو قال أنت عند الله غال . اهـ . (المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٧) .

Marfat.com

التبـــرك بدم النبى ﷺ

خبر عبد الله بن الزبير :

عن عامر بن عبد الله بن الزبير ــ رضى الله عنهما ــ أن أباه حدثه أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ، فلما فرغ قال :

« يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك احد ، فلما برز عـن رسـول الله ﷺ عـدل الى الدم فشربه ، فلمـا رجـع قال : يا عبـد الله ما صنعت بالدم ؟ قال : جعلتـه فى اخفى مكان علمت انه يخفى عن الناس . قال : لعلك شربته ؟ قال : نعم فقال صلى الله عليه وسلم ولم شربت الدم ؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس » ..

قال أبو موسى : قال أبو عاصم : فكانوا يرون أن القوة التى به من ذلك الدم . كذا فى الإصابة (جـ ٢ ص ٣١٠) . وأخرجه الحاكم (جـ ٣ ص ٥٥٤) والطبرانى نحوه . قال الهيثمى (جـ ٨ ص ٢٧٠) : رواه الطبـرانى والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهـو ثقة . انتهى . وأخرجه أيضا ابن عساكر نحوه كما فى الكنز (جـ ٧ ص ٥٧) مع ذكر قول أبى عاصم وفى رواية : قال أبو مسلمه : فيرون أن القوة التى كانت فى ابن الزبير ــ رضى الله عنهما ــ من قوة دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند أبى نعيم فى الحلية (جـ ١ ص ٣٣) عن كيسـان مولى عبـد الله ابن الزبير ــ رضى الله عنهما ــ قال :

« دخل سلمان ــ رضى الله عنه ــ على رسول الله صلى الله عليه وسـلم واذا عبد الله بن الزبير معه طست يشرب ما فيها . فدخل عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : فرغت ؟ قال : نعم . قال سلمان : ماذاك يا رسول الله ؟ قال:اعطيته غسالة محاجمى يهريق ما فيها ، قال سلمان : ذاك شربه والذى بعثك بالحق ! قال : شربته ؟ قال . نعم قال : لم ؟ قال : احببت ان يكون دم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوفى ، فقام وربت بيده على راس ابن الزبير ، وقال : ويل لك من الناس وويل للناس منك لا تمسك النار الا قسم اليمين » ..

Marfat.com

واخرجه ابن عساكر عن سلمان نحوه مختصرا ورجاله ثقات . كذا فى الكنز (ج ٧ ص ٥٦) وروى نحوه الدارقطنى فى سننه .

وفى رواية أن ابن الزبير لما شرب دم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم فما حملك على ذلك ؟ قال علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك . فقال : ويل لك من الناس . وعند الدارقطنى من حديث أسماء بنت أبى بكر نحوه وفيه ولا تمسك النار . وفى كتاب الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون أنه لما شرب أى عبد الله بن الزبير دمه تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته موجودة فى فمه إلى أن سلب رضى الله عنه . (كذا فى المواهب للحافظ القسطلانى) .

خبر سفينة مولى النبى صلى الله عليه وسلم

وأخرج الطبرانى عن سفينة ــ رضى الله عنه ــ قال :

« احتجم النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال . خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس ، فتغيبت فشربته ثم ذكرت ذلك له فضحك » .

قال الهيثمى (ج ٨ ص ٢٧٠) رجال الطبرانى ثقات .

خبر مالك بن سنان :

وفى سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالك ابن سنان والد أبى سعيد الخدرى لما جرح النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه الشريف يوم أحد . مصر جرحه حتى انقاه ولاح ــ أى ظهر ــ محل الجرح بعد المص أبيض ، فقال له صلى الله عليه وسلم : مجه ، فقال : ولا أمجه أبدا ، ثم ازدرده ــ أى ابتلعه ــ فقال النبى صلى الله عليه وسلم

« من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد باحد » ..

رواه الطبرانى أيضا ، وفيه :

« قال صلى الله عليه وسلم : من خالط دمى دمه لا تمسه النار » ..

قال الهيثمى : لم أر فى إسناده من أجمع على ضعفه اهـ .

وروى سعيد بن منصور أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« من سره ان ينظر الى رجل خالط دمى دمه فلينظر الى مالك بن سنان »

Marfat.com

« حجام آخر يشرب دمه ﷺ » :

روى ابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس قال : حجم النبى صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر فى وجهه فقال : ويحك ما صنعت بالدم . قلت غيبته من وراء الحائط قال أين غيبته قلت يا رسول الله نفست على دمك أن أهريقه فى الأرض فهو فى بطنى . فقال : إذهب فقد أحرزت نفسك من النار . (ذكره الحافظ القسطلانى فى المواهب اللدنية) .

« خبر بركة خادم ام حبيبة » :

قال الحافظ ابن حجر روى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : (أخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شىء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة : أين البول الذى كان فى القدح ؟ قالت : شربته قال صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى مرضها الذى ماتت فيه . (كذا فى التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير ج ١ ص ٣٢) .

قلت وقد رواه أبو داود والنسائى مختصرا قال الحافظ السيوطى وقد أتمه ابن عبد البر فى الاستيعاب وفيه أنه سألها عن البول الذى كان فى القدح فقالت شربته يا رسول الله ، وذكر الحديث (كذا فى شرح السيوطى على سنن النسائى ج ١ ص ٣٢) .

« خبر ام ايمن » :

قال الامام الحافظ القسطلانى فى المواهب : أخرج الحسن ابن سفيان فى مسنده والحاكم والدارقطنى والطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى مالك النخعى عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزى عن أم أيمن قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر . فلما أصبح

Marfat.com

النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا أم أيمن ، قومى فأهريقى ما فى تلك المخارة فقلت قد والله شربت ما فيها . قالت : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال : أما والله لا يبجعن بطنك أبدا .

قال الحافظ ابن حجر فى التلخيص : وصحح ابن دحية أنهما قضيتان وقعتا لامرأتين وهو واضح من اختلاف السياق ووضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن مولاته .

(فائدة) وقع فى رواية سلمى امرأة أبى رافع أنها شربت بعض ماء غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : « حرم الله بدنك على النار » أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديثها وفى السند ضعف ـ كذا فى التلخيص (ج ١ ص ٣٢) .

قال القسطلانى : وهذا الذى ذهب إليه شيخ الإسلام البلقينى . وفى هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم .

خبر سرة خادم أم سلمة رضى الله عنها :

واخرج الطبرانى عن حكيمة بنت أميمة عن أمها قالت :

« كان للنبى صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره ، فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال : اين القدح ؟ قالوا : شربته سرة خادم لأم سلمة التى قدمت معها من أرض الحبشة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد احتظرت من النار بحظار » ..

قال الهيثمى (ج ٨ ص ٢٧١) : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ابن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقات .

* * *

Marfat.com

أقوال العلماء فى هذا الموضوع

قال الإمام محى الدين النووى فى شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين أن أبا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه وأن امرأة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها . وحديث أبى طيبة ضعيف ، وحديث شرب البول صحيح رواه الدارقطنى وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف فى الاحتجاج لكل الفضلات قياسا ثم قال إن القاضى حسينا قال الأصح القطع بطهارة الجميع . ثم قال فى الجواب عن أنه كان يتنزه منها بأن ذلك على الاستحباب (اهـ من شرح المهذب ج ١ ص ٢٣٣) وقال الإمام العلامة بدر الدين العينى شارح البخارى فى كتابه المعروف عمدة القارى ج ٢ ص ٣٥ : فأما شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مكرم معظم خارج عن هذا ، قلت , قول الماوردى : وأما شعر النبى صلى الله عليه وسلم فالمذهب الصحيح القطع بطهارته يدل على أن لهم قولا بغير ذلك ، فنعوذ بالله من ذلك القول وقد اخترق بعض الشافعية وكاد أن يخرج عن دائرة الإسلام حيث قال : وفى شعر النبى صلى الله عليه وسلم وجهان . وحاشا شعر النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وكيف قال هذا وقد قيل بطهارة فضلاته فضلا عن شعره الكريم . ثم قال العينى : وقد وردت أحاديث كثيرة أن جماعة شربوا دم النبى عليه الصلاة والسلام منهم أبو طيبة الحجام وغلام من قريش حجم النبى صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن الزبير شرب دم النبى صلى الله عليه وسلم رواه البزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم فى الحلية ويروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه شرب دم النبى صلى الله عليه وسلم وروى أيضا أن أم أيسن شربت بول النبى صلى الله عليه وسلم رواه الحاكم والدارقطنى والطبرانى وأبو نعيم وأخرج الطبرانى فى الأوسط فى رواية سلمى امرأة أبى رافع أنها شربت بعض ما غسل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : حرم الله بدنك على النار .

قال الحافظ القسطلانى فى المواهب تعليقا على قول النووى عن القاضى حسين أن الأصح القطع بطهارة جميع الفضلات . وبهذا قال أبو حنيفة كما

Marfat.com

قاله العينى وقال شيخ الإسلام ابن حجر : قد تكاثرت الأدلة على طهـارة فضلاته صلى الله عليه وسلم . وعد الأئمة ذلك فى خصائصه . انتهى .

التبرك بالمكان الذى صلى فيه النبى ﷺ :

عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم صـلى حيث المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الروحاء • وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ثم عن يسينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك ـ رواه البخارى .

التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ :

روى الإمام أحمد وغيره عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها ـ أى من فم القربة ـ وهو نائم ، قال أنس : فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا •

والمعنى : أن أم سليم قطعت فم القربة الذى هو موضع شربه صلى الله عليه وسلم واحتفظت به فى بيتها للتبرك بأثر النبى صلى الله عليـه وسلم • ورواه الطبرانى وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحمـد وبقية رجاله رجال الصحيح .

* * *

Marfat.com

التبرك بتقبيل يد من مس رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن يحيى بن الحارث الذمارى قال : لقيت وائلة بن الأسقع رضى الله عنه فقلت : بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم قلت : اعطنى يدك أقبلها . فأعطانيها فقبلتها . قال الهيثمى (ج ٨ ص ٤٢) وفيه عبد الملك القارى ولم أعرفه . وبقيه رجاله ثقات . انتهى .

وعند أبى نعيم فى الحلية (ج ٩ ص ٣٠٦) عن يونس بن ميسرة قال : دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضى الله عنه فلما نظر إليه مد يده فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدره لأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يازيد ، كيف ظنك بربك ؟ فقال : حسن . فقال : فابشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تعالى يقول : « أنا عند ظن عبدى بى » إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر .

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد ص ١٤٤ عن عبد الرحمن ابن رزين قال : مررنا بالربذة فقيل لنا : ههنا سلمة بن الأكوع رضى الله عنه ، فأتينا فسلمنا عليه فأخرج يديه فقال : بايعت بهاتين نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فأخرج له كفا له ضخمة كأنها كف بعير . فقمنا إليها فقبلناها . وأخرج ابن سعد (ج ٤ ص ٣٩) عن عبد الرحمن بن زيد العراقى نحوه .

وأخرج البخارى أيضا فى الأدب ص ١٤٤ عن ابن جدعان قال ثابت لأنس رضى الله عنه : أمسست النبى صلى الله عليه وسلم بيدك ؟ قال : نعم فقبلها . وأخرج البخارى أيضا فى الأدب ص ١٤٤ عن صهيب قال : رأيت عليا رضى الله عنه يقبل يد العباس رضى الله عنه ورجليه .

عن ثابت قال : كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكانى فأدخل عليه وآخذ يديه وأقبلهما وأقول : بأبى هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عينيه وأقول : بأبى هاتين (العينين) اللتين رأتا رسول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم . ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية (ج ص ١١١) وقال الهيثمى رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أبى بكر المقدمى وهو ثقة وسكت عنه البوصيرى . اهـ (كذا فى مجمع الزوائد ٩/٣٢٥) .

* * *

التبرك بجبته صلى الله عليه وسلم

عن أسماء بنت أبى بكر : أنها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج ، وقالت : هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها رواه مسلم .

(كتاب اللباس والزينة جـ ٣ ص ١٤٠)

* * *

التبرك بما مسته يده صلى الله عليه وسلم

عن صفية بنت مجزأة أن أبا محذورة كانت له قصة فى مقدم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض فقالوا له : ألا تحلقها ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت .

رواه الطبرانى وفيه أيوب بن ثابت المكى قال أبو حاتم : لا يحسل حديثه كذا فى مجمع الزوائد ١ جـ ٥ ص ١٦٥) .

وعن محمد بن عبد الملك بن أبى محذورة عن أبيه عن جده قال قلت : يا رسول الله علمنى سنة الأذان قال فمسح مقدم رأسى قال :

« تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر ترفع بها صوتك »

الحديث ..

Marfat.com

وفى رواية : فكان أبو محذورة لا يجز ناصيته ولا يفرقها لأن النبى صلى الله عليه وسلم مسح عليها ، اخرجه البيهقى والدارقطنى وأحمد وابن حبان والنسائى بمعناه .

* * *

التبرك بقدح النبى صلى الله عليه وسلم ومسجد صلى فيه

عن أبى بردة قال قدمت المدينة فلقينى عبد الله بن سلام فقال لى انطلق إلى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصلى فى مسجد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم فانطلقت معه فسقانى وأطعمنى تمرا وصليت فى مسجده .

رواه البخارى فى كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة .

* * *

التبرك بموضع قدم النبى صلى الله عليه وسلم

جاء فى الحديث عن أبى مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال ما ألوت أن أضع قدمى حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(رواه النسائى ٣/٢٤٣)

* * *

التبرك بدار مبـــاركة :

عن محمد بن سوقة عن أبيه قال لما بنى عمـــرو بن حريث داره أتيتـــه لأستأجر منه فقال ما تصنع به فقلت أريد أن أجلس فيه وأشترى وأبيع قال قلت لأحدثك فى هذه الدار بحديث إن هذه الدار مباركة على من سكن فيها مباركة على من باع فيها واشترى وذلك أنى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

وعنده مال موضوع فتناول بكفه منه دراهم فدفعها إلى وقال هاك يا عمرو هذه الدراهم حتى تنظر فى أى شىء تضعها فإنها دراهم اعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتها ثم مكثنا ما شاء الله حتى قدمنا الكوفة فأردت شراء دار فقالت لى أمى يابنى ! إذا اشتريت دارا وهيأت مالها فأخبرنى ففعلت ثم جئتها فدعوتها فجاءت والمال موضوع فأخرجت شيئاً معها فطرحته فى الدراهم ثم خلطتها بيدها فقلت يا أمه أى شىء هذه ؟ قالت يا بنى هذه الدراهم التى جئتنى بها فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاكها بيده فأنا أعلم ان هذه الدار مباركة لمن جلس فيها مباركة لمن باع فيها واشترى .

رواه الطبرانى فى الكبير وأبو يعلى (جـ ٤ / ص ١١١ مجمع الزوائد)

* * *

التبرك بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال القاضى عياض ، رؤى عن ابن عمر رضى الله عنهما واضعا يده على مقعد النبى صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه .

وعن أبى قسيط والعتبى كان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا المسجد حسوا رمانة المنبر التى تلى القبر بيامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون . (ا هـ) من الشفا للقاضى عياض .

قال الملا على قارى شارح الشفا رواه ابن اسعد عن عبد الرحمن ابن عبد القارى (جـ ٣ ص ٥١٨) .

وروى ذلك الشيخ ابن تيمية أيضا عن الإمام أحمد وانه رخص فى التمسح بالمنبر والرمانة وذكر ان ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك (ا هـ . اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٧)

* * *

Marfat.com

التبرك بقبره الشريف :

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأبنه عبد الله : انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل : يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال : فاستأذن وسلم ثم دخل عليها وهى تبكى فقال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل : هذا عبد الله ابن عمر قد جاء فقال : ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال : مالديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال : الحمد لله ما كان شىء أهم إلى من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل : يستأذن عمر فإن اذنت لى فادخلونى وان ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين .

اخرجه بطوله البخارى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى كتاب فضائل الصحابة باب قصة البيعة .

* * *

التبرك بآثار الصالحين والأنبياء السابقين :

عن نافع ان عبد الله بن عمر اخبرنا ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود فاستقوا من أبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل العجين وأمرهم ان يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة .

رواه مسلم فى كتاب الزهد باب النهى عن الدخول على أهل الحجر قاله النووى فى الشرح جـ ٨ ص ١١٨) .

* * *

وفى هذا الحديث من الفوائد التبرك بآثار الصالحين :

التبرك بالتابوت :

ذكر الله تعالى فى القرآن فضيلة التابوت فقال :

Marfat.com

« وقال لهم نبيهم أن آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة » .

وخلاصة القصة : أن هذا التابوت كان عند بنى إسرائيل وكانوا يستنصرون به ويتوسلون إلى الله تعالى بما فيه من آثار وهذا هو التبرك بعينه الذى نريده ونقصده وقد بين الله جل جلاله محتويات التابوت فقال :

« وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون » وهذه البقية مما تركه آل موسى وهارون هى عصا موسى وشىء من ثيابه وثياب هارون ونعلاه وألواح من التوراة وطست كما ذكره المفسرون والمؤرخون كابن كثير والقرطبى والسيوطى والطبرى فارجع إليهم وهو يدل على معان كثيرة منها التوسل بآثار الصالحين ومنها المحافظة عليها ومنها التبرك بها .

* * *

التبرك بمسجد العشـــار

عن صالح بن درهم يقول : انطلقا حاجين . فإذا رجل فقال لنا : إلى جنبكم قرية يقال لها الابلة ــ قلنا : نعم . قال : من يضمن لى منكم أن يصلى لى فى مسجد العشار ركعتين أو أربعا . ويقول : هذه لأبى هريرة . سمعت خليلى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان الله عز وجل يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء ، لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم » ..

رواه أبو داود .

وقال : هذا المسجد مما يلى النهر (اهـ مشكاة المصابيح جـ ٣ ص ١٤٩٦)

قال العلامة المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفورى فى كتابه « بذل المجهود شرح سنن أبى داود » وفى الحديث دلالة على ان الطاعات البدنية توصل إلى الغير أجرها ، وان مآثر الأولياء والمقربين تزار ويتبرك بهـــا . (بذل المجهود جـ ١٧ ص ٢٢٥) وقال العلامة المحدث الشيخ أبو الطيب صاحب عون المعبود : مسجد العشار مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيـــه (عون المعبود جـ ١١ ص ٤٢٢)

* * *

Marfat.com

نحن فى بركة الرسول صلى الله عليه وسلم

نسمع كثيرا من الناس يقولون نحن فى بركة الرسول صلى الله عليه وسلم أو معنا بركته صلى الله عليه وسلم وسئل عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : واما قول القائل : نحن فى بركة فلان أو من وقت حلوله عندنا حلت البركة . فهذا الكلام صحيح باعتبار ، باطل باعتبار ، فأما الصحيح : فإن يراد به انه هدانا وعلمنا وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ، فببركة اتباعه وطاعته حصل لنا من الخير ما حصل ، فهذا كلام صحيح . كما كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فى بركته لما آمنوا به واطاعوه ، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله .

وأيضا : إذا أريد بذلك إنه ببركة دعائه وصلاحه دفع الله الشر وحصل لنا رزق ونصر فهذا حق ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم ، وصلاتهم واخلاصهم »

وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب ، ومنه قوله تعالى : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ـ إلى قوله : لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليماً) .

فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهرانى الكفار لعذب الله الكفار .. وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« لولا ما فى البيوت من النساء والذرارى لأمرت بالصلاة فتقام ، ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم » ..

وكذلك ترك رجم الحامل حتى تضع جنينها . وقد قال المسيح عليه السلام : (واجعلنى مباركا أينما كنت) فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله ، وبدعائهم للخلق وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود ، فمن أراد بالبركة هذا ، وكان صادقا فقوله حق .

Marfat.com

واما « المعنى الباطل » فمثل ان يريد الإشراك بالخلق : مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظن ان الله يتولاهم لأجله ، وان لم يقوموا بطاعة الله ورسوله ، فهذا جهل ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم مدفون بالمدينة عام الحرة ، وقد أصاب أهل المدينة من القتل والنهب والخوف مالا يعلمه إلا الله ، وكان ذلك لانهم بعد الخلفاء الراشدين احدثوا أعمالا أوجبت ذلك ، وكان على عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم ، لان الخلفاء الراشدين كانوا يدفعونهم إلى ذلك وكان ببركة ماعنهم للخلفاء الراشدين ، وببركة عمل الخلفاء معهم ينصرهم الله ويؤيدهم ، وكذلك الخليل صلى الله عليه وسلم مدفون بالشام وقد استولى النصارى على تلك البلاد قريبا من مائة سنة ، وكان أهلها فى شر ، فمن ظن ان الميت يدفع عن الحى مع كون الحى عاملا بمعصية الله فهو غالط .

وكذلك إذا ظن ان بركة الشخص تعود على من أشرك به وخرج عن طاعة الله ورسوله ، مثل ان يظن ان بركة السجود لغيره ، وتقبيل الأرض عنده ، ونحو ذلك يحصل له السعادة ، وان لم يعمل بطاعة الله ورسوله ، وكذلك إذا أعتقد ان ذلك الشخص يشفع له ، ويدخله الجنة بمجرد محبته ، وانتسابه إليه ، فهذه الأمور ونحوها مما فيه مخالفة الكتاب والسنة ، فهو من أحوال المشركين و هل البدع باطل لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده .

كذا فى الفتاوى (جـ ١١ ص ١١٣)

* * *

Marfat.com

الخلاصـــــة

والحاصل من هذه الآثار والأحاديث هو أن التبرك به صلى الله عليه وسلم وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه سنة مرفوعة وطريقة محمودة مشروعة ويكفى فى إثبات ذلك فعل خيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتأييد النبى صلى الله عليه وسلم لذلك بل وأمره مرة وإشارته أخرى إلى فعل ذلك وبالنصوص التى نقلناها يظهر كذب من زعم أن ذلك ما كان يعتنى به ويهتم بفعله أحد من الصحابة إلا ابن عمر وان ابن عمر ما كان يوافقه على ذلك أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا جهل أو كذب أو تلبيس ، فقد كان كثير غيره يفعل ذلك ويهتم به ومنهم الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وأم سلمة وخالد بن الوليد وواثلة ابن الأسقع وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وأم سليم وأسيد بن خضير وسواد بن غزية وسواد بن عمرو وعبد الله بن سلام وأبو موسى وعبد الله ابن الزبير وسفينة مولى النبى صلى الله عليه وسلم وسرة خادم أم سلمة ومالك بن سنان وأسماء بنت أبى بكر وأبو محذورة ومالك بن أنس وأشياخه من أهل المدينة كسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد .

* * *

Marfat.com

الباب الثالث

مباحث مختلفة

وفيها بيان مشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق
بها من الآثار والمشاهد والمناسبات

Marfat.com

Marfat.com

الحياة البرزخية حياة حقيقية

الحياة البرزخية حياة حقيقية وهذا مادلت عليه الآيات البينات والأحاديث المشورة الصحيحة .

وهذه الحياة الحقيقية لا تعارض وصفهم بالموت كما جاء ذلك فى كتاب الله العزيز إذ يقول : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ويقول : « انك ميت وإنهم ميتون » ان معنى قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقة أى ليست خيالية أو مثالية كما يتصورها بعض الملاحدة ممن لا تتسع عقولهم للإيمان إلا بالمشاهد المحسوس دون الغيب الذى لا يطيق العقل البشرى تصوره ولا تسنيم كيفيته لقدرة الله جل جلاله أن وقفة تأمل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقة لا تبقى من الأشكال أدنى ذرة حتى عند من يقصر فهمه وذوقه عن تعقل المعانى فكلمة [حقيقية] ليست إلا لنفى الباطل وطرد الوهم ونفى الخيال الذى قد يقع فى ذهن الإنسان المتشكك المرتاب فى أحوال عالم البرزخ وعالم الآخرة وغيرها من العوالم الأخرى كالنشر والبعث والحشر والحساب .

وهذا المعنى يدركه الانسان العربى البسيط الذى يعرف أن كلمة [حقيقية] تعنى حقيقة وهى ما يقابل الوهم والخيال والمثال . فحقيقية أى ليست بوهمية وهذا هو المقصود بعينه وهذا هو مفهومنا وتصورنا لهذه القضية ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التى تثبت بأن الميت يسمع ويحس ويعرف سواء كان مؤمناً أم كافراً .

فمنها حديث القليب وهو ثابت فى الصحيحين من وجوه متعددة عن أبى طلحة وعمر وابنه عبد الله :

ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فألقوا فى طوى من أطواء بدر فناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسماهم « يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة ياشيبة بن ربيعة الان ابن فلان أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » .. فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد

Marfat.com

لا ارزاح فيها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « والذى نفسى بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يجيبون » ..

هكذا رواه الشيخان من حديث ابن عمر والبخارى من حديث أنس عن أبى طلحة ومسلم من حديث أنس عن عمر ، ورواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه وفيه :

قالوا : يا رسول الله وهل يسمعون ؟ قال : « يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون » ..

ومنها ما رواه البزار وصححه ابن حبان من طريق إسماعيل بن عبدالرحمن السدى عن أبيه عن أبى هريرة :

عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم « ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين » ..

وأخرج ابن حبان أيضا من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه فى حديث طويل .

وقال البخارى فى صحيحه باب الميت يسمع خفق النعال ثم روى عن أنس

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب اصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فاقعداه » ..

وذكر الحديث فى سؤال القبر ورواه مسلم أيضاً وسماع الميت خفق النعال وارد فى عدة أحاديث . ومنها الأحاديث الواردة فى سؤال القبور وهى كثيرة منتشرة وفيها التصريح بسؤال الملكين له وجوابه بما يطابق حاله من سعادة أو شقاء ومنها ما شرعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأمته من السلام على أهل القبور ومخاطبتهم بلفظ السلام عليكم دار قوم مؤمنين . قال ابن القيم : وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به ثم ذكر جملة منها فى كتاب الروح .. فليراجع .

قلت : وقد روى عبد الرزاق فى هذا الباب حديثا عن زيد بن أسلم قال : مر أبو هريرة وصاحب له على قبر فقال أبو هريرة سلم فقال الرجل :

Marfat.com

أسلم على القبر فقال أبو هريرة ان كان رآك فى الدنيا يوما قط إنه ليعرفك الآن .

رواه عبد الرزاق فى المصنف (ج ٣ ص ٥٧٧) .

وهذا الذى قلناه هو عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين وهم أهل السنة والجماعة فلا أدرى كيف يغفل هؤلاء الذين يدعون أنهم على مذهب السلف عن هذه الحقيقة .

وقد أفاض الشيخ ابن القيم فى كتاب الروح بما يشفى ويكفى وننقل هنا فتوى عظيمة لشيخ الإسلام الامام ابن تيمية فى هذا الموضوع كما جاء فى الفتاوى الكبرى .

سئل الشيخ عن الأحياء اذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم ؟ وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره ؟

فأجاب : الحمد لله نعم جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات . كما روى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى قال : [إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها الرحمة من عباد الله كما يلتقون البشير فى الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعضهم انظروا أخاكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد قال :فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة هل تزوجت] الحديث .

وأما علم الميت بالحى إذا زاره وسلم عليه ففى حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام » ..

قال ابن المبارك : ثبت ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وصححه عبد الحق صاحب الأحكام . (ا هـ مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية) (ج ٢٤ ص ٣٣١) .

وجاء فى موضع آخر أيضا سئل الشيخ ابن تيمية : هل الميت يسمع كلام زائره ويرى شخصه ؟ وهل تعاد روحه إلى جسده فى ذلك الوقت أم تكون

Marfat.com

ترفرف على قبره فى ذلك الوقت وغيره ؟ وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله ؟

فأجاب : الحمد لله رب العالمين . نعم ! يسمع الميت فى الجملة كما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه » ..

ثم ساق أحاديث متعددة فى هذا المعنى ثم قال : فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع فى الجملة كلام الحى ولا يجب أن يكون السمع له دائما بل قد يسمع فى حال دون حال كما قد يعرض للحى فانه قد يسمع أحيانا خطاب من يخاطبه ، وقد لا يسمع لعارض يعرض له وهذا السمع سمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء ولا هو السمع المنفى بقوله : | إنك لا تسمع الموتى | فإن المراد بذلك سمع القبول والإمتثال . فإن الله جعل الكافر كالميت الذى لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفقه المعنى . فالميت وان سمع الكلام وفقه المعنى فإنه لا يمكنه إجابة الداعى ولا إمتثال ما أمر به ونهى عنه فلا ينتفع بالأمر والنهى وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهى وإن سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى : « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم » وأما رؤية الميت فقد روى فى ذلك آثار عن عائشة وغيرها .

وأما قول القائل : هل تعاد روحه إلى بدنه ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره فى ذلك الوقت وغيره ؟ . فان روحه تعاد إلى البدن فى ذلك الوقت كما جاء فى الحديث وتعاد أيضا فى غير ذلك .

ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله وذلك فى اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع فى الأرض وانتباه النائم .

وهذا جاء فى عدة آثار أن الأرواح تكون فى أفنية القبور قال مجاهد : الأرواح تكون فى أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه فهذا يكون أحيانا وقال مالك بن انس بلغنى أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت والله أعلم .

ا هـ . مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (ج ٢٤ ص ٣٦٢)

Marfat.com

وقال الشيخ ابن تيمية فى موضع آخر : أما ما أخبر الله من حياة الشهيد ورزقه وما جاء فى الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة فذهبت طوائف إلى أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصحيح الذى عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دلت على ذلك النصوص الثابتة ويختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك ليزول المانع من الإقدام على الجهاد والشهادة . كما نهى عن قتل الأولاد خشية الإملاق لأنه هو الواقع وان كان قتلهم لا يجوز مع عدم خشية الاملاق . (اهـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ٢٤ ص ٣٣٢) .

لا تؤذ الميت لئلا يؤذيك :

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا قد اتكأ على قبر فقال له :

« لا تؤذ صاحب القبر » ..

ذكره المجد ابن تيمية فى المنتقى (ج ٢ ص ١٠٤) وعزاه لأحمد فى المسند وكذا الحافظ ابن حجر فى الفتح (ج ٣ ص ١٧٨) وقال إسناده صحيح .

وأخرجه الطحاوى فى معانى الآثار (ج ١ ص ٢٩٦) من حديث بن عمرو ابن حزم بلفظ رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر فقال :

« انزل عن القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك » ..

(هـ مجمع الزوائد ج ٣ ص ٦١)

معنى الحياة البرزخيـة :

وينبغى أن نبين للناس معنى تلك الحياة وأنها حياة برزخية وأنها ليست كحياتنا هذه بل هى حياة خاصة لائقة بهم وبالعالم الذى هم فيه لكن لابد أن نبين لهم أيضا أنها ليست كحياتنا لأن حياتنا أقل وأحقر وأضيق وأضعف . فالإنسان فيها بين عبادة وعادة وطاعة ومعصية وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربه وأنه تارة يكون طاهرا وتارة يكون على ضد ذلك ، وتارة يكون فى المسجد وتارة يكون فى الحمام وأنه لا يدرى

Marfat.com

بهم يختم له . فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر رأسا على عقب فيصير من أهل النار وبالعكس أما فى البرزخ فإنه إن كان من أهل الإيمان فإنه قد جاوز قنطرة الإمتحان التى لا يثبت عندها إلا أهل السعادة . ثم إنه قد انقطع عنه التكليف وأصبح روحا مشرقة طاهرة مفكرة سياحة سياحة جوالة فى ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالى لا هم ولا حزن ولا بأس ولا قلق لأنه لا دنيا ولا عقار ولا ذهب ولا فضة فلا حسد ولا بغى ولا حقد .

وإن كان غير ذلك ففى عكس ذلك .

* * *

Marfat.com

خصائص الأنبياء البرزخية

وللأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى البرزخ خصائص انفردوا بها دون غيرهم من البشر ولو شاركهم غيرهم فى بعضها فهو على وجه الإلحاق النسبى وتبقى الخصوصية للأنبياء من جهتين .

الأولى : من جهة الأصالة .

الثانية : من جهة الكمال .

وهذه بعض تلك الخصائص :

كمال حياتهم :

ذكرنا فيما تقدم أن الحياة البرزخية حياة حقيقية وأن الميت يسمع ويحس ويعرف سواء أكان مؤمنا أم كافرا وأن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دلت على ذلك النصوص الثابتة . وهذا هو الصحيح الذى عليه الأئمة وجماهير أهل السنة ومن هنا فإن القول بحياة الأنبياء من فضول القول وهو أمر ظاهر كالشمس لا يحتاج إلى إثبات بل إن الصواب هو أن نقرر بأن حياتهم أكمل وأجل وأتم وأعظم وهكذا حياة الناس على قدر الأرض فى الدنيا فإنها درجات ومقامات ومراتب متفاوتة . فمنهم أموات فى صورة أحياء قال فيهم المولى جل شأنه :

« لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ومنهم الذين قال فيهم « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومنهم من قال فيهم « قد أفلح المؤمنون » إلى قوله « أولئك هم الوارثون » ومنهم من قال فيهم « إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون » (سورة الذاريات : ١٥) .

Marfat.com

وهكذا الحياة البرزخية درجات ومراتب ومقامات متفاوتة « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » .

أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن حياتهم ورزقهم ومعرفتهم وسماعهم وإدراكهم وشعورهم وإحساسهم أكمل وأتم وأرفع من غيرهم والدليل هو قوله تعالى فى حق الشهداء :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وإذا كانت الحياة معناها هو بقاء الروح فلا تفنى ولا تبلى فلا مزية للشهيد يستحق أن تذكر وتشهر إذ أرواح جميع بنى آدم باقية لا تفنى ولا تبلى وهو الصواب الذى عليه المحققون من أهل العلم كما حققه الشيخ ابن القيم فى كتاب الروح فلابد من وجود مزية ظاهرة يزيد بها الشهداء على من سواهم والا كان ذكر حياتهم عبثا لا فائدة منه خصوصا وأن الله تعالى نهى أن نقول عنهم أموات فقال : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » .

وحينئذ نقول إنه لابد من أن تكون حياتهم أكمل من غيرهم وأشرف وهذا ما يؤيده ظاهر النصوص فأرواحهم مرزوقة ترد أنهار الجنة وتأكل ثمارها كما قال تعالى : « عند ربهم يرزقون » ثم احساسهم بذلك الانعام والشراب والنعيم إحساس كامل بشعور تام وتلذذ تام وتمتع حقيقى كما جاء فى الحديث: فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا (قال ابن كثير رواه أحمد) .

وأرواحهم لها تصرف أكبر من غيرها وأوسع فهى تتجول وتسرح فى الجنة حيث تشاء ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش .

(كذا فى الصحيح)

وهم يسمعون الكلام ويفهمون الخطاب فقد جاء فى الصحيح أن الله تعالى يقول لهم ما تشتهون ؟ فيقولون : كذا وكذا ، ويعود السؤال ويعود الجواب . ثم يطلبون أن يعودوا إلى الدنيا للجهاد ، ثم يطلبون أن يبلغ الله

Marfat.com

عنهم رسالة منهم إلى إخوانهم بالدنيا فيها بيان ما اكرمهم الله به فيقول الله : أنا أبلغ عنكم .

فإذا ثبت هذا فى حق الشهداء ثبت فى حق الأنبياء من وجهين :

الأول : أن هذه رتبة شريفة أعطيت للشهيد كرامة له ولا رتبة أعلى من رتبة الأنبياء . ولاشك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء ولا يحصل للأنبياء لاسيما هذا الكمال الذى يوجب زيادة القربى والزلفى والنعيم والأنس بالعلى الأعلى .

الثانى : أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجرا على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى . والنبى صلى الله عليه وسلم هو الذى سن لنا ذلك ودعانا إليه وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من يتبعه لا ينقصه ذلك من اجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لا ينقصه ذلك من آثامهم شيئاً » ..

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مشهورة فكل أجر حصل للشهيد حصل للنبى صلى الله عليه وسلم لسعيه مثله والحياة أجر فيحصل للنبى صلى الله عليه وسلم مثلها .

ان حياة الأنبياء البرزخية الحقيقية وخصوصا نبينا صلى الله عليه وسلم هى أرفع وأكمل من أن يتصور جاهل أو أحمق أننا نعنى بها أن يعيشوا كما نعيش فيأكلون ويشربون محتاجين إلى الأكل والشرب ويبولون ويتغوطون. مضطرين إلى ذلك ويخرجون من قبورهم لحضور مجالس الذكر ومجامع القرآن ولمشاركة الأمة فى أفراحها وأحزانها وأعيادها ومواسمها ثم يرجعون إلى قبورهم تحت الأرض فى تلك الحفرة الضيقة وفوقهم التراب . ليس فى هذا أدنى كرامة أو منقبة بل هو عين الإهانة التى لا يرضاها الإنسان لتابع أو خادم له فضلا عن أن يمن الله تعالى بذلك على خير خلقه وأجل عبيده حاشا وكلا وألف حاشا وكلا . إن الحياة البرزخية الحقيقية هى الشعور التام والإدراك الكامل والمعرفة الصادقة . إنها حياة طيبة صالحة دعاء وتسبيح وتهليل وتحميد وصلاة .

Marfat.com

صلاة الأنبياء فى قبورهم وعبادات أخرى :

ومن ثمرات تلك الحياة البرزخية صلاتهم فى قبورهم صلاة حقيقية ليست خيالية ولا مثالية وقد جاءت أحاديث فى هذا الموضوع فمنها عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الأنبياء احياء فى قبورهم يصلون » ..

رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبى يعلى ثقات كذا فى مجمع الزوائد (ج ٨ ص ٢١١) قال الإمام الحافظ البيهقى فى الجزء الخاص بهذه المسألة .

وفى رواية عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد اربعين ليلة ، ولكنهم يصلون بين يدى الله تعالى حتى ينفخ فى الصور » ..

قال البيهقى إن صح بهذا اللفظ فالمراد به ــ والله أعلم ــ لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار . ثم يكونون مصلين بين يدى الله تعالى ، قال البيهقى : ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة .

ثم ذكر البيهقى بأسانيده حديث :

« مررت بموسى وهو قائم يصلى فى قبره » ..

وحديث :

« قد رايتنى فى جماعة من الأنبياء ، فاذا موسى قائم يصلى واذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، واذا ابراهيم قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم ــ يعنى نفسه ــ فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل لى : يا محمد ، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت اليه فبدانى بالسلام » ..

قلت أخرجه مسلم عن أنس (ج ٢ ص ٢٦٨) وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (ج ٣ ص ٥٧٧) .

وقوله ضرب : أى خفيف اللحم المشوق المستدق .

Marfat.com

وقال البيهقى فى دلائل النبوة : وفى الحديث الصحيح عن سليمان التيمى وثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اتيت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره » ..

قلت وهو صحيح أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٢٦٨) .

وقد ثبت بنا لا يقبل الشك أن السبب فى تخفيف الصلاة علينا من خمسين إلى خمس صلوات هو موسى عليه السلام وهو ميت قد أدى رسالة ربه وانتقل إلى جواره فى الرفيق الأعلى ولكنه هو السبب فى إيصال أعظم خير إلى الأمة المحمدية حينما طلب من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مراجعة ربه وقال له سل ربك التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فهل هذه المراجعة حقيقية أو خيالية وهل فى اليقظة أو فى المنام وهل هى صحيحة أم مكذوبة وهل موسى مات أم لا يزال حيا حتى وقت تلك المراجعة ؟

أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما .

« ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على ثنية فقال : ما هذه قالوا ثنية كذا وكذا ، قال لأنى انظر الى يونس على ناقة خطامها ليف وعليه جبة من صوف وهو يقول لبيك اللهم لبيك » ..

ا هـ الدر المنثور (ج ٤ ص ٣٣٤) .

وفى حديث آخر :

« ارانى ليلة عند الكعبة فرايت رجلا آدم كاحسن ما انت راء من الرجال من آدم الرجال ، له لمة كاحسن ما انت راء من اللمم قد رجلها فهى تقطر ماء متكئا على رجلين او على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقيل هذا المسيح ابن مريم » ..

وفى حديث آخر :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادى الأزرق فقال : كانى انظر الى موسى هابطا من الثنية و[illegible]ار الى الله بالتلبية ثم اتى على ثنية هرشى فقال : كانى انظر الى يونس [illegible]ى على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبى » ..

Marfat.com

وفى حديث آخر :

« كانى انظر الى موسى واضعا اصبعيه فى اذنيه » ..

وهذه الأحاديث كلها فى الصحيح وقد تقدم فى موسى وعيسى ، وكذلك صلاتهم قياما وإمامة النبى صلى الله عليه وسلم بهم ولا يقال إن ذلك رؤيا منام وإن قوله أرانى فيه إشارة إلى النـــوم لأن الاسراء وما اتفق فيـــه كان يقظة على الصحيح الذى عليه جمهور السلف والخلف ولو قيل بأنه نـــوم فرؤيا الأنبياء حق ، وقوله أرانى لا دلالة فيه على المنام بدليل قوله رأيتنى فى الحجر وكان ذلك فى اليقظة كما يدل عليه بقية الكلام .

بقـــاء اجسادهم :

جاء فى الحديث عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« افضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيـــه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على ، قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ـ يقولون بليت ـ فقال : ان الله حرم على الأرض أن تأكل اجساد الأنبياء » ..

هذا الحديث أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأحمد فى مسنده وابن عاصم فى الصلاة له وأبو داود والنسائى وابن ماجه فى سننهم والطبرانى فى معجمه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى صحاحهم والبيهقى فى حيـــاة الأنبياء وشعب الإيمان وغيرهما من تصانيفه .

واعلم بأن حديث إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء . ورد من طرق كثيرة جمعها الحافظ المنذرى فى جـــزء مخصـــوص وقال فى الترغيب والترهيب رواه ابن ماجه بإسناد جيـــد ورواه أحمـــد وأبو داود وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه وقال ابن القيم فى كتاب الروح نقلا عن أبى عبد الله القرطبى : صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع مع الأنبيـــاء ليـــلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء خصوصا موسى وقد أخبر :

« ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حـ ، يرد عليه السلام » ..

Marfat.com

الى غير ذلك مما يحصل من جماعة اطلع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم . وقد نقل كلام القرطبى وأقره أيضا الشيخ محمد السفارينى الحنبلى فى شرح عقيدة أهل السنة ونصه : قال أبو عبد الله القرطبى قال شيخنا أحمد بن عمر القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم والذى يزيح هذا الإشكال ان الموت ليس بعدم محض وإنما هو إنتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين . وهذه صفة الأحياء فى الدنيا ، وإذا كان هذا فى الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى . وذكر القرطبى أن أجساد الشهداء لا تبلى ، وقد صح عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح رضى الله تعالى عنهم وهما ممن استشهد بأحد ودفنا فى قبر واحد حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا . وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة ولما أجرى معاوية العين التى استنبطها بالمدينة وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فسأل منه الدم ووجد عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس . وروى كافة أهل المدينة أن جدار النبى صلى الله عليه وسلم لما انهدم أيام الوليد بدت لهم قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قد قتل شهيدا .

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية أنه لما حصل الهدم بدت لهم قدم بساق وركبة ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيز فأتاه عروة فقال هذه ساق عمر وركبته فسرى عن عمر بن عبد العزيز . اهـ اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٥ .

وقد ألف فى هذا الموضوع الامام الحجة أبو بكر بن الحسين البيهقى رسالة خاصة جمع فيها جملة من الأحاديث التى تدل على حياة الأنبياء وبقاء أجسادهم ، وكذلك ألف الحافظ جلال الدين السيوطى رسالة خاصة بذلك .

* * *

Marfat.com

حياة خاصة بنبينا محمد ﷺ

وقد ثبت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حياة برزخية أكمل وأعظم من غيره تحدث عنها بنفسه تثبت اتصاله بالأمة المحمدية ومعرفته بأحوالها واطلاعه على أعمالها وسماعه لكلامهم وردّه لسلامهم والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

فمنها عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

« ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من امتى السلام » ..

قال المنذرى رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه اهـ من الترغيب والترهيب (ج ٢ ص ٤٩٨) . قلت ورواه اسماعيل القاضى وغيره من طرق مختلفة بأسانيد صحيحة لا ريب فيها إلى سفيان الثورى عن عبد الله ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود وصرّح الثورى بالسماع فقال: حدثنى عبد الله بن السائب هكذا فى كتاب القاضى إسماعيل وعبد الله ابن السائب وزاذان روى لهما مسلم . ووثقهما ابن معين فالإسناد إذن صحيح.

ومنها : عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتى خير لكم تعرض اعمالكم على فما رايت من خير حمدت الله وما رايت من شر استغفرت الله لكم » ..

قال الحافظ العراقى فى كتاب الجنائز من طرح التثريب فى شرح التقريب: اسناد جيد .

وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، وصححه الحافظ السيوطى فى المعجزات والخصائص وكذا القسطلانى شارح البخارى ونص المناوى فى فيض القدير ج ٣ ص ٤٠١ بأنه صحيح وكذا الزرقانى فى شرح المواهب للقسطلانى وكذا الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا ج ١ ص ١٠٢ .

Marfat.com

وكذا الملا على قارى فى شرح الشفا ج ١ ص ١٠٢ وقال رواه أيضا الحارث بن أسامة فى مسنده بسند صحيح .

وذكره ابن حجر فى المطالب العالية (ج ٤ ص ٢٢) وجاء هذا الحديث من طريق آخر مرسلا عن بكر بن عبد الله المزنى ورواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وصححه الحافظ ابن عبد الهادى مع تعنته وتشدده فى كتابه الصارم المكنى .

فالحديث صحيح لا مطعن فيه وهو يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أعمالنا بعرضها عليه ويستغفر الله لنا على ما فعلنا من سىء وقبيح وإذا كان كذلك فإنه يجوز لنا أن نتوسل به إلى الله ونستشفع به لديه لأنه يعلم بذلك فيشفع فينا ويدعو لنا وهو الشفيع المشفع صلى الله عليه وآله وسلم وزاده تشريفا وتكريما وقد أخبر الله فى القرآن ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم شهيد على أمته وذلك يقتضى أن تعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعلم . قال ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال ابن عمرو انه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبى صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشيا فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » .

ومنها : عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« ان الله وكل بقبرى ملكا اعطاه الله أسماع الخلائق فلا يصلى على احد الى يوم القيامة الا ابلغنى باسمه واسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك

رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبان ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان لله تبارك وتعالى وكل ملكا اعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس احد يصلى على صلاة الا قال : يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان قال : فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا » ..

Marfat.com

(رواه الطبرانى فى الكبير بنحوه) اهـ من الترغيب (ج ٢ ص ٥٠٠)

ومنها عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد ابن أيمن عن عبادة بن نسيّ عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« اكثروا الصلاة علىّ يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على ّ الا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها » .. قال قلت وبعد الموت ؟ قال : « وبعد الموت ان الله حرم على الارض أن تأكل اجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق » ..

رواه ابن ماجه فى السنن . وفى الزوائد هذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع فى موضعين لأن عبادة روايته عن أبى الدرداء مرسلة فاله العلاء وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة قاله البخارى . انتهى من سنن ابن ماجه (ص ٥٢٤) .

ومنها عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« ما من أحد يسلم علىّ الا ردّ الله علىّ روحى حتى اردّ عليه السلام » ..

رواه أبو داود كذا فى الترغيب (ج ٢ ص ٤٩٩) .

قال الشيخ ابن تيمية هذا الحديث على شرط مسلم وقال : وفى مسند ابن أبى شيبة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« من صلىّ علىّ سمعته ومن صلى علىّ نائيا بلغته » ..

رواه الدارقطنى .

وفى النسائى وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

« ان الله وكل بقبرى ملائكة يبلغونى عن أمتى السلام » ..

إلى أحاديث أخر فى هذا الباب متعددة اهـ اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٢٤ .

* * *

Marfat.com

النبى ﷺ يجيب من ناداه

النبى صلى الله عليه وسلم يجيب من ناداه قائلا يا محمد ..

فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند أبى يعلى فى ذكر عيسى [ولئن قام على قبرى فقال : يا محمد لأجيبنه] ..

ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العاليـــة ٤ / ص ٢٣ بعنـــوان حياته صلى الله عليه وسلم فى قبره .

* * *

ارسال السلام بالبريد الى النبى ﷺ

عن يزيد المهدى قال لما ودعت عمر بن عبد العزيز قال : إن لى إليك حاجة قلت يا أمير المؤمنين كيف ترى حاجتك عندى ؟ قال إنى أراك إذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فأقرئه منى السلام .

وعن حاتم بن وردان قال كان عمر بن عبد العزيز يوجه البريد قاصـــدا من الشام إلى المدينة ليقرىء عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم السلام . ذكره القاضى عياض فى الشفاء فى باب الزيارة . (ج ٢ ص ٨٣) وذكر الخفاجى والملا على قارى فى شرح الشفا أنه رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب وقال الخفاجى كان من دأب السلف أنهم يرسلون السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والســـلام ولأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبلغه سلام من سلم عليه وإن كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه . اهـ من نسيم الرياض للخفاجى (ج ٣ ص ٥١٦) .

وذكره الفيروزابادى فى الصلات والبشر ص ١٥٣ .

صوت وسلام يسمع من القبر النبوى :

روى الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله الدارمى فى كتابه الســـنن الذى يعتبر من كتب الأصول الحديثية الستة قال أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد

Marfat.com

ابن عبد العزيز قال لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبى صلى الله عليه وسلم فذكر معناه . اهـ من سنن الدارمى ج ١ ص ٤٤ .

ونقل هذه الرواية الإمام مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس فى الصلات والبشر ص ١٥٤ . وقال : قال إبراهيم ابن شيبان حججت فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام .

تأييد ابن تيمية لهذه الوقائع :

ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الوقائع فى معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجدا أو وثنا يعبد . ثم قال ولا يدخل فى هذا الباب ما يروى من أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبى صلى الله عليه وسلم أو قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالى الحرة ونحو ذلك اهـ اقتضاء الصراط المستقيم ٣٧٣ .

ثم قال فى موضع آخر وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التى توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقى الشياطين والبهائم لها وإندفاع النار عنها وعن جاورها وشفاعة بعضهم فى جيرانه من الموتى واستجباب الإندفان عند بعضهم وحصول الأنس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهان بها فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه وما فى قبو الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك .

(اهـ . من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٤)

* * *

Marfat.com

لا تشـــد الرحـــال

يخطىء كثير من الناس فى فهم حديث :

« لا تشد الرحال الاّ الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » ..

فيستدلون به على تحريم شد الرحل لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم ويعتبرون ان السفر بذلك سفر معصية ، وهذا الاستدلال مردود ، لأنه مبنى على فهم باطل ، فالحديث كما سترى فى باب والاستدلال فى باب آخر ، وبيان ذلك هو ان قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد جاء على الأسلوب المعروف عند اللغويين بأسلوب الاستثناء . وهذا يقتضى وجود مستثنى ومستثنى منه ، فالمستثنى هو ما كان بعد إلا ، والمستثنى منه هو ما كان قبلها ، ولابد من الأمرين ، إما وجودا أو تقديرا ، وهذا مقرر ومعروف فى أبسط كتب النحو .

واذا نظرنا إلى هـذا الحديث وجـدنا انه قد جاء فيـه التصريح بذكر المستثنى وهو قوله : (إلى ثلاثة مساجد) وهو ما بعد « إلا » ولم يأت ذكر المستثنى منه وهو ما قبل « إلا » فلابد إذن من تقديره .

فإن فرضنا أن المستثنى منه [قبر] كان اللفظ المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد . وهـذا السياق ظاهر فى عدم الانتظام وغير لائق بالبلاغة النبوية فالمستثنى غير داخل ضمن المستثنى منه ـ والأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، ولا يطمئن قلب عالم يتحرج من نسبة كلام للمصطفى صلى الله عليه وسلم لم ينقله إلى نسبة هذه اللفظة [قبر] وهى لا تتفق مع الأصل فى الاستثناء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تصلح أن تكون هى المستثنى منـه ، فلنفرض أنها لفظة [مكان] فيكون السياق المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الفرض ، لا تشـد الرحال إلى مـكان إلا إلى ثلاثة مساجد ، ومعنى هذا ألا تسافر إلى تجارة أو علم أو خير . وهذا ضرب من الهوس ظاهر البطلان .

Marfat.com

فالحديث اشتمل على ذكر المستثنى وليس فيه ذكر المستثنى منه . ولذلك فلابد من تقديره بانساق أعم اللغه . وتقديره لا يحتمل إلا ثلاثة وجوه لا رابع لها ، الوجه الأول : أن يكون تقديره بلفظ [قبر] فيكون اللفظ المقدر . لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد .

وهذا التقدير مبنى على رأى من يستدل بالحديث على منع السفر للزيارة . وأنت ترى أنه تقدير بارد مسجوج لا يستسيغه من عنده أدنى إلمام بالعربية . وهو لا تليق نسبته إلى أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه . فحاشا أن يرضى بمثل هذا الأسلوب الساقط .

الوجه الثانى : أن يكون تقدير المستثنى منه فى الحديث بلفظ عام وهو لفظ [مكان] وهذا باطل كما تقدم بلا خلاف ولا قائل به .

الوجه الثالث : أن يكون تقدير المستثنى منه فى الحديث بلفظ (مسجد)

فيكون سياق الحديث : بلفظ لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد . فنرى ان الكلام قد انتظم وجرى على الأسلوب اللغوى الفصيح ، واختفى التهافت الواضح فى الصورتين المتقدمتين وأشرقت فيه روح النبوة . ويطمئن القلب التقى إلى نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا بفرض أنه لا توجد رواية أخرى مصرحة بالمستثنى منه ، فإذا وجدت هذه الرواية فلا يحل لمن له دين ان يعدل عنها إلى محض فرض لا يستند إلى فصيح اللغة .

وقد وجدنا بحمد الله فى السنة النبوية من الروايات المعتبرة ما فيه التصريح بالمستثنى منه .

فمنها : ما اخرجه الإمام احمد من طريق شهر ابن حوشب قال سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة والسلام فى الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى للمطى ان يشد رحاله الى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى » ..

قال الحافظ ابن حجر : وشهر حسن الحديث وان كان فيه بعض ضعف (فتح البارى ج ٣ ص ٦٥) .

Marfat.com

وفى لفظ آخر :

« لا ينبغى للمطى ان تشد رحاله الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا » ..

قال الحافظ الهيثمى : وفيه شهر فيه كلام وحديثه حسن .

(مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣)

ومنها ما جاء عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انا خاتم الأنبياء ومسجدى خاتم مساجد الأنبياء احق المساجد ان يزار وتشد اليه الرواحل : المسجد الحرام ومسجدى ، صلاة فى مسجدى افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام » ..

رواه البزار . (مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣) .

فكلامه صلى الله عليه وسلم فى المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هذه المساجد الثلاثة متساو فى الفضل ، فلا فائدة فى التعب بالسفر إلى غيرها ، أما هى فلها مزيد فضل ، ولا دخل للسفار فى هذا الحديث فاقحامها فى هذا الحديث يعتبر ضرباً من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . على من يتحمل إثم الكذب عليه صلوات الله وسلامه عليه ، هذا مع ان الزيارة مطلوبة بل وكثير من العلماء يذكرونها فى كتب المناسك على أنها من المستحبات ويؤيد هذا أحاديث كثيرة ، نذكر جملة منها .

عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ..

رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفارى وهو ضعيف . ونقله الشيخ ابن تيمية وقال إنه ضعيف ولم يحكم بوضعه أو كذبه (اهـ . الفتاوى ج ٢٧ ص ٣٠) فى هذا الموضع . فإن ثبت غير هذا عنه فى موضع آخر فمعناه أنه متردد فى الحكم عليه ، أو أنه اختلف رأيه فيه ولم نعلم المتقدم من المتأخر فلا يوثق بواحد حينئذ .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

« من جاءنى زائراً لا يعلم له حاجـة الا زيارتى كان حقـا علىّ ان اكون له شفيعا يوم القيامة » ..

رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير .

وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف . (كذا فى المجمع ج ٤ ص ٢) وقال الحافظ العراقى صححه ابن السكن (المغنى ج ١ ص ٢٦٥)

عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من حج فزار قبرى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى » ..

رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه حفص بن أبى داود القارىء وثقه أحمد وضعفه جماعة من الأئمة .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى » ..

قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وفيه عائشة بنت يونس ولم أجد من ترجمها (كذا فى مجمع الزوائد ٤/٢) .

والحاصل ان أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوى بعضها بعضا ، كما نقله المناوى عن الحافظ الذهبى فى فيض القدير ج ٦ ص ١٤٠ خصوصا وان بعض العلماء صححها أو نقل تصحيحها كالسبكى وابن السكن والعراقى والقاضى عياض فى الشفا والملا على قارى شارحه والخفاجى كذلك فى نسيم الرياض ج ٣ ص ٥١١ . وكلهم من حفاظ الحديث وائمته المعتمدين . ويكفى أن الأئمة الأربعة رضى الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدين قالوا بمشروعية زيارة النبى صلى الله عليه وسلم كما نقله عنهم أصحابهم فى كتب فقههم المعتمدة وهذا كاف منهم فى تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها لأن الحديث الضعيف يتأيد بالعمل والفتوى ، كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدثين .

* * *

Marfat.com

زيارة القبر هى زيارة المسجد
فى اعتبار الشيخ ابن تيمية

للشيخ ابن تيمية رأى نفيس جاء ضمن كلامه عن الزيارة ، فبعد أن تكلم عن بدعية شد الرحل للقبر النبوى المحمدى وحده دون المسجد رجع فقال :

وهذا المعترض وأمثاله جعلوا السفر إلى قبور الأنبياء نوعا من القربة ثم لما رأوا ما ذكره العلماء من استحباب زيارة قبر نبينا ظنوا أن سائر القبور يسافر إليها كما يسافر إليه . فضلوا من وجوه :

أحدهما : أن السفر إليه إنما هو سفر إلى مسجده وهو مستحب بالنص والإجماع .

الثانى : أن هذا السفر هو للمسجد فى حياة الرسول وبعد دفنه وقبل دخول الحجرة وبعد دخول الحجرة فيه . فهو سفر إلى المسجد سواء كان القبر هناك أو لم يكن . فلا يجوز أن يشبه به السفر إلى قبر مجرد .

ثم قال : السادس أن السفر إلى مسجده ــ الذى يسمى السفر لزيارة قبره ــ هو ما أجمع عليه المسلمون جيلا بعد جيل . وأما السفر إلى سائر القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان بل ولا عن أتباع التابعين .

ثم قال : والمقصود ان المسلمين مازالوا يسافرون إلى مسجده ولا يسافرون إلى قبور الأنبياء كقبر موسى وقبر الخليل عليهما السلام ولم يعرف عن أحد من الصحابة أنه سافر إلى قبر الخليل مع كثرة مجيئهم إلى الشام وبيت المقدس . فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول الذى يسميه بعض الناس زيارة لقبره مثل السفر إلى قبور الأنبياء ؟

فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية فائدة مهمة جداً وهى أن لا يتصور أبدا أن يشد الزائر رحله قاصدا زيارة القبر وحده ثم لا يدخل إلى المسجد ويصلى فيه ليستفيد من بركاته ومضاعفة صلاته وروضة الجنة التى فيه ويقابله

Marfat.com

أنه لا يعقل أبدا أن يشد الزائر رحله قاصدا زيارة المسجد وحده ثم لا يتوجه إلى الزيارة ولا يقف بالقبر الشريف للسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما .

ولذلك ترى الشيخ يشير فى عبارته إلى هذا المعنى بقوله مثلا (فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول الذى يسميه بعض الناس زيارة) ؟

وبقوله (إن السفر إليه إنما هو سفر إلى مسجده) .

وبقوله : (إن السفر إلى مسجده الذى يسمى السفر لزيارة قبره هو ما أجمع عليه المسلمون)

فهذا الرأى الجيد النفيس يحل مشكلة كبرى فرقت بيننا معشر المسلمين وبسببها كفر بعضنا بعضا وأخرجه عن دائرة الإسلام ، ولو سلك من ادعى أنه متبع للسلف مسلك ابن تيمية إمام السلف فى عصره والتمس للناس العذر فى مقاصدهم وحسن الظن بهم لسلم جمع غفير من دخول النار وفازوا بالجنة دار القرار .

وهذا هو الحق الذى ندين الله به ونعتقده بكل صدق سواء صرحنا به أو لم نصرح . فلو قال الواحد منا أنا مسافر لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم أو قبره فهو قاصد فى الجملة مسجده الشريف ولو قال أنا مسافر لزيارة المسجد فهو قاصد فى الجملة القبر غاية ما فى الأمر أنه فاته التصريح بكل ما يقصده وينويه للارتباط الوثيق بين المسجد والقبر الذى هو فى الحقيقة عبارة عن قصد النبى ذاته صلى الله عليه وسلم ، لأن المسافر لزيارة القبر إنما هو مسافر فى الحقيقة إلى النبى نفسه صلى الله عليه وسلم .

أما القبر حقيقة فلا يقصده ولا يتوجه إليه مسافر . ونحن إنما نتوجه إليه صلى الله عليه وسلم ونشد رحالنا لزيارته هو ونتقرب إلى الله بتلك الزيارة ولذلك فالواجب على المسلمين الزائرين أن يصححوا ألفاظهم ابتعادا عن الشبهة ويقولون نحن نزور رسول الله ونشد الرحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هنا قال مالك أكره للرجل أن يقول زرت قبر الرسول. .

وفسره العلماء من أئمة المالكية بأن ذلك من الأدب فى التعبير اللفظى

Marfat.com

ولو كان المسافر لزيارة القبر لا يقصد إلا زيارة القبر فقط لما رأيت هذا الازدحام الشديد على الروضة المشرفة .

ولما رأيت الناس يتسابقون ويتدافعون عند فتح أبواب المسجد النبوى حتى ليكاد يقتل بعضهم بعضا . وهؤلاء الذين يحرصون على الصلاة فى المسجد والمسابقة إلى الروضة هم الذين جاءوا لزيارة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وشدوا رحلهم إليه .

* * *

تحقيق مفيد

تحقيق العلامة الشيخ عطية محمد سالم صاحب تكملة اضواء البيان

وقد ذكر هذه المسألة العلامة الشيخ عطية محمد سالم القاضى بالمدينة المنورة فى كتابه الذى تمم به التفسير المشهور المسمى بأضواء البيان للعلامة المفسر الشيخ محمد أمين الشنقيطى فقال :

واعتقد أن هذه المسألة لولا نزاع معاصرى شيخ الإسلام معه فى غيرها لما كان لها محل ولا مجال .

ولكنهم وجدوها حساسة ولها مساس بالعاطفة ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثاروها وحكموا عليه بالالتزام أى بلازم كلامه حينما قال :

لا يكون شد الرحال لمجرد الزيارة بل تكون للمسجد من أجل الزيارة عملا بنص الحديث فتقولوا عليه ما لم يقله صراحة . ولو حمل كلامه على النفى بدل من النهى لكان موافقا أى لا يتأتى ذلك لأنه رحمه الله لم يمنع زيارته صلى الله عليه وسلم ولا السلام عليه ، بل يجعلها من الفضائل والقربات وإنما يلتزم بنص الحديث فى جعل شد الرحال إلى المسجد ولكل شىء ومنه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك فى كتبه . اهـ .
كلام الشيخ عطية فى أضواءالبيان (ج ٨ ص ٥٨٦)

Marfat.com

ثم نقل من نصوص كلام ابن تيمية ما نقلناه عنه ثم قال :

فدل كلامه رحمه الله أن زيارة القبر والصلاة فى المسجد مرتبطان ومن ادعى انفكاكهما عمليا فقد خالف الواقع ، وإذا ثبتت الرابطة بينهما انتفى الخلاف وزال موجب النزاع والحمد لله رب العالمين وصرح فى موضع آخر ص ٣٤٦ فى قصر الصلاة فى السفر لزيارة قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال ، الثالث منها تقصر إلى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام (أضواء البيان ج ٨ ص ٥٩٠) ثم قال الشيخ عطية :

وهذا غاية فى التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة والصلاة فى المسجد عند عامة العلماء .

ثم قال فى حق الجاهل : وأما من لم يعرف هذا فقد لا يقصد إلا السفر إلى القبر ثم إنه لابد أن يصلى فى مسجده فيثاب على ذلك وما فعله وهو منهى عنه ولم يعلم أنه منهى عنه لا يعاقب فيحصل له أجر ولا يكون عليه وزر (انظر أضواء البيان ج ٨ ص ٥٩٠) .

وبه يظهر لك أن قاصد القبر على كل حال ليس بمحروم من الأجر والثواب . فهل يقال فى حقه انه مبتدع أو ضال أو مشرك . سبحانك هذا بهتان عظيم .

* * *

الامام مالك والزيارة

الإمام مالك هو من أشد الناس تعظيما للجناب النبوى وهو الذى كان لا يمشى فى المدينة المنورة منتعلا ولا راكبا ولا يقضى فيها حاجته إحتراما وتعظيماً وتكريماً لتراب المدينة الذى مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو يخاطب أمير المؤمنين المهدى لما جاء إلى المدينة فى هذا الموضوع ويقول له : إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم فإنه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة . فقال له : ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟

Marfat.com

قال : لأنه لا يعرف قبر نبى اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبر محمد عندهم فينبغى أن يعلم فضلهم . (كذا فى المدارك للقاضى عياض) .

ومن شدة تعظيمه للمدينة أنه كره أن يقال زرنا قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه أراد أن يقول القائل زرنا النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة دون لفظ القبر لأن القبر مهجور بدليل قوله صلى الله عليه وسلم صلوا فى بيوتكم ولا تجعلوها قبورا .

قال الحافظ ابن حجر إنه إنما كره اللفظ أدبا لا أصل الزيارة فإنها من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذى الجلال وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع (فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٦٦) .

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض أى فيما بينهم فكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس أى عمومهم بهذا اللفظ وأحب أن يخص بأن يقال سلمنا على النبى صلى الله عليه وسلم .

وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطى إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض والأولى عندى أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبى صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد بعدى ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » ..

فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة وحسما للباب .

قلت : ولو كان المقصود كراهية الزيارة لقال مالك : أكره للرجل أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم لكن ظاهر قوله (أكره للرجل أن يقول الخ ..) على أن المقصود هو كراهة التعبير بهذا اللفظ فقط .

* * *

Marfat.com

استحباب زيارة النبى ﷺ عند الحنابلة وغيرهم

زيارة النبى صلى الله عليه وسلم مشروعة وقد ذكرها كثير من علماء الأمة وأئمة السلف وتخصيص الحنابلة بالذكر المقصود منه رد فرية من زعم أن أئمة الحنابلة لا يقولون بذلك فاقتضى الأمر تخصيصهم بالذكر لرد هذه الفرية ، وإلا فإن كتب فقه المذاهب الإسلامية جميعها مشحونة ومملوءة بهذه المسألة فانظر إن شئت كتب الفقه الحنفى وانظر إن شئت كتب الفقه المالكى وكتب الفقه الشافعى والحنبلى وكتب الفقه الزيدى والأباضى والجعفرى فانك تجدهم قد عقدوا بابا مخصوصا فى الزيارة بعد أبواب المناسك .

* * *

كلام ائمة السلف فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وشد الرحل الى قبره

١ ـ القاضى عياض :

نذكر هنا كلام القاضى عياض فى مشروعية الزيارة النبوية عند السلف فى شرحه للحديث الذى رواه مسلم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا ، وهو يأرز بين المسجدين كما تارز الحية الى جحرها » ..

قال القاضى عياض : وقوله صلى الله عليه وسلم وهو يأرز إلى المدينة ، معناه : أن الإيمان أولا وآخرا بهذه الصفة ، لأنه فى أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرا مستوطنا وإما متشوقا إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلما منه ومتقربا ، ثم بعده هكذا فى زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والإقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك فى كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر

Marfat.com

النبى صلى الله عليه وسلم والتبرك بمشاهده وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن .

هذا كلام القاضى عياض ، والله أعلم بالصواب اهـ . شرح صحيح مسلم للنووى ص ١٧٧ .

٢ ـ الامام النووى :

عقد الإمام الحافظ شرف الدين النووى صاحب شرح صحيح مسلم فى كتابه المعروف فى المناسك المسمى بالإيضاح عقد فصلا خاصا عن الزيارة النبوية . قال فيه : إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيارة تربته صلى الله عليه وسلم فإنها من أهم القربات وانجح المساعى . (وانظر كلامه أيضا فى شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث لا تشد الرحال ج ٩ ص ١٠٦) .

٣ ـ الامام ابن حجر الهيتمى :

قال الحافظ ابن حجر الهيتمى فى حاشيته على الإيضاح للنووى معلقاً على قوله : (وقد روى البزار والدارقطنى بإسنادهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ..

قال : رواه أيضا ابن خزيمة فى صحيحه جماعة كعبد الحق والتقى السبكى . ولا ينافى ذلك قول الذهبى طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضها .

ورواه الدارقطنى أيضاً والطبرانى وابن السبكى وصححه بلفظ :

« من جاءنى زائرا لا تحمله حاجة الا زيارتى كان حقا علىَّ أن اكون له شفيعا يوم القيامة » ..

وفى رواية :

« كان له حقا على الله عز وجل أن اكون له شفيعا يوم القيامة » ..

والمراد بقوله : لا تحمله حاجة إلا زيارتى ، اجتناب قصد ما لا تعلق له بالزيارة . أما ما يتعلق بها من نحو قصد الإعتكاف فى المسجد النبوى ، وكثرة

Marfat.com

العبادة فيه ، وزيارة الصحابة وغير ذلك مما يندب للزائر فعله ، فلا يضر قصده فى حصول الشفاعة له . فقد قال أصحابنا وغيرهم : يسن أن ينوى مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحل للمسجد النبوى والصلاة فيه كما ذكره المصنف .

ثم الحديث يشمل زيارته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا • ويشمل الذكر والأنثى الآتى من قرب أو بعد . فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك ، وندب السفر للزيارة إذ للوسائل حكم المقاصد .

وقد أخرج أبو داود بسند صحيح :

« ما من احد سلم على ، الا رد الله على روحى ، حتى اردَّ عليه السلام ».

فتأمل هذه الفضيلة العظيمة وهى رده صلى الله عليه وسلم على المسلم عليه إذ هو صلى الله عليه وسلم حى فى قبره كسائر الأنبياء لما ورد مرفوعا : الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون . ومعنى رد روحه الشريفة ، رد القوة النطقية فى ذلك الحين للرد عليه . ا هـ من الإيضاح ص ٤٨٨ .

٤ ـ الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى :

قال ابن حجر فى شرحه على البخارى عند قوله : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) قوله إلا إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف ، فإما أن يقدر عاما فيصير :

لا تشد الرحال إلى مكان فى أى أمر كان إلا لثلاثة . أو أخص من ذلك . لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثانى ؛ والأول أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو : لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة ، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين ، والله أعلم .

وقال السبكى الكبير : وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن فى غير الثلاثة داخل فى المنع ، وهو خطأ ، لأن الإستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه ، فمعنى الحديث : لا تشد الرحال إلى

Marfat.com

مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة ، وشد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من فى ذلك المكان . والله أعلم (ا هـ . فتح البارى ج ٣ ص ٦٦) .

٥ ـ الامام الشيخ الكرمانى شارح البخارى :

قال الشيخ الكرمانى فى شرحه على البخارى عند قوله : (إلا إلى ثلاثة مساجد) والإستثناء مفرغ . فإن قلت فتقدير الكلام لا تشد الرحال إلى موضع أو مكان فيلزم أن لا يجوز السفر إلى مكان غير المستثنى حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام ونحوه لأن المستثنى منه فى المفرغ لابد أن يقدر أعم العام . قلت : المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعا ووصفا كما إذا قلت : ما رأيت إلا زيدا ، كان تقديره : ما رأيت رجلا أو أحدا إلا زيدا . لا ما رأيت شيئاً أو حيوانا إلا زيدا . فههنا تقديره : لا تشد إلى مسجد إلا إلى ثلاثة . وقد وقع فى هذه المسألة فى عصرنا مناظرات كثيرة فى البلاد الشامية ، وصنف فيها رسائل من الطرفين لسنا الآن لبيانها) ا هـ . شرح الكرمانى (ج ٧ ص ١٢) .

٦ ـ الشيخ الامام بدر الدين العينى :

قال الشيخ العينى فى شرح البخارى : وحكى الرافعى عن القاضى ابن كج أنه قال : إذا نذر أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم فعندى أنه يلزمه الوفاء وجها واحدا ، قال ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندى . وقال القاضى عياض وأبو محمد الجوينى من الشافعية أنه يحرم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لمقتضى النهى . وقال النووى وهو غلط ، والصحيح عند أصحابنا وهو الذى اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره . وقال الخطابى لا تشد لفظه خبر ومعناه الإيجاب فيما نذره الإنسان من الصلاة فى البقاع التى يتبرك بها أى لا يلزم الوفاء بشىء من ذلك حتى يشد الرحل له ويقطع المسافة إليه غير هذه الثلاثة التى هى مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأما إذا انذر الصلاة فى غيرها من البقاع فإن له الخيار فى أن يأتيها أو يصليها فى موضعه ولا يرحل إليها .

وقال شيخنا زين الدين من أحسن محامل هذا الحديث أن المراد منه

Marfat.com

حكم المساجد فقط وأنه لا يشد الرحل إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة . فأما قصد غير المساجد من الرحلة فى طلب العلم وفى التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الإخوان ونحو ذلك فليس داخلا فى النهى ، وقد ورد ذلك مصرحا به فى بعض طرق الحديث فى مسند أحمد حدثنا هاشم حدثنا عبد الحميد حدثنى شهر سمعت أبا الخدرى رضى الله تعالى عنه وذكر عند صلاة فى الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى للمصلى ان يشد رحاله الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » ..

وإسناده حسن وشهر بن حوشب وثقه جماعة من الأئمة . (ا هـ . عمدة القارى ج ٧ ص ٢٥٤) .

٧ ـ الشيخ أبو محمد ابن قدامة امام الحنابلة صاحب كتاب المغنى :

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين عبد الله ابن قدامة . ويستحب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم لما روى الدارقطنى بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » ..

وفى رواية :

« من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ..

رواه باللفظ الأول سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر وقال أحمد فى رواية عبد الله عن يزيد بن هسيط عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من احد يسلم على عند قبرى الا رد الله علىَّ روحى حتى اردَّ عليه السلام » ..

وإذا حج الذى لم يحج قط يعنى من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة لأنى أخاف أن يحدث به حدث فينبغى أن يقصد مكة من أقصد الطرق ولا يتشاغل بغيره . ويروى عن العتبى قال : كنت جالساً عند قبر النبى صلى،

Marfat.com

الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : « ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد جئتك مستغفرا لذنبى مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشد يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابى فحملتنى عينى فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا عتبى إلحق الأعرابى فبشره أن الله قد غفر له (ا هـ . المغنى لابن قدامة ج ٣ ص ٥٥٦) .

٨ ـ الشيخ أبو الفرج بن قدامة امام الحنابلة وصاحب الشرح الكبير :

قال الشيخ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلى فى كتابه الشرح الكبير :

[مسألة] : فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضى الله عنهما .

ثم ذكر الشيخ ابن قدامة صيغة تقال عند السلام على النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أن يقول : (اللهم إنك قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً) وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبى مستشفعا بك إلى ربى فاسألك يارب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته ، اللهم اجعله أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين برحمتك يا أرحم الراحمين .

ثم قال : ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبى صلى الله عليه وسلم ولا تقبيله ، قال أحمد رحمه الله ما أعرف هذا ، قال الاثرم رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبى صلى الله عليه وسلم يقومون من ناحية فيسلمون ، قال أبو عبد الله وهكذا كان ابن عمر رضى الله عنهما يفعل ، قال أما المنبر فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم بن عبد الله بن عبد القارىء إنه

Marfat.com

نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبى صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم يضعها على وجهه . (ا هـ . الشرح الكبير ج ٣ ص ٤٩٥)

٩ ـ الشيخ منصور بن يونس البهوتى الحنبلى :

قال الشيخ منصور بن يونس البهوتى فى كتابه « كشاف القناع عن متن الإقناع » فصل : وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبرى صاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لحديث الدارقطنى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حج فزار قبرى بعد وفاتى ، فكأنما زارنى فى حياتى » ..

وفى رواية :

« من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ..

رواه باللفظ الأول سعيد .

(تنبيــه)

قال ابن نصر الله : لازم استحباب زيارة قبره صلى الله عليــه وســلم استحباب شد الرحال إليها ، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحال ، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته صلى الله عليه وسلم (ا هـ . كشاف القناع ج ٢ ص ٥٩٨) .

١٠ ـ شيخ الاسلام محمد تقى الدين الفتوحى الحنبلى :

قال الشيخ الفتوحى وسن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبــر صاحبيه رضى الله تعالى عنهما ، فيسلم عليه مستقبلا له ، ثم يستقبل القبلة ، ويجعل الحجرة عن يساره ، ويدعو . ويحرم الطواف بها ، ويكره التمسح ورفع الصوت عندها .

١١ ـ الشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى

قال الشيخ مرعى بن يوسف فى كتابه دليل الطالب : وسن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضــوان الله عليهــما ، وتستحب الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم وهى بألف صلاة ، وفى المسجد الحرام بمائة ألف ، وفى المسجد الأقصى بخمسمائة . (ا هـ . دليل الطالب ص ٨٨).

Marfat.com

١٢ ـ الامام شيخ الاسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى :

صاحب القاموس قال فى كتابه [الصلّات والبُشر] .

اعلم أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند قبره آكد فيستحب إعمال المطى لادراك الفوز بهذا الشرف العظيم والمنصب الكريم قال القاضى ابن كج : [هو القاضى يوسف بن أحمد بن كج] فيما حكاه الرافعى إذا نذر أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم فعندى أنه يلزمه الوفاء وجها واحدا ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندى وقد علم أنه لا يلزمه بالنذر إلا العبادات .

ومن صرح باستحبابها وكونها سنة من أصحابنا الرافعى فى أواخر باب أعمال الحج والغزالى فى الإحياء و النووى فى التهذيب والشيخ عز الدين ابن عبد السلام فى مناسـ وأبو عمرو بن الصلاح ، وأبو زكريا النووى رحمهم الله تعالى .

ومن الحنابلة : الشيخ موفق الدين ، والإمام أبو الفرج البغـــدادى وغيرهما .

ومن الحنفية صاحب المختار فى شرح المختار له عقد لها فصلا وعدها من أفضل المندوبات المستحبات .

وأما المالكية فقد حكى القاضى عياض منهم الإجماع على ذلك وفى كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق الصقلى عن الشيخ أبى عمران المالكى ان زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم واجبة ، قال عبد الحق : يعنى من السـنن الواجبة . وفى كلام العبدى المالكى فى شرح الرسالة أن المشى إلى المدينـة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب تقتضى السفر للزيارة لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ومن ضرورتها السفر وأما نفس الزيارة فالأدلة عليها كثيرة منها قوله تعالى « ولو أنهم إذ ظلمـوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

ولاشك أنه صلى الله عليه وسلم حى وأن أعمال أمته معروضة عليـه

Marfat.com

ثم ذكر الشيخ جملة من أحاديث الزيارة . إنتهى من كتاب الصلاة والبشر فى الصلاة على خير البشر تأليف شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى (ص ١٤٧) .

١٣ ــ الامام الشيخ محمد بن علان الصديقى الشافعى شارع الأذكار :

قال معلقا على قول النووى [فإن زيارته أفضل القربات وأنجح المساعى] وكيف لا وقد وعد الزائر بوجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم وهى لا تجب إلا لأهل الإيمان ففى ذلك التبشير بالموت على الإيمان مع ما ينضم إلى ذلك بسماعه صلى الله عليه وسلم سلام الزائر من غير واسطة أخرج أبو الشيخ من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على بعيدا أعلمته قال الحافظ وينظر فى سنده وأخرج أبو داود وغيره عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ما من أحد يسلم علىَّ الا ردَّ الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » ..

قال الحافظ حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقى وغيرهما وأنبئت عن الشيخ السبكى فى شفاء السقام قال اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث فى استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وهو اعتماد صحيح لأن الزائر إذا سلم عليه وقع الرد عليه من قرب وتلك فضيلة مطلوبة ا هـ . أقول ورده عليه كذلك بنفسه ولو لم يكن للزائر من القرى إلا هذا الخطاب لكان فيه الغنى كيف وفيه الشفاعة العظمى ومضاعفة الصلاة فى ذلك الحرم الأسنى وقد أورد جملة من الأحاديث فى ذلك التقى السبكى فى شفاء السقام وابن حجر الهيثمى فى الدر المنظم وتلميذه الفاكهى فى حسن الاستشارة فى آداب الزيارة . ا هـ . من الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (ج ٥ ص ٣١) .

* * *

Marfat.com

الزيارة النبوية السلفية

ومعلوم أن المقصود بالزيارة هو الزيارة الشرعية وهى التى بينت السنة النبوية آدابها وما ينبغى أن يفعله الزائر .

قال الشيخ ابن تيمية مبينا الفرق بين زيارة أهل التوحيد وبين زيارة أهل الشرك : (فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم ، وهو مثل الصلاة على جنائزهم ، وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق بالخالق ، ينذرون له ويسجدون له ويدعونه ويحبونه مثل ما يحبون الخالق . فيكونون قد جعلوه لله ندا وسووه برب العالمين . وقد نهى الله أن يشرك به الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال تعالى (آل عمران آيتى : ٧٩ ـ ٨٠) « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله . ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » . وقال تعالى : (الإسراء آيتى : ٥٦ ، ٥٧) : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً » قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون الأنبياء كالمسيح وعزير ويدعون الملائكة فأخبرهم تعالى أن هؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه بالأعمال (ا هـ . الجواب الباهر فى زوار المقابر لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية ص ٢١) .

قلت : وهل زيارتنا لنبينا صلى الله عليه وسلم إلا على هذا المنهج وبهذا الطريق السوى والصراط المستقيم ؟

فالله يشهد وملائكته وحملة عرشه وأهل السماوات والأرض أننا فى زيارتنا لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نعتقد إلا أنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحى إليه ، من خيار عبيد الله يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ويتقرب إليه بالأعمال بل هو أشد الناس حرصا على ذلك ،

Marfat.com

فهو أتقانا لله وأخوفنا من الله وأعلمنا بالله وأعرفنا به . لا نشبهه بالخالق ولا نندر له ولا نسجد له ولا ندعوه ولا نجعله لله ندا ولا نسويه برب العالمين . ونحبه كما أمر أكثر من النفس والمال والولد .

* * *

الشيخ ابن القيم والزيارة النبوية

وقد ذكر الشيخ ابن القيم فى قصيدته المعروفة بالنونية كيف تكون الزيارة وما هى الآداب المطلوبة فيها وكيف ينبغى أن يكون شعور الزائر وهو واقف أمام المواجهة الشريفة وماذا ينبغى أن يحس به تجاه صاحب القبر ، وذكر فى آخر تلك الأبيات أن الزيارة بهذا الإحساس والشعور وبتلك الكيفية هى من أفضل الأعمال فقال :

فإذا أتينا المسجد النبوى صلـ ينا التحيـة أولا ثنتان
بتمام أركان لهـا وخشوعها وحضور قلب فعل ذى الاحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ قبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل فى السر والاعلان
فكأنه فى القبر حى ناطق فالواقفون نواكس الأذقان
ملكتهم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلم بالسلام بهيبة ووقار ذى علم وذى إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحة كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفا بالقبر أسـ بوعا كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجها لله نحو البيت ذى الأركان
هذى زيارة من غدا متماسكا بشريعة الإسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا رة وهى يوم الحشر فى الميزان

(انظر النونية المشهورة لابن القيم) .

وتدبر قوله رحمه الله (من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة) فقد أعمى الله بصيرة بعض من القراء عن قراءتها فأنكرها .

Marfat.com

القبر النبوى الشريف

إن بعض الناس أصلحهم الله وهداهم إلى الصراط المستقيم ينظر إلى القبر النبوى المكرم من الزوايا القبورية فقط ولهذا فإنه لا غرابة فى كل ما يقع فى ذهنه من تصورات فاسدة ولا غرابة فى كل ما يقع فى قلبه من ظنون سيئة بالمسلمين والزائرين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والقاصدين إليه والداعين عند قبره فتراه يقول : لا تشد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم ولا يجوز الدعاء عند قبره بل قد يصل به العنت إلى أن يقول إن الدعاء عند قبره شرك أو كفر ، وإن استقبال القبر بدعة أو ضلال ، وان إكثار الوقوف والتردد على القبر شرك أو بدعة أو أن من قال إن القبر أفضل البقاع وبما فيها الكعبة فقد أشرك أو ضل . وهذا التكفير والتضليل هكذا بالكيل الجزاف دون تبصر أو تعقل مخالف لما عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

ونحن حينما نتكلم عن القبر أو عن زيارة القبر أو عن تفضيل القبر أو شد الرحال إلى القبر أو دعاء الله وسؤاله أمام القبر فإن المقصود الذى لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان إنما هو ساكن القبر وصاحبه الا وهو سيد المرسلين والآخرين وأفضل مخلوقات الله أجمعين النبى الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وما هى قيمة القبر بدونه بل ما هى قيمة المسجد بدونه بل ما هى قيمة المدينة المنورة بدونه بل ما هى قيمة المسلمين كلهم بدونه فإنهم لولاه ولولا رسالته والإيمان به ومحبته والإقرار بالشهادة التى لا تصح إلا به ما كانوا ولا قاموا ولا فازوا ولا نجوا .

ومن هنا فإن ابن عقيل الحنبلى لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة فقال : إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله لا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح . (كذا فى بدائع الفوائد لابن القيم) .

هذا هو المقصود بالقبر وبتفضيله وزيارته وشد الرحال إليه .

ومن هنا أيضا قال العلماء إنه لا ينبغى أن يقول : زرت القبر وإنما

Marfat.com

زرت النبى صلى الله عليه وسلم [1] وهذا ما قرره العلماء فى تفسير قول الإمام مالك رحمه الله : اكره للرجل أن يقول زرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لأنه إنما يزور من يسمعه ويراه ويحس به ويعرفه ويرد عليه فالقضية ليست قضية قبر بل هى أكبر من ذلك وأجل وأرفع من أن ينظر إليها من الزوايا القبورية فاذا نظرنا إلى القبر فقط دون النظر إلى من فيه وجدنا الأرواح الطاهرة التى تحف به من كل جانب ووجدنا جسرا ملائكيا متصلا مستدا من الملأ الأعلى إلى قبر محمد صلى الله عليه وسلم مواكب متصلة لا تنقطع أعدادها وأمدادها لا يحصيها إلا الحق جل جلاله .

روى الدارمى فى مسنده حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى خالد هو ابن يزيد عن سعيد هو ابن أبى هلال عن نبيه ابن وهب : أن كعبا دخل على عائشة فذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كعب : ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بقبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يزفونه . (اهـ . من مسند الدارمى ج ١ ص ٤٤) .

وإذا نظرنا ما حول القبر من الروضة التى هى قطعة من الجنة والمنبر الذى نال الشرف الأعلى بالحبيب صلى الله عليه وسلم وسيكون يوم القيامة على حوضه العظيم وإلى الجذع الذى حن إليه حنين الشكلى وسيكون يوم القيامة فى جنة الخلد وسط أشجارها وقد قيل إنه دفن فى موضعه بالمسجد فلا أظن أن عاقلا حريصا على الخير يتوقف عن الدعاء فى هذه المواضع .

* * *

القبر النبوى ـ والدعاء

ذكر العلماء رضى الله عنهم أنه يستحب لمن زار النبى صلى الله عليه وسلم أن يقف للدعاء فيسأل الله تعالى ما يشاء من الخير والفضل ولا يلزمه أن

---

(١) انظر الشفا للقاضى عياض .

Marfat.com

يتوجه إلى القبلة ولا يكون فى وقوفه ذلك مبتدعا أو ضالا أو مشركا وقد نص العلماء على هذا الأمر بل قد ذهب بعضهم إلى القول بالاستحباب .

والأصل فى هذا الباب هو ما جاء عن الإمام مالك بن أنس لما ناظره أبو جعفر المنصور فى المسجد النبوى فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » الآية . ومدح قوما فقال « إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله » الآية . وذم قوما فقال « إن الذين ينادونك » الآية . وان حرمته ميتاً كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » الآية .

وهذه القصة رواها القاضى عياض بسنده فى كتابه المعروف بالشفا فى التعريف بحقوق المصطفى فى باب من أبواب الزيارة وقد صرح كثير من العلماء بهذا .

قال الشيخ ابن تيمية قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك : إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده اهـ . من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩٦ .

وصرح النووى رحمه الله فى كتابه المعروف بالأذكار فى أبواب الزيارة وكذلك فى الإيضاح فى باب الزيارة وكذلك فى المجموع (ج ٨ ص ٢٧٢) .

قال الخفاجى شارح الشفا قال السبكى صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتى القبر ويستقبله ويستدبر القبلة ثم يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم على الشيخين ثم يرجع إلى موقفه الأول ويقف فيدعو اهـ . شرح الشفا للخفاجى (ج ٣ ص ٣٩٨) .

* * *

Marfat.com

رأى الشيخ ابن تيمية :

قال الشيخ ابن تيمية بعد نقل أقوال العلماء فى هذا الموضوع [فاتفقوا فى إستقبال القبلة وتنازعوا فى تولية القبر ظهره وقت الدعاء] .

هذه خلاصة ما يراه الشيخ ابن تيمية فى هذا الموضوع وهو يدل دلالة واضحة على أن من وقف أمام القبر يدعو الله تعالى ويسأله من فضله كما شرع هو على أساس متين معتبر مؤيد بأقوال أئمة من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين . ولو تأمل المنصف العاقل قول الشيخ ابن تيمية [وتنازعوا فى تولية القبر ظهره وقت الدعاء] لفهم منها ما يطمئن قلبه ويقر عينه ويبشره بأن هؤلاء الذين يقفون بعد السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم للدعاء عند قبره مازالوا على التوحيد ومن أهل الإيمان ولأن هذه المسألة متنازع فيها بين السلف والكلام مختلف بينهم بين الاستحباب وغيره فهل يصل الحال إلى القول بالشرك والضلال سبحانك هذا بهتان عظيم .

* * *

تحليل كلام الشيخ ابن تيمية :

والمفهوم من كلام الشيخ ابن تيمية هو أن المنهى عنه حقيقة هو تحرى الدعاء عند القبور أو قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هناك أو تستشعر أن الدعاء عند القبر أجوب من غيره أما أن يدعو الله تعالى فى طريقه وينفق أن يمر بالقبور فيدعو عندها أو أن يزور قبرا فيسلم على صاحبه ثم يدعو فى مكانه ذلك فلا يلزمه أن يتحول إلى القبلة ولا يقال فى حقه إنه مشرك أو مبتدع وإليك نصوص كلام الشيخ فى هذا الموضوع . قال فى اقتضاء الصراط المستقيم فى صفحة ٣٣٦ فمما يدخل فى هذا قصد القبور للدعاء عندها أو لها فإن الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدعاء فى البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله تعالى فى طريقه وينفق أن يمر بالقبور أو من يزورها

Marfat.com

فيسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لا بأس به .

الثانى : أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه فى غيره . فهذا النوع منهى عنه : إما نهى تحريم أو تنزيه وهو إلى التحريم أقرب . والفرق بين البابين ظاهر .

ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة يرجو الإجابة بالدعاء فى تلك البقعة لكان هذا من العظائم بل لو قصد بيتا أو حانوتا فى السوق ، أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها يرجو الإجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة إذ ليس للدعاء عندها فضل .

فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو أشد من بعضه لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذها مساجد وعن اتخاذها عيدا وعن الصلاة عندها بخلاف كثير من هذه المواضع .

ثم قال فى صفحة ٣٣٨ إن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هناك رجاء أكثر من رجائها فى غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة من المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء الصالحين المتقدمين .

ثم قال فى صفحة ٣٣٩ ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرون الدعاء عندها أصلا بل كانوا ينهون عن ذلك من يفعله من جهالهم كما ذكرنا بعضه . ا هـ (من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٣٩) .

* * *

رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الدعاء عند القبر
الدعاء عند القبر ليس بدعة ولا شركا

سئل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن قولهم فى الاستسقاء : (لا بأس بالتوسل بالصالحين) وقول أحمد [يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم خاصة] مع قولهم (إنه لا يستغاث بمخلوق) .

Marfat.com

فقال : فالفرق ظاهر جداً وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبى صلى الله عليه وسلم وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور إنه مكروه فلا تنكر على من فعله ولا انكار فى مسائل الاجتهاد لكن انكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات . فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول فى دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه .

[إنتهى من فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب فى مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص ٦٨ التى نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى أسبوع الشيخ عبد الوهاب] .

* * *

القبر النبوى والتبرك بالتمسح به أو بالشباك وتقبيله

اعلم أنه ينبغى للزائر أن لا يقبل القبر الشريف ولا يمسحه بيديه ولا يلصق بطنه وظهره بجداره أو بالحاجز المستور بالكسوة أو الشباك فان كل ذلك مكروه لما فيه من استعمال خلاف الأدب فى حضرته صلى الله عليه وسلم وقصد التبرك لا ينفى الكراهة لأنه جهل بما يليق من الأدب ولا اغترار بما يفعله أكثر العوام فإن الصواب الذى قاله العلماء وأطبقوا على خلافة كما صرح به النووى فى إيضاحه .

وأطال ابن حجر فى المنح والجوهر فى ترجيحه قال فى الإحياء : مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى ا هـ .

وقال الفضل بن عياض رحمه الله ما معناه : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ومن خطر بباله

Marfat.com

أن المسح باليد ونحوه ابلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هى فيما وافق الشرع وكيف ينبغى الفضل فى مخالفة الصواب . اهـ . (من المجموع جـ ٨ ص ٢٧٥) .

راى الامام احمد بن حنبل :

وقد جاءت روايات عن الإمام أحمد فى هذا الموضوع بعضها يفيد جوازَ ذلك وبعضها يفيد التوقف فى الحكم وبعضها يفيد التفريق بين المنبر النبوى وبين القبر وذلك بجوازه الأول والتوقف فى الثانى أو الاباحة ومهما كان ذلك الاختلاف فإنه لا يصل الحال بالحكم على فاعله بالكفر أو الضلال أو الخروج عن الملة أو الابتداع فى الدين غاية ما فى الأمر أنه فعل ما هو مختلف فيه ، أو ما هو مكروه ، والمقصود هو ألا يتخذ ذلك عادة حتى يغتر به العوام ويظنونه من مستلزمات الزيارة وآدابها . وإليك كلام الإمام أحمد :

قال فى خلاصة الوفا ما نصه : وفى كتاب العلل والسؤالات لعبد الله ابن أحمد بن حنبل قال : سألت أبى عن الرجل يمس قبر النبى صلى الله عليه وسلم يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالمنبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، فقال : لا بأس به .

قال أبو بكر الأثرم : قلت لأبى عبد الله ــ يعنى أحمد بن حنبل قبر النبى صلى الله عليه وسلم يمس ويتمسح به ؟ فقال : ما أعرف هذا ، قلت له : فالمنبر ؟ فقال : أما المنبر فنعم ، فقد جاء فيه . قال أبو عبد الله : شىء يروونه عن ابن فديك عن أبى ذئب عن ابن عمر [أنه مسح على المنبر] قال : ويروونه عن سعيد ابن المسيب فى الرمانة . قلت : ويروون عن يحيى ابن سعيد : أنه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسنه . ثم قال : لعله عند الضرورة والشىء قيل لأبى عبد الله إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون . فقال أبو عبد الله : نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل . ثم قال أبو عبد الله : بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم .

Marfat.com

قال الشيخ ابن تيمية :

فقد رخص أحمد وغيره فى التمسيح بالمنبر والرمانة التى هى موضع مقعد النبى صلى الله عليه وسلم ويده ولم يرخصوا فى التمسح بقبره ــ وقد حكى بعض أصحابنا رواية فى مسح قبره لأن أحمد شيع بعض الموتى فوضع يده على قبره يدعو له والفرق بين الموضعين ظاهر ــ اهـ . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٦٧) .

* * *

القبر النبوى محفوظ من الشرك والوثنية

وقد حفظ الله تعالى هذا القبر المشرف بالحبيب الأعظم والنبى الأكرم صلى الله عليه وسلم فلا يقع عنده شرك ولا شىء من أنواع العبادة التى لا يجوز صرفها إلا لله ولا يقع فى ذهن أحد أنه وثن يعبد أو قبلة يتوجه إليها بالعبادة وذلك ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا بذلك فاستجاب الله دعاءه وحقق مطلوبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية و فى موطأ مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » ..

وقد استجاب الله دعوته فلم يتخذ ــ ولله الحمد ــ وثنا كما اتخذ قبر غيره ، بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلى حجرته بعد أن بنيت الحجرة . وقبل ذلك ما كانوا يمكنون أحدا من أن يدخل إليه ليدعو عنده ، ولا يصلى عنده ولا غير ذلك مما يفعل عند قبر غيره لكن من الجهال من يصلى إلى حجرته أو يرفع صوته أو يتكلم بكلام منهى عنه . وهذا إنما يفعل خارجا عن حجرته لا عند قبره وإلا فهو ولله الحمد استجاب الله دعوته فلم يمكن أحد قط أن يدخل إلى قبره فيصلى عنده أو يدعو أو يشرك به كما فعل بغيره اتخذ قبره وثنا ، فإنه فى حياة عائشة رضى الله عنها ما كان أحد يدخل إلا لأجلها ولم تكن تمكن أحدا أن يفعل عند قبره شيئا مما نهى عنه ، وبعدها

Marfat.com

كانت مغلقة إلى أن أدخلت فى المسجد فسد بابها وبنى عليها حائط آخر ـ كل ذلك صيانة له أن يتخذ بيته عيداً وقبره وثناً . وإلا فمعلوم أن أهل المدينة كلهم مسلمون ولا يأتى إلى ما هناك إلا مسلم وكلهم معظمون للرسول صلى الله عليه وسلم وقبور أحاد أمته فى البلاد معظمة . فما فعلوا ذلك ليستهان بالقبر المكرم ، بل فعلوه لئلا يتخذ وثنا يعبد ، ولا يتخذ بيته عيدا ، ولئلا يفعل به كما فعل أهل الكتاب بقبور أنبيائهم والقبر المكرم فى الحجرة إنما عليه بطحاء وهو الرمل الغليظ ليس عليه حجارة ولا خشب ، ولا هو مطين كما فعل بقبور غيره وهو صلى الله عليه وسلم إنما نهى عن ذلك سدا للذريعة ، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها لئلا يفضى ذلك إلى الشرك . ودعا الله عز وجل أن لا يتخذ قبره وثنا يعبد فاستجاب الله دعاءه صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن مثل الذين اتخذت قبورهم مساجد فإن أحداً لا يدخل عند قبره البتة . فإن من كان قبله من الأنبياء إذا ابتدع أممهم بدعة بعث الله نبيا ينهى عنها وهو صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبى بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وعصم قبره المكرم أن يتخذ وثنا فإن ذلك والعياذ بالله لو فعل لم يكن بعده نبى ينهى عن ذلك وكان الذين يفعلون ذلك قد غلبوا الأمة وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة فلم يكن لأهل البدع سبيل أن يفعلوا بقبره المكرم كما فعل بقبور غيره صلى الله عليه وسلم . اهـ (من الجواب الباهر فى زوار المقابر . ص ١٣ للشيخ ابن تيمية) .

* * *

Marfat.com

التردد على الآثار النبوية والمشاهد الدينية والتبرك بزيارتها

كتب فى هذا الموضوع الشيخ ابن تيمية كلاما نفيسا جدا ونحن ننقل منه هذه الفوائد المهمة .

فأما مقامات الأنبياء والصالحين وهى الأمكنة التى قاموا عليها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه وتعالى فيها لكنهم لم يتخذوها مساجد .

فالذى بلغنى فى ذلك قولان عن العلماء المشهورين :

أحدهما : النهى عن ذلك وكراهته وأنه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع مثل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قصدها للعبادة كما قصد الصلاة فى مقام إبراهيم وكما كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة .

وكما يقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف الأول ونحو ذلك .

والقول الثانى : أنه لا بأس باليسير من ذلك كما نقل عن ابن عمر [أنه كان يتحرى قصد المواضع التى سلكها النبى وإن كان النبى قد سلكها اتفاقا لا قصدا] .

قال سندى الخواتيمى : سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتى هذه المشاهد يذهب اليها نرى ذلك ؟ قال : أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أن يصلى فى بيته حتى يتخذ ذلك مصلى ، وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتتبع مواضع النبى صلى الله عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس أن يأتى الرجل المشاهد إلا أن الناس قد أفرطوا فى هذا وأكثروا فيه .

وكذلك نقل عنه أحمد بن القاسم : أنه سئل عن الرجل يأتى هذه المشاهد التى بالمدينة وغيرها يذهب إليها ؟ فقال : أما على حديث ابن أم مكتوم (أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أن يأتيه فيصلى فى بيته حتى يتخذه

Marfat.com

مسجدا) أو على ما كان يفعل ابن عمر : كان يتتبع مواضع سير النبى صلى الله عليه وسلم حتى انه رؤى يصب فى موضع ماء ، فسئل عن ذلك فقال (كان النبى صلى الله عليه وسلم يصب هاهنا ماء) قال أما على هذا فلا بأس. قال ورخص فيه ثم قال : ولكن قد أفرط الناس جدا وأكثروا فى هذا المعنى فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده . رواهما الخلال فى كتاب الأدب .

قال الشيخ ابن تيمية :

فقد فصل أبو عبد الله فى المشاهد وهى الأمكنة التى فيها آثار الأنبياء والصالحين من غير أن تكون مساجد لهم كمواضع بالمدينة بين القليل الذى لا يتخذونه عيدا والكثير الذى يتخذونه عيدا كما تقدم .

وهذا التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة ، فإنه قد روى البخارى فى صحيحه عن موسى بن عقبة قال : رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق ويصلى فيها ، ويحدث أن أباه كان يصلى فيها وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى تلك الأمكنة قال موسى : وحدثنى نافع أن ابن عمر كان يصلى فى تلك الأمكنة] .

فهذا ما رخص فيه أحمد رضى الله عنه .

وأما ما كرهه فروى سعيد بن منصور فى سننه حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر رضى الله عنه قال : (خرجنا معه فى حجة حجها فقرأ بنا فى الفجر بـ « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » و « لإ يلاف قريش » فى الثانية ، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال : ما هذا ؟ قالوا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« هكذا هلك اهل الكتاب قبلكم : اتخذوا آثار انبيائهم بيعا من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض » ..

فقد كره عمر رضى الله عنه اتخاذ مصلى النبى صلى الله عليه وسلم عيدا وبين أن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل هذا .

Marfat.com

قال الشيخ ابن تيمية : قد اختلف العلماء رضى الله عنهم فى إتيان المشاهد .

فقال محمد بن وضاح : كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التى بالمدينة ماعدا قبا وأحدا ودخل سفيان الثورى بيت المقدس وصلى فيه ولم يتتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها .

فهؤلاء كرهوها مطلقا لحديث عمر رضى الله عنه هذا ولأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر إذ هو ذريعة إلى اتخاذها أعيادا وإلى التشبه بأهل الكتاب ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحدا منهم كان يتحرى قصد الأمكنة التى نزلها النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : واستحب آخرون من العلماء المتأخرين إتيانها وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم فى المناسك استحباب زيارة هذه المشاهد وعدوا منها مواضع وسموها .

وأما أحمد : فرخص منها فيما جاء به الأثر من ذلك إلا إذا اتخذت عيدا مثل أن تنتاب لذلك ويجتمع عندها فى وقت معلوم كما يرخص فى صلاة النساء فى المساجد جماعات وإن كانت بيوتهن خيراً لهن إلا إذا تبرجن وجمع بذلك بين الأثار واحتج بحديث ابن أم مكتوم . اهـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٣٨٧) .

والحاصل الظاهر من كلام الإمام أحمد أنه يجيز التردد على الآثار والمشاهد والأماكن المنسوبة إلى الأنبياء والصالحين ويرى أن تتبع ذلك والاعتناء به له أصل فى السنة النبرية وهو ليس ببدعة ولا ضلالة فضلا عن أن يكون شركا أو كفرا لكنه انتقد الإفراط فى ذلك والاشتغال به بصورة زائدة .

هذه خلاصة رأيه رضى الله تعالى عنه .

أما الشيخ ابن تيمية فقد فهم من كلام أحمد التفصيل فى هذا الأمر بين القليل والكثير وفهم أن الكثير من ذلك هو المكروه عند أحمد وحكم عليه

Marfat.com

بأنه مكروه فقط ولم يزد على القول بالكراهة شيئا وقد بين ابن تيمية القدر الكثير الذى يصير به هذا التردد والتتبع للآثار النبوية مكروها وهو أن تتخذ تلك الأماكن والآثار عيدا يجتمعون عليه عنـــدها ويحتفلون بهـــا فى أوقات مخصوصة .

ويفهم من كلام الشيخ ابن تيمية أيضا أن الآثار والمشاهد التى ثبت أن الأنبياء إتخذوها مسجدا او صلوا فيها فإنها خارجة عن هذا التفصيل وينبنى عليه أن الأماكن والآثار التى ثبت أن الأنبياء صلوا فيها لها ميزة على غيرها وأنها تقصد للعبادة والصلاة . وهـــذا صريح كلامه حين قال فى أول المبحث [لكنهم لم يتخذوها مساجد] وحين قال : (فقـــد فصـــل أبو عبد الله فى المشاهد وهى الأمكنة التى فيها آثار الأنبياء والصالحين من غير أن تكـــون مساجد لهم كسوانع بالمدينة بين التليل الذى لا يتخذونه عيدا والكثير الذى يتخذونه عيدا كما تقدم) . اهـ . (من اقتضاء الصراط ص ٣٨٥) .

معنى العيد المنهى عنه فى الحديث :

وقد حدد الشيخ ابن تيمية معنى العيد المنهى عنه فى الحديث بقـــوله صلى الله عليه وسلم :

« لا تتخذوا قبرى عيدا » ..

فقال :

وفى الجملة هذا الذى يفعل عند هذه القبور هو بعينه الذى نهى عنـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« لا تتخذوا قبرى عيدا » ..

فإن اعتياد قصد المكان المعين فى وقت معين عائدا بعود السنة أو الشهر، أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد ثم ينهى عن دق ذلك وجله وهذا هو الذى تقدم عن الإمام أحمد انكاره قال : وقد أفرط الناس فى هذا جدا وأكثروا ، وذكر ما يفعل عند قبر الحسين

وقال فى موضع آخر فأما إتخاذ قبورهم أعيادا فهو مما حرمه الله ورسوله واعتياد قصد هذه القبور فى وقت معين والاجتماع العام عندها فى وقت معين

Marfat.com

هو اتخاذها عيدا كما تقدم ولا أعلم بين المسلمين من أهل العلم فى ذلك خلافا ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة ، فان هذا من التشبه بأهل الكتابين الذى أخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم انه كائن فى هذه الأمة . اهـ اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧٧) .

عقيـدة المؤلف :

وهذاالذى ذكره الشيخ ابن تيمية هو عين ما نعتقده فى هذا الموضـوع بفضل الله سبحانه وتعالى وهو ما ندعو إليه ونحث الناس عليه فى كل مجال وفى كل مناسبة إننا ننهاهم أن يتخذوا قبر النبى صلى الله عليه وسلم أو الآثار والمشاهد عيدا وننهاهم أن يخصوها بشىء من أنواع العبادات التى لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى وننهاهم أن يخصصوا لها يوما يجتمعون فيـ ويحتفلون به . هذا ما نعتقده وندين الله به لا من اليوم ولا من الأمس بل خلف عن سلف وأبناء عن آباء ــ بفضل الله سبحانه وتعالى .

فالواجب علينا أن نلاحظ بعين الاعتبار هذه الأقوال والتحليلات العلمية الدقيقة التى تدل على حسن الفهم فى تذوق العلم وأن لا نبادر إلى تكفير المسلمين أو الحكم عليهم بالضلال والبدعة لمجرد تتبعهـم للآثار النبـوية واهتمامهم بالمقامات والمشاهد والأماكن المنسوبة إلى الأنبياء والصـالحين وأن نحسن الظن بهم وأن نعلم أن المقصود الأصلى هو الله سبحانه وتعالى وهذه كلها أسباب ووسائل تزيد فى النفس الإيمـان والاعتبـار والادكار والارتباط بأصحابها وتاريخهم وهم القدوة الحسنة للبشر مع ما فى ذلك من التعرض للنفحات والبركات المتنزلة فى أماكن الخير ومواطـن الهـدى لأن الأماكن التى كانت معمورة بأهل الخير والصلاح لا تزال هى محل الرضا والرضوان والأماكن التى كانت معمورة بأهل الشر والفسـاد هى محـل السخط والغضب ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يدخلوا ديار ثمود إلا وهم باكون وأن لا يشربوا من مائها بل أمرهم أن يهريقوا ما أخذوه وأن لا يأكلوا ما طبخوه بها وكذلك أمرهم بالاسراع فى المشى إذا دخلوا وادى محسر المعروف بوادى النار .

وقد فصلنا هذا الموضوع بعينه فى مبحث خاص : بالتبرك بالآثار النبوية.

* * *

Marfat.com

الاعتناء بالآثار والمشاهد

المحافظة على الآثار النبوية أصل عظيم وتراث كريم وتاريخ ، إنه تاريخ الأمة الذى تفخر به والذى يظهر به شرفها وشرف رجالها وأئمتها الذين بنوا مجدها وأقاموا عزها وصنعوا منها أمة قائدة رائدة فى كل مجال ولذلك فإن إهمال هذه الآثار إهدار لشواهد الحضارة الإسلامية الواقعية ومسخ لأصول طبيعية باقية من تراثنا الإسلامى وجناية على أعز ما تملكه الأمة فى هذا المجال إنه هو وصمة فى الجبين وقذاة فى العين يعكر صفو الرؤية ويشوه الصورة وينوت علينا خيرا عظيما لا يعوض ولا يدرك لأنه ستتغير معالمه وتنطمس رسومه ثم لا يبقى منه شىء ثم لا يبقى من يعرف منه شيئاً .

فإن قيل إن بعض الناس يتخذها عيدا ويشرك بالله عندها بعبادتها دون الله أو بالطواف حولها وربط الحبال وإلقاء الأوراق أو الذبح لها .

فنقول : إن ذلك كله لا نرضاه ولا نوافق عليه بل وننهى عنه ونحذر الناس منه وهو من الجهل الذى يجب محاربته لأن هؤلاء يؤمنون بالله ويقرون له بالتوحيد ويشهدون أنه لا إله إلا هو ولكنهم يخطئون العمل ويجهلون الصواب فالواجب تعليمهم وإرشادهم ولكن ذلك كله لا يدعو إلى إهمالها أو إزالتها ومحوها من الوجود والاعتذار بتلك الحجج اعتذار بارد وتعليل عليل ليس بمقبول عند العلماء والعقلاء إذ يمكن إزالة تلك العوارض إذا وجدت بالمنع والمراقبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والخلق الحسن مع بقاء آثارنا والمحافظة عليها والاعتناء بها حفظا لأصالة الأمة ووفاء للتاريخ وأداء للأمانة التى فى أعناقنا والتى هى جزء أصيل من تاريخنا المجيد وتاريخ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .والمفكرون اليوم يحافظون على آثار بائدة لأمم ملعونة مسخوطة معذبة ممن سبقنا كقوم ثمود وعاد فهل يصح أن نحافظ على تلك الآثار ونعتنى بها ونجاهد فى سبيل بقائها ونضيع آثار أشرف خلق الله الذى تشرفت به البلاد والعباد وأعز الله به الأمة ورفعها وجعل لها المكانة العالية والرتبة السامية التى ما نالها نائل ولا وصل إليها واصل إلا بسبب الانتماء إلى الحظ السعيد والمجد التليد محمد بن عبد الله ..

Marfat.com

اعتناء القرآن بآثار الأنبياء السابقين :

ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز قصة تابوت بنى إسرائيل الذى جعله علامة على صحة ملك طالوت عليهم فقال :

« وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .

هذا التابوت شأنه عظيم ومقامه كريم وكان عندهم يقدمونه بين أيديهم فى حروبهم فيحصل لهم النصر ببركة التوسل إلى الله تعالى به وبما فيه فلا يقاتلون أجدا من أعدائهم إلا ويكون معهم هذا التابوت . وقد أخبر الله تعالى فى الآية عن محتوياته بانه فيه سكينة إلهية وآثار نبوية وهى التى دال عنها « وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة » وهذه البقية من تركة آل هارون هى عصا موسى وعصا هارون وثيابه والنعلان ولوحان من التوراة . (كذا فى تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٣) وفيه أيضا طست من ذهب كان يغسل فيه،صدور الأنبياء . انتهى من البداية والنهاية (ج ٢ ص ٨) .

وبسبب هذه الآثار العظيمة المنسوبة إلى أولئك المصطفين الأخيار من عباد الله عظم الله قدر هذا التابوت ورفع شأنه وحفظه ورعاه برعايته الخاصة لما غلبوا بسبب معاصيهم ومخالفتهم إذ لم تتحقق أهليتهم للاحتفاظ به فعاقبهم الله تعالى بأخذه وسلبه منهم ثم حفظه الله تعالى ثم رده إليهم ليكون علامة على صحة ملك طالوت عليهم وقد رده إليهم بالتعزيز والتكريم والتقدير إذ جاءت به الملائكة تحمله إليهم .

فأى عناية أعظم من هذه العناية بالآثار والاهتمام بها والمحافظة عليها وتنبيه العقول والأفهام إلى أهمية ذلك الأمر وجلالته وقيمته التاريخية والدينية والحضارية .

* * *

Marfat.com

محافظة الخلفاء الراشدين على خاتم النبى ﷺ

روى الإمام البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً من ورق وكان فى يده ثم كان بعد فى يد أبى بكرثم كان بعد فى يد عمر ثم كان بعد فى يد عثمان حتى وقع بعد فى بئر أريس نقشه محمد رسول الله .

رواه البخارى فى الصحيح فى كتاب اللباس باب خاتم الفضة ـ قال الحافظ ابن حجر جاء فى رواية النسائى أنه التمس فلم يوجد وجاء فى رواية ابن سعد أنه كان فى يد عثمان ست سنين (اهـ . فتح البارى ج ١٠ ص ٣١٣) .

قال العينى وبئر أريس حديقة بقرب مسجد قباء . (اهـ . عمدة القارى ج ٢٢ ص ٣١) قلت وهذه البئر صارت معروفة اليوم ببئر الخاتم وهو خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى سقط فيها أيام خلافة عثمان وقد اجتهد ثلاثة أيام فى استخراجه بكل ما وجد سبيلا فلم يلقه . (انظر المغانم المطابة فى معالم طابة للفيروزبادى ص ٢٦) .

* * *

محافظة الخلفاء الراشدين على حربة كانت عند النبى ﷺ

روى الإمام البخارى بسنده إلى الزبير رضى الله تعالى قال : لقيت يوم بد، عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه وهو يكنى أبا ذات الكرش فقال أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته فى عينه فمات ، قال هشام فأخبرت أن الزبير قال لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها قال عروة فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها فلما قتل عثمان وقعت عند آل علىؓ فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل

Marfat.com

رواه البخارى فى كتاب المغازى باب شهود الملائكة بدراً وقوله فحملت عليه بالعنزة ـ العنزة بفتح النون هى كالحربة وقال بعضهم : هى شبه العكاز .

وحاصل القصة هو أن الزبير قتل عبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر طعنه فى عينيه بالعنزة فمات ثم طلب النبى صلى الله عليه وسلم منه تلك العنزة عارية فأعطاه فلما قبض صلى الله عليه وسلم أخذها الزبير ثم طلبها أبو بكر من الزبير عارية فأعطاه وبقيت عنده إلى أن مات ثم رجعت إلى الزبير صاحبها الأول ثم طلبها عمر من الزبير فأعطاه وبقيت عنده مدة حياته ثم رجعت إلى الزبير صاحبها الأول ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياه فلما قتل عثمان وقعت عند علىٍّ فطلبها الزبير صاحبها الأول فكانت عنده حتى قتل .

(انظر الفتح جـ ٧ ص ٣١٤ وعمدة القارى جـ ١٧ ص ١٠٧)

ونحن نتساءل لماذا هذا الحرص العظيم والإهتمام بهذه الحربة والحراب كثيرة ولعل هناك ما هو أحسن منها وأجود وممن هذا الحرص ؟ إنه من الخلفاء الأربعة الراشدين المهتدين أئمة الدين وأركان التوحيد وأمناء الدين .

* * *

محافظة عمر بن الخطاب على ميزاب العباس لأنه وضعه ﷺ

عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان للعباس ميزاب على طريق عمر ـ رضى الله عنه ـ فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان . فلما وافى الميزاب صب فيه من دم الفرخين فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ولبس غيرها . ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس فقال : والله إنه الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر للعباس : عزمت عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس . كذا فى الكنز (جـ ٧ ص ٦٦) .

Marfat.com

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة فى كتابه المغنى

فصل ، ولا يجوز إخراج الميازيب إلى الطريق الأعظم ولا يجوز إخراجهما إلى درب نافذ إلا بإذن أهله .

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى يجوز إخراجهما إلى الطريق لأن عمر ـ رضى الله عنه ـ اجتاز على دار العباس وقد نصب ميزابا إلى الطريق فقلعه فقال العباس : تقلعه وقد نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ؟ فقال : والله لا نصبته إلا على ظهرى وانحنى حتى صعد على ظهره فنصبه . اهـ . من المغنى لابن قدامة (جـ ٤ ص ٥٥٤) .

ابن عمر لم يكن وحده مع الآثار :

اشتهر ابن عمر رضى الله عنه بتتبعه للآثار واعتنائه بها ومحافظته عليها قال الشيخ ابن تيمية سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الرجل يأتى هذه المشاهد فأجاب وذكر فى جوابه أن ابن عمر كان يتتبع مواضع سير النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنه رؤى يصب فى موضع ماء فسئل عن ذلك فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصب ها هنا ماء .

وروى البخارى فى صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سالم ابن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق ويصلى فيها ويحدث أن أباه كان يصلى فيها وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى تلك الأمكنة قال موسى وحدثنى نافع أن ابن عمر كان يصلى فى تلك الأمكنة . اهـ . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٨٥) .

ولكن لم ينفرد ابن عمر بهذا الأمر بل شاركه كثير من الصحابة رضى الله عنهم فى التتبع للآثار والمحافظة عليها والاهتمام بها وقد ذكرنا ما يؤيد هذا من قبل من فعل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين

الذين جعل النبى صلى الله عليه وسلم فعلهم سنة متبعة مستمدة من سنته وهديه وأمر بالتمسك بها والرجوع إليها ومعلوم أن سنتهم هى سنته لأنهم

Marfat.com

لا كلام لهم ولا اجتهاد ولا نظر أمام كلامه الذى صح وثبت عنه صلى الله عليه وسلم وذكرنا فى مبحث التبرك بالآثار جملة صالحة من النصوص التى لها اتصال وثيق بهذا المبحث وبها ينجلى ويتضح كيف كان الصحابة رضى الله عنهم يتبركون بأثاره وفيهم ابن عمر وغيره . والحق أن هذا البحث وذاك متصلان ونابعان من أصل واحد لأن التبرك بالآثار هو فرع المحافظة عليها والاعتناء بها إلا أن الثانية ألصق بالتاريخ والحضارة الاجتماعية والأولى أنسب للإيمان والمحبة والتعلق .

* * *

غيرة عمر على الآثار النبوية

ولقد كان سيدنا عمر رضى الله عنه شديد الغيرة على الآثار النبوية عظيم العناية بها والحماية لها ولذلك لما رأى الناس مجتمعين على شجرة زعموا أنها شجرة الرضوان التى حصلت عندها بيعة الرضوان وذكرها الله تعالى فى كتابه بقوله « لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة » إذ كان رضى الله عنه يعرف حق المعرفة ان الشجرة غير معروفة ولا أحد يعلم مكانها فضلا عن عينها وأن أصحابها الذين حضروها وشهدوها وبايعوا تحتها هم بأنفسهم لا يعرفونها فكيف بغيرهم بل قد صرحوا بذلك كما جاء فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما إنه جاء فى العام التالى لعام بيعة الرضوان قال فبحثنا عن الشجرة فلم يقع عليها رجلان .

قال المسيب والد سعيد لقد رأيت الشجرة ثم أنسيتها بعد فلم أعرفها وقول طارق بن عبد الرحمن : طلعت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال حدثنى أبى أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم وفى رواية أنه قال : فعميت علينا ــ انظر صحيح البخارى كتاب المغازى ــ باب غزوة الحديبية . وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب استحباب متابعة الإمام .

Marfat.com

أى لم يتفق رأى رجلين على شجرة واحدة بالتعيين فاذا كان هـذا فى خلال سنة واحدة فى عهد واحد ومع توافر وجود أصحاب الرضوان الذين حضروا عندها وبايعوا تحتها فما بالك بشجرة ظهرت فى زمن عمر بعد سنوات عديدة .

اختلف العهد ومات أكثر من حضر الموقف ..

فعمر رضى الله عنه لم يقطعها ليمنع التبرك بالآثار أو لأنه لا يرى ذلك ولم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلا ولم يخطر على باله أبدا بدليل أنه رضى الله عنه ثبت عنه التبرك وطلب التبرك بالآثار ونحوها كطلبه من أبى بكر العنزة التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحافظته على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعار تلك العنزة من الزبير كما فى البخارى فى باب شهود الملائكة بدرا من كتاب المغازى . وفى نسخة القسطلانى (جـ ٦ ص ٢٦٤) .

* * *

الاهتمام بالنعال النبوية والقيام بدراسة علمية لها :

ومن الآثار النبوية التى نالت اهتمام العلماء وعنايتهم النعال النبوية بل حظيت بدراسة عميقة ودقيقة عن صفتها ومثالها ولونها . فكتبوا عنها البحوث المتخصصة وألفوا فيها الرسائل المستقلة .

والمقصود من ذلك كله هو صاحب النعال . الا وهو النبى الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم .

وإذا كنا نهتم بآثار العظماء وملابسهم وثيابهم ومتاعهم ونبذل فى تحصيلها الغالى والرخيص ونقيم لها المتاحف الخاصة والخبراء المتخصصين فإنه صلى الله عليه وسلم نفسى له الفداء أولى وأحق . فلو بذلت المهج وحر الأموال فى سبيل ذلك لكان رخيصا لأجله صلى الله عليه وسلم .

* * *

Marfat.com

اهتمام المملكة بالآثار

ولقد وفق الله حكومتنا السنية إلى العناية بالآثار عناية عظيمة ؟ حرصاً على تراثنا المجيد ، وحفظا لمعالم الحضارة الإسلامية التاريخية ، فجعلت لهـا دائرة خاصة تعتنى وتهتم بها تسمى (إدارة الآثار) وأصـدرت لها نظاماً خاصاً معتمداً بالمرسوم الملكى رقم م / ٢٦ / وتاريخ ٢٣ / ١٣٩٦ هـ [١] .

وانشأت مجلسا خاصا للنظر فيما يتعلق بهذا الموضوع يسمى (المجلس الأعلى للآثـار) وصـدر قـرار مجلس الوزراء رقـم ٢٣٥ وتاريخ ١٣٩٨/٢/٢١ هـ . بتكوين أعضائه برئاسة وزير المعارف وعضوية مندوبين عن الداخلية والمالية والحج والأوقاف والإعلام والآثار .

وبين النظام أن الهدف من إنشاء المجلس الأعلى للآثار هو تجميع أكبر قدر من الخبرات لضمان وصول دائرة الآثار إلى غايتها المرجوة .

المحافظة على الآثار :

جاء فى المادة (٦) من النظام : تتولى دائرة الآثار . بالتعاون مع الأجهزة الأخرى فى الدولة ـ كل فى اختصاصه ـ المحافظة على الآثار والمواقع الأثرية كما تتولى تقرير أثرية الأشياء والمبانى التاريخية والمواقع وما يجب تسجيله من آثار ويعنى تسجيل أثر ما إقرار الدولة بأهميته التاريخية أو الفنية وعملها على صيانته ودراسته وإظهاره بالمظهر اللائق وفقا لأحكام هذا النظام .

* * *

المساجد وأماكن العبادة من أهم الآثار

وجاء فى المـادة (٧) : الآثار نوعان : آثار ثابتـة وآثار منقـولة :

(أ) الآثار الثابتة هى الآثار المتصلة بالأرض مثل الكهوف الطبيعيـة أو المحفورة التى كانت مخصصة لحاجات الإنسان القديم والصخور التى

---

(١) انظر المذكرة الخاصة بنظام الآثار الصادرة من وزارة المالية والاقتصاد الوطنى سـنة ١٣٩٩ .

Marfat.com

رسم أو حفر عليها الإنسان صورا أو نقوشا أو كتابات وكذلك أطلال المدن والمنشآت المطمورة فى بطون التلال المتراكمة والأبنية التاريخيه المنشأة لغايات مختلفة كالمساجد وأماكن العبادة الأخرى والقصور والبيوت فى المشاف والقلاع والحصون والأسوار والملاعب والحمامات والمدافن والقنوات المشيدة والسدود وأطلال تلك المبانى وما تصل بها كالأبواب والنوافذ والأعمدة والشرفات والسلالم والسقوف والأفاريز والتيجان وما شابه ذلك .

(ب) الآثار المنقولة هى التى صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الأرض أو عن المبانى التاريخية والتى يمكن تغيير مكانها كالمنحوتات والمسكوكات والمنقوش والمخطوطات والمنسوجات والمصنوعات مهما كانت مادتها والغرض من صنعها ووجوه استعمالها .

الآثار ومشاريع الهدم والتخطيط :

جاء فى النظام : التحذير من تغيير الآثار سواء من الأهالى أم من تخطيط المدن تقول المادة (١١) يحظر اتلاف الآثار المنقولة أو الثابتة أو تحويرها أو إلحاق الضرر بها أو تشويهها بالكتابة والنقش عليها أو تغيير معالمهما كما يحظر على الأهالى إلصاق الاعلانات أو وضع اللافتات فى المناطق الأثرية وعلى الأبنية التاريخية المسجلة .

وتقول المادة (١٢) يتعين عند وضع مشروعات تخطيط المدن والقرى أو توسيعها أو تجميلها المحافظة على المناطق والمعالم الأثرية فيها . ولا يجوز إقرار مشروعات التخطيط التى يوجد فى نطاقها آثار ، إلا بعد أخذ موافقة دائرة الآثار عليها . وعلى دائرة الآثار تحديد الأماكن التى يوجد فيها معالم أثرية وإحاطة جهاز تخطيط المدن علما بذلك .

ومعلوم أن الآثار التى نص النظام على أن منها المساجد وأماكن العبادة تشمل بالدرجة الأولى الآثار الدينية المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم أو أصحابه الكرام بل هذه هى الآثار التى تستحق التكريم والتقديم ، وهى التى يفتخر بها المؤمن ويعتز ، وهى التى تذكر الأبناء بالآباء والخلف بالسلف

Marfat.com

وقد أراد بعض المفتنين تغيير وضع الحجرة النبوية بإخراج القبر الشريف المكرم من المسجد فلما سمع بذلك المرحوم الملك خالد بن عبد العزيز غضب غضباً شديداً وثارت فيه الحمية الدينية وتكلم كلاما رادعاً لصاحب ذلك الاقتراح الأثيم سمعه من كان حاضراً فى المجلس ولعل بعضهم لازال على قيد الحياة . رحمه الله ذلك الملك الصالح وجعل موقفه هذا ذخيرة له عند الله ويدا بيضاء عند رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ينال به إن شاء الله شفاعته يوم القيامة .

وبارك فى خليفته الملك فهد ونصر به الدين وحفظ به الديار والآثار والعباد والبلاد آمين يا رب العالمين .

* * *

Marfat.com

المحافظة على الآثار النبوية من رسالة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز

وهنا موقف عظيم يستحق التسجيل للامانة والتاريخ وهو ان جلالة الملك فهدين عبد العزيز لما اطلع على المخططات المرسومة لبناء توسعة مسجد قباء ورأى ان معالم المسجد الحالى القديمة ستزول داخل التوسعة الجديدة، أمر جلالته حفظه الله بإلغاء المخطط الموضوع واعداد مخطط جديد يبقى على المنبر والمجراب . والمعالم القديمة بحيث تمتد التوسعة من جانبى المسجد ومن خلفه ليتعرف المسلمون جيلا بعد جيل على الأماكن الأصلية والآثار النبوية الشريفة .وقال جلالته : من الخير أن تزيد فى مساجد الله ولا تزيل . وكان لهذه اللفتة السامية الكريمة من جلالته أعمق الأثر فى نفوسنا بما فيها من دلالة الحفاظ على معالم ــ التراث الإسلامى وتخليده .

وقد نشرت الجرائد السعودية بالتفصيل هذه المقابلة . والحديث فى الاعداد الصادرة يوم السبت ١٧ صفر ١٤٠٥ هـ مثل جريدة « المدينة » و « الندوة » .

* * *

Marfat.com

مفهـــوم الاجتـــماع

جرت عادتنا أن نجتمع لإحياء جملة من المناســبات التاريخيــة كالمولد النبوى وذكرى الاسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان والهجرة النبوية وذكرى نزول القرآن وذكرى غزوة بدر وفى اعتبارنا أن هذا الأمر عــادى لا صلة له بالدين فلا يوصف بأنه مشروع أو سنة كما أنه ليس معارضا لأصل من أصول الدين لأن الخطر هو فى اعتقــاد مشروعيــة شىء ليس بمشروع وعندى أن أمثال هذه الأمور العادية العرفية لا يقال فيها أكثر من أنهــا محبوبة للشارع أو مبغوضة وأظن أن هذا القدر متفق عليه . ويدعى البعض أن هذه المناسبات التى يجتمع الناس لإحيائها ينقصها التوقيت المضــبوط المتفق عليه فيقول إن الناس تعودوا أن يجتمعوا ليلة السابع والعشرين لإحياء ذكرى الاسراء والمعراج ، وأن يجتمعوا ليلة الاثنى عشر من ربيع الأول لإحياء ذكرى المولد النبوى مع أن العلماء اختلفوا فى تعيين وقت هاتين الحادثتين بالضبط وأنا أقول ان عدم الاتفاق على تعيين الوقت لا يؤثر لأننا لا نعتقد مشروعية تحديد الاجتماع بوقت مخصوص بل الأمر عادى كما أسلفنا والذى يهمنا هو اغتنام فرصة الاجتماع وكسب ذلك لتوجيهه إلى الخير فهذه الليلة قد اجتمع الناس فيها بشكل فظيع وعظيم وسواء أخطأوا التوقيت أم أصابوا فإن مجرد اجتماعهم هذا على ذكر الله ومحبة رسول الله كاف فى استجلاب رحمة الله وفضله .

انى اعتقد تمام الاعتقاد أن اجتماع هؤلاء الناس مادام أنه لله وفى الله فإنه مقبول عند الله ولو أخطــأوا فى التوقيت وأضرب لذلك مثــلا لتقريب القضية للأذهان برجل دعا إلى وليمة فى يوم معين فجاء بعض المدعوين فى غير وقت الدعوة ظنا منهم أنه هو الوقت فهل ترى أن صاحب الوليمــة يطردهم ويردهم بجفوة وغلظة ويصد عنهم ويقول لهم ارجعوا وانصرفوا عنى فليس هذا هو وقت الوليمة الذى دعوتكم إليه وحددته لكم أو ترى أنه يقابلهــم بالحسنى ويشكرهم على قدومهم ويفتح لهم بابه ويطلب منهم الدخول ثم يطلب منهم الرجوع مرة أخرى فى الوقت المحدد ؟ هذا الذى أنا أتصــوره

Marfat.com

وهو اللائق بفضل الله وكرمه . ونحن إذا اجتمعنا للاسراء والمعراج أو للمولد النبوى ولأى ذكرى من الذكريات التاريخية لا يهمنا تعيين الوقت بالضبط لأنه إن كان موافقا للصواب فى الواقع ونفس الأمر فالحمد لله وإن كان غير ذلك فإن الله لا يردنا ولا يغلق بابه عنا .

فاغتنام فرصة الاجتماع بالدعاء والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى والتعرض لنفحاته وخيراته وبركاته هو أجل من فائدة الذكرى نفسها عندى واغتنام اجتماع الناس بتذكيرهم وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم إلى الخير هو أولى من صدهم وردهم والإنكار على اجتماعهم بما لا طائل تحته إذ المشاهد أن ذلك لا ينفع ولا يفيد وأن الناس يزيد اقبالهم ويعم تمسكهم كلما زاد الانكار عليهم أو اشتد حتى كان الناهى لهم عن ذلك آمر لهم بفعله من حيث لا يشعر .

إن العقلاء من أرباب الفكر والدعوة يتمنون بكل قلوبهم أن يجدوا مكانا يجتمع فيه الناس ليبثوا فيهم آراءهم ويكسبوهم إلى صفهم . ولذلك تراهم يرتادون الحدائق والنوادى والأماكن العامة التى يكثر فيها اجتماع الناس ليصنعوا بهم ما يريدون ، ونحن نرى الأمة تجتمع فى مناسبات متعددة برغبة وهمة وحرص فما هو الواجب علينا نحوهم ؟

إن الاشتغال بالانكار والأخذ والرد فى حكم اجتماعهم وما إلى ذلك هو عبث بل وحمق وجهالة لأننا نضيع كنزاً عظيماً ونفوت فرصة لا يمكن أن يجود الزمان بها إلا فى مثل هذه المناسبات .

فلنغتنم هذه المجامع الكبرى .

* * *

Marfat.com

مفهـــوم المولد النبوى

يخطىء كثير من الناس فى فهمهم لحقيقة المولد النبوى الذى ندعو إليه ونشجع عليه فيتصورون تصورات فاسـدة يبنون عليها مسـائل طـويلة ومناقشات عريضة يضيعون بها أوقاتهم وأوقات القراء وهى كلها هباء لأنهـا مبنية على تصورات كما قلنا فاسدة .

وقد كتبنا عن المولد النبوى كثيرا وتحدثنا عنه فى الإذاعـة والمجـامع العامة مراراً بما يظهر معه وضوح مفهومنا عن المولد الشريف .

إننا نقول وقد قلنا من قبل إن الإجتماع لأجل المولد النبوى الشريف ما هو إلا أمر عادى وليس من العبادة فى شىء وهذا ما نعتقده وندين الله تعـالى به .

وليتصور من شاء ما يتصور لأن الإنسان هو المصدق فيما يقوله عـن نفسه وحقيقة معتقده لا غيره .

ونحن نقول فى كل محفل ومجمع ومناسبة ان هذا الاجتماع بهـذه الكيفية أمر عادى ليس من العبادة فى شىء فهل يبقى بعد هذا إنكار لمنـكر واعتراض لمعترض لكن المصـيبة الكبرى فى عدم الفهم ولهذا يقول الإمام الشافعى :

ما جادلت عالما إلا غلبته ولا جادلت جاهلا إلا غلبنى إن أقل الطلاب علما يعلم الفرق بين العادة والعبادة وحقيقة هذه وتلك فإذا قال القائل : هـذه عبادة مشروعة بكيفيتها نقول له : أين الدليل ؟ وإذا قال : هذه عادة نقول له : اصنع ما تشاء لأن الخطر كل الخطر والبلاء الذى نخشاه كلنا هو أن يلبس ثوب العبادة لفعل مبتدع غير مشروع بل من اجتهاد البشر ، وهـذا ما لا نرضاه بل ونحاربه ونحذر منه والحاصل ان الاجتماع لأجـل المولد النبوى أمر عادى ولكنه من العادات الخيرة الصالحة التى تشتمل على منافع كثيرة وفوائد تعود على الناس بفصل وفير لأنها مطلوبة شرعا بأفرادها ، ومن التصورات الفاسدة التى تقع فى أذهان بعض الناس هى أنهم يظنون أننا ندعو

Marfat.com

إلى الاحتفال بالمولد فى ليلة مخصوصة دون سائر العام وما درى هذا المغفل أن الاجتماعات تعقد لأجل المولد النبوى فى مكة والمدينة بشكل منقطع النظير فى كل أيام العام وفى كل مناسبة تحدث يفرح بها صاحبها ولا يكاد يمر يوم أو ليلة بمكة والمدينة إلا ويحصل فيه اجتماع للمولد النبوى علم هذا من علمه وجهله من جهله فمن زعم إننا نذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة فقط ونهجره ونغفل عنه ثلاثمائة وتسعة وخمسين ليلة فقد افترى إثما عظيما وكذب كذبا مبينا ، وهذه مجالس المولد النبوى تنعقد بفضل الله تعالى فى جميع ليالى السنة ولا يكاد يمر يوم أو ليلة إلا وهنا مجلس وهناك محفل ، ونحن ننادى بأن تخصيص الاجتماع بليلة واحدة دون غيرها هو الجفوة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك فإن الناس بحمد الله يستجيبون لهذا النداء بكل إقبال ورغبة .

ومن زعم بأننا نخصص الاحتفال به صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة فهو جاهل أو متجاهل عن الحقيقة ، وما لنا إلا أن ندعو الله له بأن ينور بصيرته ويكشف عنه حجاب الجهل ليرى أن ذلك ليس خاصا بالمدينة المنورة ولا بليلة مخصوصة فى شهر مخصوص ، بل هو عام فى الزمان والمكان .

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

والحاصل أننا لا نقول بسنية الاحتفال بالمولد المذكور فى ليلة مخصوصة بل من اعتقد ذلك فقد ابتدع فى الدين لأن ذكره صلى الله عليه وسلم والتعلق به يجب أن يكون فى كل حين ويجب أن تملأ به النفوس ، نعم : أن فى شهر ولادته يكون الداعى أقوى لإقبال الناس واجتماعهم وشعورهم الفياض بارتباط الزمان بعضه ببعض فيتذكرون بالحاضر الماضى وينتقلون من المشاهد إلى الغائب .

وأن هذه الاجتماعات . هى وسيلة كبرى للدعوة إلى الله وهى فرصة ذهبية ينبغى أن لا تفوت ،بل يجب على الدعاة والعلماء أن يذكروا الأمة بالنبى صلى الله عليه وسلم بأخلاقه وآدابه وأحواله وسيرته ومعاملته وعباداته ، وأن ينصحوهم ويرشدوهم إلى الخير والفلاح ويحذروهم من

Marfat.com

البلاء والبدع والشر والفتن ، وأننا دائما بفضل الله ندعو إلى ذلك ونشارك فى ذلك ونقول للناس : ليس المقصود من هذه الاجتماعات مجرد الاجتماعات والمظاهر بل إن هذه وسيلة شريفة إلى غاية شريفة وهى كذا وكذا ومن لم يستفد شيئاً لدينه فهو محروم من خيرات المولد الشريف . ولا نحب أن نطيل بذكر الأدلة والمسوغات التى استنبطناها فى هذا الموضوع إذ لنا رسالة خاصة لذلك بعنوان : حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف . غير أننا سنلخص قصة عتق ثويبة بالذكر لكثرة الكلام حولها :

* * *

قصة عتق ثويبة

يذكر العلماء فى كتب الحديث والسيرة قصة عتق أبى لهب لجاريته ثويبة لما أخبرته بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وان العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب فى النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال : لم ألق خيرا بعدكم غير أنى سقيت فى هذه بعتاقتى ثويبة وانه ليخفف علىّ فى كل يوم الأثنين .

قلت : هذا الخبر رواه جملة من أئمة الحديث والسير مثل الإمام عبد الرزاق الصنعانى والإمام البخارى والحافظ ابن حجر والحافظ ابن كثير والحافظ البيهقى وابن هشام والسهيلى والحافظ البغوى وابن الديبع والأشخر والعامرى . وسأبين ذلك بالتفصيل . فأما الإمام عبد الرزاق الصنعانى فقد رواه فى المصنف (ج ٧ ص ٤٧٨) وأما الإمام البخارى فقد رواه فى صحيحه بإسناده إلى عروة بن الزبير مرسلا فى كتاب النكاح باب « وامهاتكم اللاتى أرضعنكم » وأما ابن حجر فقد ذكره فى الفتح وقال أنه رواه الاسماعيلى من طريق الذهلىْ عن أبى اليمان ورواه عبد الرزاق عن معمر وقال : وفى الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح فى الآخرة ، لكنه مخالف لظاهر القرآن ، قال الله تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » وأجيب أولا بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به . وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذى فى الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه ، ولعل الذى رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به ،

Marfat.com

وسلم مخصوصا من ذلك بدليل قصة أبى طالب كما تقدم أنه خفف عنه فنقل من الغمرات إلى الضحضاح . وقال البيهقى : ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ولا دخول الجنة ، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذى يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات .

وأما عياض فقال : انعقد الاجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، وإن كان بعضهم آشد عذابا من بعض . قلت : وهذا لا يرد الاحتمال الذى ذكره البيهقى ، فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر ، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه ؟ وقال القرطبى : هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه . وقال ابن المنير فى الحاشية : هنا قضيتان : إحداهما محال وهى اعتبار طاعة الكافر مع كفره ، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح ، وهذا مفقود من الكافر .

الثانية : إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلا من الله تعالى وهذا وثانيا على تقدير القبول فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبى صلى الله عليه لا يحيله العقل ، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبى لهب لثويبة قربه معتبرة ، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبى طالب ، والمتبع فى ذلك التوقيف نفيا واثباتا . قلت : وتتمة هذا أن يقع التفضيل المذكور إكراما لمن وقع من الكافر البر له ونحو ذلك . والله أعلم .

(ا هـ فتح البارى ج ٩ ص ١٤٥)

وأما الحافظ ابن كثير فقد رواه فى البداية والنهاية ، وقال معلقا : لأنه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزى بذلك لذلك (ا هـ . من السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٢٤) .

وأما الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الشيبانى صاحب جامع الأصول فقد رواه فى سيرته وقال معلقا : « قلت : (فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبى طالب لا لأجل العتق .

Marfat.com

لقوله تعالى : « وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ») (اهـ . من حدائق الأنوار فى السيرة ج ١ ص ١٣٤) .

وأما الحافظ البغوى فقد رواه فى شرح السنة (ج ٩ ص ٧٦) .

وأما الإمام الأشخر فقد رواه فى بهجة المحافل وقال شارحه العامرى : قيل هذا خاص به إكراما له صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبى طالب بسببه ، وقيل لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيرا (اهـ . من شرح البهجة ج ١ ص ٤١) وأما السهيلى فقد رواه فى الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام وقال بعد نقل الخبر : (فنفعه ذلك وهو فى النار كما نفع أخاه أبا طالب ذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أهون أهل النار عذابا ، وقد تقدم فى باب أبى طالب أن هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب ، وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف ، أى : لا يجده فى ميزانه ولا يدخل به جنة . (اهـ . الروض الأنف ج ٥ ص ١٩٢) .

* * *

Marfat.com

حاصـــل البحث

والحاصل أن هذه القصة مشهورة فى كتب الأحاديث وفى كتب السير ، ونقلهـــا حفـــاظ معتـــبرون معتمـــدون ، ويكفى فى توثيقهـــا كون البخارى نقلها فى صحيحه المتفق على جلالته ومكانته ، وكل ما فيه من المسند صحيح بلا كلام .

حتى المعلقات والمرسلات فإنها لا تخرج عن دائرة المقبـــول ولا تصـــل إلى المردود . وهذا يعرفه أهل العلم المشتغلون بالحديث والمصطلح والذين يعرفون معنى المعلق والمرسل ويعرفون حكمها إذا جاءت فى الصحيح .

فانظر ان شئت ذلك فى كتب المصطلح كألفية السيوطى والعراقى وشروحها وتدريب الراوى فإنهم تعرضوا لهذه المسألة وبينوا قيمة ما فى الصحيح من المسند والمرسل وأن ذلك مقبول عند المحققين .

ثم إن هذه المسألة من المناقب والفضائل والكرامات التى يذكرها العلماء فى كتب الخصائص والسير ويتساهلون فى نقلها ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه . ولو ذهبنا إلى إشتراط هذا الشرط الشاذ لما أمكن لنا ذكر شىء من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعد البعثة مع أنك تجد كتب الحفاظ الذين عليهم العمدة وعلى صنيعهم المعول ، والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف، نجـــد كتبهم مملوءة بالمقطوعات . والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشباههم فى خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك مما يجوز ذكره فى هذا المقام .

أما قول من قال أن هذا الخبر يعارض قوله : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » فهذا قول مردود بما قاله العلماء ونقلناه عنهـــم سابقا .

وتحرير الكلام فى هذا المقام هو أن الآية تدل على أن أعمال الكفار

Marfat.com

لا ينظر إليها وليس فيها أنهم سواء فى العذاب ، وأنه لا يخفف عن بعضهم العذاب كما هو مقرر عند العلماء .

وكذلك الاجماع الذى حكاه عياض ، فإنه فى عموم الكفار وليس فيه أن الله تعالى لا يخفف العذاب عن بعضهم لأجل عمل عملوه ولهذا جعل الله تعالى جهنم دركات ، والمنافقون فى الدرك الأسفل منها .

ثم إن هذا الاجماع يرده النص الصحيح ، ولا يصح إجماع مع مخالفة النص كما هو معلوم للطلبة .

وذلك إنه ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : هل نفعت أبا طالب بشىء ، فإنه كان يحوطك ويدافع عنك ؟ فقال : وجدته فى غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح منها ، الحديث .

فها هو أبو طالب قد نفعه دفاعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وأخرجه النبى صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك من غمرات النار إلى ضحضاح منها.

فالتخفيف عن أبى لهب من هذا الباب أيضا ، لا منكر فيه ، والحديث يدل على أن الآية المذكورة فيمن لم يكن لهم عمل يوجب التخفيف . وكذلك الاجماع .

وفى حديث أبى طالب المذكور دلالة وأى دلالة على أن النبى صلى الله عليه وسلم يتصرف الآن وقبل يوم القيامة فى أمور الآخرة ويشفع لمن تعلق به ودافع عنه .

وأما قول من قال أن هذا الخبر رؤيا منام لا يبثت بها حكم ، فإن هذا القائل ــ هداه الله للصواب ــ لا يفرق بين الأحكام الشرعية وغيرها .

أما الأحكام الشرعية فإن الخلاف واقع بين الفقهاء : هل يجوز أخذ الأحكام وتصحيح الأخبار برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام أم لا ؟؟ .

وأما غيرها فإن الإعتماد على الرؤيا فى هذا الباب لا شىء فيه مطلقا . وقد اعتمد عليها الحفاظ وذكروا ما جاء فى رؤيا أهل الجاهلية قبل بعثة

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذرة بظهوره ، وأنه سيقضى على الشرك وما هم عليه من فساد . وكتب السنة مملوءة بهذا .

وفى مقدمتها كتاب دلائل النبوة وعدوها من الارهاصات الذى لا مانع من الاستدلال فى شأنها بالرؤيا ولولا ذلك لما ذكروها .

فقول القائل فى شأن رؤيا العباس أنها ليست بحجة ولا يثبت بها حكم ولا خبر ، خروج عن عمل الأئمة من الحفاظ وغيرهم . والمراد به التهويل لا غير ـ وما هكذا يكون شأن الباحث عن الحق والأمر لله .

أما من قال إن الرائى والمخبر هو العباس فى حال الكفر ، والكفار لاتسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم فإن هذا قول مردود ، لا رائحة للعلم فيه ، وهو باطل ، ذلك لأنه لم يقل أحد أن الرؤيا من باب الشهادة مطلقـا ، وإنما هى بشارة لا غير فلا يشترط فيها دين ولا إيمان ، بل ذكر الله تعالى فى القرآن معجزة يوسف عليه السلام عن رؤيا ملك مصر وهو وثنى لا يعرف دينا سماويا مطلقا ، ومع ذلك جعل الله تعالى رؤيته المنامية من دلائل نبوة يوسف عليه السلام وفضله وقرنها بقصته ولو كان ذلك لا يدل على شىء لما ذكرها الله تعالى لأنها رؤيا مشرك وثنى لا فائدة فيها لا فى التأييد ولا فى الإنكار .

ولهذا ذكر العلماء أن الكافر يرى الله تعالى فى المنام ويرى فى ذلك ما فيه إنذار له وتوبيخ وتقريع .

والعجب كل العجب من قول القائل أن العباس رأى ذلك فى حال كفره . والكفار لا تسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم فإن هذا القول يدل على عدم المعرفة بعلم الحديث إذ المقرر فى المصطلح أن الصحابى أو غيره إذا تحمـل الحديث فى حال كفره ثم روى ذلك بعد إسلامه أخذ ذلك عنه ،.وعمل به . وانظر أمثلة ذلك فى كتب المصطلح لتعرف بعد صاحب هذا القول عن العلم . وإنما الهوى هو الذى حمل المعترض على الدخول فيما لا يتقنه .

* * *

Marfat.com

الخاتمـــــة

وبعد فهذا ما تيسر لنا كتابته عن هذه المسائل التى أحببنا أن نبين مفهومنا الذى نراه فيها .

فان كان ذلك صوابا فالحمد لله ، وان كان غير ذلك فإننى بشر اصيب واخطىء . وكل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا السيد المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى . واعوذ بالله من المراء والجدال والخصام وأعوذ بالله من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع واعوذ بالله من كل سوء وشر وبلاء وشرك وبدعة وابرأ مما تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقر بما اقر به .

واسأل الله ان يثبتنى عليه حتى أموت عليه مسلما موحدا مؤمنا بالله فى بلاد الله وبين المؤمنين الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، منذ ان جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وسار على ذلك أصحابه وأتباعه واتباعهم من أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، فى ظل أئمة التوحيد ودعاة الخير من حكامنا الأماجد وفقهم الله لنصرة الحق وأخذ بأيديهم إلى خير البلاد والعباد . والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتب ذلك بقلمه وقاله بفمه محمد بن علوى بن عباس المالكى مذهبا . السلفى عقيدة المكى موطنا . الحسنى نسبا ، عفا الله عنه ، خادم العلم بالحرمين الشريفين . تحريرا بمكة المكرمة فى ربيع اول سنة ١٤٠٤ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

تم بحمد الله تعالى ؟

* * *

Marfat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء	(ا)
تقديم فضيلة الدكتور الحسينى هاشم وكيل الأزهر وأمين عام مجمع البحوث الاسلامية	(هـ)
تمهيد للمؤلف	(ز)
منهج الدار.	(ك)
الباب الأول مباحث فى العقيدة ،	
وفيها بيان فساد ومقاييس التكفير والتضليل اليوم	٣
التحذير من المجازفة بالتكفير	٥
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٧
مقام الخالق ومقام المخلوق	٩
مقام المخلوق	١٠
امور مشتركة بين المقامين لا تنافى التنزيه	١٤
ضرورة ملاحظة النسبة المجازية فى مقياس الكفر والايمان	١٦
التعظيم بين العبادة والأدب	٢٢
الواسطة الشركية	٢٦
ثوب الزور	٣١
بين نعمت البدعة وبئست البدعة	٣٣
دعوة ائمة التصوف الى العمل بالشريعة	٣٥
حقيقة الأشاعرة	٣٨
حقائق تموت بالبحث	٤١
مفهوم التوسل ، والمتفق عليه من التوسل	٤٣
ادلة ما عليه المسلمون من التوسل	٤٥
التوسل بالنبى ﷺ قبل وجوده	٤٦
تصحيح ابن تيمية لمعنى هذه الخصوصية	٤٨
توسل اليهود به ﷺ	٥١

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
التوسل بالنبى ﷺ فى حياته وبعد وفاته	٥٢
التوسل به صلى الله عليه وسلم فى عرصات يوم القيامة	٥٤
مشروعية التوسل على طريقة الشيخ ابن تيمية	٥٥
مشروعية التوسل بالنبى خاصة عند الامام احمد بن حنبل وابن تيمية	٥٧
جواز التوسل عند الامام الشوكانى	٥٩
الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب لا ينكر التوسل	٦١
التوسل بآثاره ﷺ	٦٢
التوسل بآثار الأنبياء	٦٤
توسل النبى ﷺ وحق الأنبياء والصالحين	٦٥
التوسل بقبر النبى ﷺ بعد وفاته	٦٦
التوسل به فى المرض والشدائد ، والتوسل بغيره ﷺ	٦٨
معنى توسل عمر بالعباس	٦٩
قصة العتبى فى التوسل	٧٢
شبهة مردودة	٧٤
زعم بعض الجهلة ان النبى ﷺ لا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرفنا	٧٥
بيان بأسماء المتوسلين من ائمة المسلمين	٧٦
الصحابة يطلبون من النبى ﷺ الشفاعة	٧٨
تفسير ابن تيمية لآيات الشفاعة	٨٢
اياك نعبد واياك نستعين	٨٤
الاستعانة والتوجه بالطلب للنبى ﷺ	٨٦
النبى ﷺ هو ركننا وعصمتنا وملاذنا	٩٠
دعوة باطلة	٩٢
هل طلب ما لا يقدر عليه الا الله شرك ؟	٩٤
اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله	٩٦
انه لا يستغاث بى	١٠١
الفاظ مستعملة وردت فى هذا الباب	١٠٢
الباب الثانى مباحث نبوية	
وفيها بيان خصائص النبى ﷺ وحقيقة النبوة والبشرية والحياة البرزخية	١٠٧
الخصائص المحمدية وموقف العلماء منها	١٠٩
ابن تيمية والخصائص النبوية	١١١
الشيخ ابن القيم وجلوس النبى ﷺ على العرش	١١٤
الجنة تحت اقدام الأمهات فكيف لا تكون تحت أمر النبى ﷺ	١١٧
صكوك لدخول الجنة بيده ﷺ	١١٨
النبى ﷺ يعطى الجنة	١١٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
النبى ﷺ يبيع الجنة وعثمان يشتريها	١١٩
ما هو المقصود بليلة المولد المفضلة	١٢٠
فتوى ابن تيمية فى الموضوع	١٢١
لا تطرونى	١٢٢
الأنبياء بشر ولكن	١٢٦
الأنبياء سادة البشر	١٢٦
صفات الأنبياء : ١ ـ الصدق . ٢ ـ التبليغ . ٣ ـ الأمانة . ٤ ـ الفطانة . ٥ ـ السلامة من العيوب المنفرة . ٦ ـ العصمة	١٢٧
يرى من خلفه كما يرى من امامه	١٢٧
يرى ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع	١٢٨
ابطه الشريف	١٢٨
حفظه ﷺ من التثاؤب	١٢٩
عرقه الشريف ﷺ	١٢٩
طوله ﷺ	١٢٩
ظله ﷺ	١٣٠
دمه ﷺ	١٣٠
نومه ﷺ	١٣٠
جماعه ﷺ	١٣١
حفظه ﷺ من الاحتلام	١٣١
الاستشفاء ببوله ﷺ	١٣١
خلاصة مفيدة	١٣١
مفهوم التبرك	١٣٣
التبرك بشعره وفضل وضوئه وبصاقه وعرقه	١٣٣
وصف عروة بن مسعود حال الصحابة مع النبى ﷺ	١٣٤
تعليق الحافظ بن حجر على هذه القصة	١٣٤
النبى ﷺ يرشد الى المحافظة على بقية وضوئه	١٣٥
التبرك بشعره ﷺ بعد موته	١٣٦
النبى ﷺ يقسم شعره بين الناس	١٣٧
توزيع شعره ﷺ شعرة شعرة	١٣٧
الناس يتهافتون على شعره ﷺ	١٣٧
تحقيق الكلام فى الموضوع	١٣٧
التبرك بعرقه	١٣٨
التبرك بمس جلده	١٣٩
خبر زاهر	١٤١
التبرك بدم النبى ﷺ ـ خبر عبد الله بن الزبير	١٤٢

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
خبر سفينة مولى النبى ﷺ	١٤٣
خبر مالك بن سنان	١٤٣
حجام آخر يشرب دمه ﷺ	١٤٤
خبر بركة خادم ام حبيبة	١٤٤
خبر أم ايمن	١٤٤
خبر سرة	١٤٤
اقوال العلماء فى هذا الموضوع	١٤٦
التبرك بالمكان الذى صلى فيه النبى ﷺ	١٤٧
التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ	١٤٧
التبرك بتقبيل يد من مس رسول الله ﷺ	١٤٨
التبرك بجبته ﷺ	١٤٩
التبرك بما مسته يده ﷺ	١٤٩
التبرك بقدح النبى ﷺ ومسجد صلى فيه	١٥٠
التبرك بموضع قدم النبى ﷺ	١٥٠
التبرك بدار مباركة	١٥٠
التبرك بمنبر رسول الله ﷺ	١٥١
التبرك بقبره الشريف	١٥٢
التبرك بآثار الصالحين والأنبياء السابقين	١٥٢
التبرك بالتابوت	١٥٢
التبرك بمسجد العشار	١٥٣
نحن فى بركة الرسول ﷺ	١٥٤
الخلاصة	١٥٦
الباب الثالث مباحث مختلفة	
وفيها بيان مشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها من الآثار والمشاهد والمناسبات	١٥٧
الحياة البرزخية حياة حقيقية	١٥٩
لا تؤذ الميت لئلا يؤذيك	١٦٣
معنى الحياة البرزخية	١٦٣
خصائص الأنبياء البرزخية	١٦٥
كمال حياتهم	١٦٥
صلاة الأنبياء فى قبورهم وعبادات اخرى	١٦٨
حياة خاصة بنبينا محمد ﷺ	١٧٢
النبى ﷺ يجيب من ناداه	١٧٥
ارسال السلام بالبريد الى النبى ﷺ	١٧٥

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
صوت وسلام يسمع من القبر النبوى	١٧٥
تأييد ابن تيمية لهذه الوقائع	١٧٦
لا تشد الرحال	١٧٧
زيارة القبر هى زيارة المسجد فى اعتبار الشيخ ابن تيمية	١٨١
تحقيق مفيد للعلامة عطية محمد سالم	١٨٣
الامام مالك والزيارة	١٨٤
استحباب زيارة النبى ﷺ عند الحنابلة وغيرهم	١٨٦
كلام ائمة السلف فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وشد الرحل الى قبره	١٨٦
١ ـ القاضى عياض	١٨٦
٢ ـ الامام النووى . ٣ ـ الإمام ابن حجر الهيثمى	١٨٧
٤ ـ الامام الحافظ بن حجر العسقلانى	١٨٨
٥ ـ الامام الشيخ الكرمانى شارع البخارى	١٨٩
٦ ـ الشيخ الامام بدر الدين العينى	١٨٩
٧ ـ الشيخ ابو محمد بن قدامة امام الحنابلة صاحب كتاب (المغنى)	١٩٠
٨ ـ الشيخ ابو الفرج بن قدامة امام الحنابلة وصاحب الشرح الكبير	١٩١
٩ ـ الشيخ منصور بن يونس البهوتى الحنبلى	١٩٢
١٠ ـ شيخ الاسلام محمد تقى الدين الفتوحى الحنبلى	١٩٢
١١ ـ الشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى	١٩٢
١٢ ـ الامام شيخ الاسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى	١٩٣
١٣ ـ الامام الشيخ محمد بن علام الصديقى الشافعى شارع الأذكار	١٩٤
الزيارة النبوية السلفية	١٩٥
الشيخ ابن القيم والزيارة النبوية	١٩٦
القبر النبوى الشريف	١٩٧
القبر النبوى ـ والدعاء	١٩٨
راى الشيخ ابن تيمية	٢٠٠
تحليل كلام الشيخ ابن تيمية	٢٠٠
راى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الدعاء عند القبر ـ الدعاء عند القبر ليس بدعة ولا شركا	٢٠١
القبر النبوى والتبرك بالتمسح به او بالشباك وتقبيله	٢٠٢
راى الامام احمد بن حنبل	٢٠٣
القبر النبوى محفوظ من الشرك والوثنية	٢٠٤
التردد على الآثار النبوية والمشاهد الدينية والتبرك بزيارتها	٢٠٦
معنى العيد المنهى عنه فى الحديث	٢٠٩

Marfat.com

الموضوع	الصفحة
عقيدة المؤلف	٢١٠
الاعتناء بالآثار والمشاهد	٢١١
اعتناء القرآن بآثار الأنبياء السابقين	٢١٢
محافظة الخلفاء الراشدين على خاتم النبى ﷺ	٢١٣
محافظة الخلفاء الراشدين على حربة كانت عند النبى ﷺ	٢١٣
محافظة عمر بن الخطاب على ميزاب العباس لأنه وضعه ﷺ	٢١٤
ابن عمر لم يكن وحده مع الآثار	٢١٥
غيرة عمر على الآثار النبوية	٢١٦
الاهتمام بالنعال النبوية والقيام بدراسة علمية لها	٢١٧
اهتمام المملكة بالآثار	٢١٨
المحافظة على الآثار	٢١٨
المساجد وأماكن العبادة من اهم الآثار	٢١٨
الآثار ومشاريع الهدم والتخطيط	٢١٩
المحافظة على الآثار النبوية من رسالة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز	٢٢١
مفهوم الاجتماع	٢٢٢
مفهوم المولد النبوى	٢٢٤
قصة عتق ثويبة	٢٢٦
حاصل البحث	٢٢٩
الخاتمة	٢٣٢
الفهرس	٢٣٣

تم بحمد الله وتوفيقه ..

Marfat.com

Marfat.com

كتاب المفاهيم في الميزان

وقد ظهر من مباحث هذا الكتاب أنه حجة وبرهان وقول صادق وبيان .

حسنين محمد مخلوف مفتى مصر السابق
وعضو هيئة كبار العلماء وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

وشكراً للسيد السند محمد علوى لتحريره هذه المباحث وتحقيقه لمفاهيمها وأعتقد أنه قد بلغ بها المنتهى

عبد الله كنون الحسنى
رئيس رابطة العلماء بالمغرب وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

ففي كتابه هذا وضع الأمور في مجاريها وحاد عن الشطط في مراميها وجنبها الافراط والتفريط وصحح الأوهام والتخليط

محمد الخزرجى
وزير الأوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة

وقد حقق السيد محمد علوى الكثير من هذه المفاهيم التى أثيرت حولها الحملات وأبان فيها الوجه الصحيح فهو حرى أن تتوقف عنده الأنظار .

محمد الشاذلي النيفر
عميد كلية الشريعة بتونس وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

وإن هذا الكتاب يوفر على المسلمين الخلافات التى تمزق وحدتهم .

الحسيى عبد المجيد هاشم
وكيل الأزهر الشريف والأمين العام لمجمع البحوث

وعندى والله أعلم أنه لم يبق للمعاندين في هذه المسائل بعد النظر في كتاب المفاهيم إلا التسليم لكل ما جاء فيه إذ أن ما جاء فيه كاد أن يكون مجمعا عليه

محمد قال البناني
الأمين العام للرابطة الموريتانية وعضو الرابطة بمكة المكرمة

صحت مفاهيم كان الناس قد هاموا
فيها وزايلها لبس وإبهام
بحث دقيق عميق لا يتام له
خبط وخلط وتدليس وإيهام

محمد سالم بن عدود
رئيس المحكمة العليا بموريتانيا وعضو المجمع الفقهى بمكة المكرمة

إطلعت على كتاب مفاهيم فوجدته كتابا حلويا لمعان جليلة وأهداف سامية وأدلة واضحة

يوسف بن أحمد الصديق
القاضي بمحكمة الاستئناف بالبحرين وعضو الرابطة بمكة

Marfat.com

كتاب المفاهيم في الميزان

وقد ظهر من مباحث هذا الكتاب أنه حجة وبرهان وقول صادق وبيان .

حسنين محمد مخلوف مفتى مصر السابق
وعضو هيئة كبار العلماء وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

وشكراً للسيد السند محمد علوى لتحريره هذه المباحث وتحقيقه لمفاهيمها وأعتقد أنه قد بلغ بها المنتهى

عبد الله كنون الحسنى
رئيس رابطة العلماء بالمغرب وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

ففي كتابه هذا وضع الأمور في مجاريها وحاد عن الشطط في مراميها وجنبها الافراط والتفريط وصحح الأوهام والتخليط

محمد الخزرجى
وزير الأوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة

وقد حقق السيد محمد علوى الكثير من هذه المفاهيم التى أثيرت حولها الحملات وأبان فيها الوجه الصحيح فهو حرى أن تتوقف عنده الأنظار .

محمد الشاذلي النيفر
عميد كلية الشريعة بتونس وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

وإن هذا الكتاب يوفر على المسلمين الخلافات التى تمزق وحدتهم .

الحسيى عبد المجيد هاشم
وكيل الأزهر الشريف والأمين العام لمجمع البحوث

وعندى والله أعلم أنه لم يبق للمعاندين في هذه المسائل بعد النظر في كتاب المفاهيم إلا التسليم لكل ما جاء فيه إذ أن ما جاء فيه كاد أن يكون مجمعا عليه

محمد قال البناني
الأمين العام للرابطة الموريتانية وعضو الرابطة بمكة المكرمة

صحت مفاهيم كان الناس قد هاموا
فيها وزايلها لبس وإبهام
بحث دقيق عميق لا يتام له
خبط وخلط وتدليس وإيهام

محمد سالم بن عدود
رئيس المحكمة العليا بموريتانيا وعضو المجمع الفقهى بمكة المكرمة

إطلعت على كتاب مفاهيم فوجدته كتابا حلويا لمعان جليلة وأهداف سامية وأدلة واضحة

يوسف بن أحمد الصديق
القاضي بمحكمة الاستئناف بالبحرين وعضو الرابطة بمكة

Marfat.com